

# عبد الناصر

## وشورة اليمين



دكتور محمد علي الشهاري









عبد الناصر  
وثورة  
اليمين

الدكتور محمد علي الشهابي

الناشر

مكتبة مديولى

٦ ميدان طلعت حرب بالقاهرة

تليفون ٩٧٥٤٢١

## كلمة حول الناصرية وثورة ٢٣ يوليو الرائدة

لم يصبح بعد عبد الناصر تاريخاً ماضياً ، يعود اليه الدارسون بالبحث والتقييم ( كموضوع أكاديمي ) مستقل بذاته ، منفصم عما بعده — رغم أنه ماضى على مفادرتة عالمنا بضعة أعوام — إنما ما يزال عبد الناصر تاريخاً حياً ومتصلاً ومتجدداً ، ذلك أن الثورة التي قادها لم ولن تكف عن النمو والتقدم ، ولا عن العطاء والاحصاء .

وبعد أن عاشت في ظل عبد الناصر تشر الدنيا وتقدهها ، وبتناول بمعاول الهدم والتصحيح كل معوج وفاسد في حياة عالمنا العربي ، وتثير غبار المعارك في كل مكان طالته من كوكبنا ، وتذيق الاستعمار والصهيونية والرجعية مر الحياة ، وترفع بعرض الرقعة الممتدة ما بين المحيط والخليج اعلام التحرر الوطني ، والوحدة القومية ، والحرية الاجتماعية ، وتمضي في الكفاح تحتها ، حتى ينتصب للشرب أول كيان قومي عملاق تقدمي حديث ، منذ قرون من الضياع والهمق والانسحاق والاستعباد ، بعد ذلك انتقلت ثورة يوليو في ظل أنور السادات الى عهد الاستقرار السياسي ، عهد اقامته المؤسسات السياسية والدستورية التي تتحول بها الثورة الوطنية التحررية الى نظام ديمقراطي ثابت الاركان ، مفتوح الافاق على حركة التطور الاجتماعي والتاريخي بدونما حدود .

أن هاتين الحلقتين المترابطتين ، أو الحقتين المتصلتين من تمر ثورة يوليو الخالدة ، واللتين حاولت بعض الاقلام العابثة ان يفصلهما عن بعضهما ، وتوجد تعارضا مفتعلا يبلغ حد القطيعة بينهما ، هما عين التلاحم العضوي ، والتتابع الزماني ، من وجهة نظر تاريخية بحثية . حتى ولو وجدت فوارق معينة من حيث الرؤية الاجتماعية والسياسية لكل من الحلقتين أو الحقتين التاريخيتين .

ولا ادل على ذلك من ان القيادة التي تمسك اليوم بزمام ثورة

بوليو هي من ذات وجنس القيادة الشرعية والتاريخية التي فجرتها  
واطلقت لهبها المقدس في انحاء الوطن العربي .

صحيح ان فترة عبد الناصر تميزت بعملية التحولات  
الاقتصادية والاجتماعية الحاسمة ، وبعملية الانتفاضات الوطنية  
والقومية المتلاحقة ، التي لا يمكن ان تتم بغير الاسلوب الذي يجرح  
ويدمى ، اسلوب الاجراءات الاستثنائية الضرورية ، اسلوب  
( الثورة ) و ( العنف الثوري ) وان فترة انور السادات تميزت —  
الى جانب قيادة حرب التحرير ضد الاستعمار الصهيوني التي لم  
ينطفئ اوارها — بالتركيز على بحث الاسس الديمقراطية  
الصحيحة التي ينبغى ان تنهض عليها حياة البلاد السياسية ، وتمضى  
من خلال قنواتها المنظمة والطبيعية حركة الجدل الاجتماعى ، بعيدا  
عن الاجراءات الاستثنائية واساليب العنف التي لم تعد هناك  
ضرورات قاهرة تحتمها .

ولكن من قال ان هذه الفترة ليست معتمدة على تلك او منبثقة  
عنها ، او امتدادا طبيعيا ومنطقيا لها ومرحلة من مراحل سيرها  
الحتمى والضرورى — حتى ولو تميزت عنها ببعض السمات — وان  
كلاهما املت اسلوبها و « طابعها » الخاص بها الظروف الموضوعية  
والعوامل الذاتية المتميزة المحيطة بكل منها ؟

ولا ينبغى لأولئك الذين لا يحسنون فهم حركة التاريخ ،  
ومراحل المتلاحقة والمتراصة ببعضها البعض وفق قوانين مادية  
تاريخية صارمة ، ديناميكية ، ان يتصدوا لما لا شأن لهم به ، انطلاقا  
من اهداف سياسية وطبقية ضيقة وانانية ، كما لا ينبغى لأولئك  
الذين لم يعودوا يرون من فترة حكم عبد الناصر غير الجوانب  
السلامية فيها ، ومن الذين فاضلوا معه وتحت قيادته من القوى  
الوطنية والتقدمية — وبنكران ذات غير مسبوق — غير مساهمين  
للعهد ، متعلقين بأذياله — كما لو كان عهد سؤ ينبغى التبرؤ منه —  
لا ينبغى لأولئك ان يتناولوا احداث التاريخ الحية والضخمة بمثل  
هذه السهولة العجيبة ، وبمثل ذلك المنطلق المختل ، كذلك البعض  
الذى يتخذ من صيغة ( تحالف قوى الشعب العاملة ) التي اقترحتها  
الناصرية ، والتي حاول الاتحاد الاشتراكي — حتى الان تجسيدها  
دون نجاح يذكر . ومن مسألة ( التنظيم الطليعى ) الذى حاول  
عبد الناصر — في آخر لحظة — تكوينه ، ليكون قيادة اشتراكية لقوى



التحالف الشعبى — دون ان يجد ايضا من الوقت ومن الظروف ومن العوامل المساعدة ما يكفى لبلورة وانضاج ملامحه الطليعية أو الاشتراكية الموحدة — كذلك البعض الذى يتخذ من ذلك مدخلا لظهار حقه الطبقي والسياسى الدفين على ثورة يوليو وقادتها ، ولمهاجمة كل شىء فيها ، أو مرتبط بها ، تصريحاً أو تلميحاً ، سرا أو علناً ، ابتداء من مهاجمة ناصر والناصرية ، الى مهاجمة الثورة والثورية ، ومن الطعن فى منجزات ثورة يوليو الرائدة ، التى كانت فتحة جديداً وكاملاً فى حياة العرب المعاصرة ، وفى تاريخ المنطقة العربية برمتها . الى الغمز من قناة من كانوا ابرز انصار هذه الثورة ، واقوى دروعها ، واكثرهم وعياً بابعادها السياسية والاجتماعية ، والقومية والعالمية ، وعلى رأس هؤلاء جميعاً القوى الوطنية والديمقراطية والاشتراكية .

وبعيداً عن الحديث الهازل والعاث والعابث والحاقد عن قائد ثورة يوليو العظيم فإن الحديث الجاد والموضوعى والمتزن عن ناصر والناصرية لا ينبغى أن يقف عند قضية (التنظيم السياسى) أو معضلة (التنظيم الطليعى) المنبثق عنه . والواقع ان البحث فى الناصرية يعنى مباشرة البحث فى ثورة ٢٣ يوليو ، ويعنى الوقوف وجها لوجه امام صيحة الثورة العربية المعاصرة . والناصرية كأي ظاهرة من ظواهر التاريخ الكبيرة ، حركة اجتماعية ، وفلسفة سياسية ، فرزها النضال العربى فى مرحلة من مراحل تقدمه ، مرحلة الصراع القومى والمصرى — الذى يبلغ حد الالتحام والاشتباك المباشر بالانياب والاذفار — مع الاستعمار والصهيونية والرجعية ، مرحلة البحث عن المركز القومى الثورى الذى يستقطب ويشد ويحشد ويتقدم حركة وقوى التحرير والتوحيد العربية ، مرحلة البحث عن القيادة القومية الملهمة والملهمة ، التى تعنى قوانين المرحلة التاريخية والاجتماعية المعاشة ، وتبصر ابعادها ، وتذكر اهدافها . وتضع نفسها فى مقدمة الزحف الثورى والمصرى لتحقيقها . ولقد كانت الناصرية — أى ثورة يوليو — بتصديها الشجاع للاستعمار . وقواعده العسكرية ، واحلافه السياسية ، وربيتة الصهيونية ، واحتكاراته النفطية ، وركيزته الرجعية وبادراكها لدور مصر القومى والريادى ، ورفضها ذلك المنطق الأقليمى والضيق الذى سارت عليه — فى الاغلب الاعم — الحركة الوطنية المصرية ، والقضاى بالاهتمام بقضايا (مصر أولاً) وبالاكتفاء بمقولة (مصر للمصريين) —

وبوعياها التاريخى والقومى النافذ والناصح بأن مصر هى قاعدة  
وطليعة حركة التحرير والتوحيد والتطوير العربية ، ثم بامتلاك  
عبد الناصر نفسه ذلك الشعور القومى الفياض ، وذلك الامتلاء  
والتوتر الحاد بقضايا النضال العربى عامة ، وبأنه هو نفسه تلك  
الزعامة التاريخية التى يتطلبها هذا النضال ، وذلك الرمز الوجدوى  
لحركة التوحيد العربى ، وذلك البطل القومى الذى تنتظره الامة  
العربية — اقول ان الناصرية — أو ثورة يوليو — بتجسيدها ذلك  
كله كانت هى هذه الظاهرة التاريخية العملاقة التى جاءت لتلبية  
مطالب هذه المرحلة التاريخية ، والتصدى لحلها . ومن هنا تقدمية  
الناصرية وثورتها وحيويتها وايجابيتها .

ولقد ظهرت ثورة يوليو — وظهرت الناصرية معها — فى وقت  
كان قد انقسم فيه العالم الى معسكر امبريالى — رأسمالى ،  
ومعسكر اشتراكى ديمقراطى ، وفى وقت وجدت فيه حركة التحرير  
الوطنى العالمية فى المعسكر الاشتراكى السند والظهير فى مقارعتها  
للامبريالية ، ووجدت فيه الايديولوجية العمالية المحرصة والداعية  
لحق تقرير المصير لشعوب الارض المستعمرة وشبه المستعمرة  
والتابعة ، ووجدت فيه السياسة الاشتراكية المعاضدة والمباركة لقيام  
الدول الوطنية والقومية الموحدة المركزية ، المتحررة الديمقراطية ،  
ووجدت فيه تلك المقولات النظرية التى طرحتها الاشتراكية العلمية،  
والقائلة بأن حركات التحرير الوطنى العالمية لا بد لها — كقانون  
تاريخى حتمى — بحكم ان رأس حربتها موجه مباشرة ضد الامبريالية  
من ان تتحول الى حركات اجتماعية تقدمية ضد النظام الرأسمالى  
نفسه ، الذى فرز ظاهرة الامبريالية والاستعمار ، كأعلى وآخر  
وخاتمة تطوره ، وبالتالي بداية انحداره وافوله .

وعبقرية ثورة ٢٣ يوليو — وبالتالي عبقرية الناصرية — انها  
كانت أول حركة قومية عربية وعت ذلك كله وعيا علميا سليما  
وممتازا ، وجسدته — ولأول مرة — فى وثيقة نظرية قومية هى  
( ميثاق العمل الوطنى ) — الذى يعد الاول من نوعه فى تاريخ  
انظمة الحكم الوطنية العربية ، والذى يعتبر فتحا كاملا فى ميدان  
الفكر القومى العربى .

وبمضى ثورة يوليو — والناصرية معها — فى ضوء مثل هذه  
الرؤية التاريخية — القومية — الاجتماعية الناصعة المتكاملة فى



مضمار الكفاح العملي نحو تنفيذ مهامها الثورية والنضالية - وعلى مساحة تمتد الى اقطار الوطن العربي الكبير ، والى كل مكان يوجد فيه للاستعمار موقع نفوذ - فأنها دخلت التاريخ المعاصر باعتبارها احدى ظواهره الجديدة والحية ، والتقدمية والشامخة .

وعلى ذلك فان على من يريد مواجهة الناصرية - أى ثورة يوليو - فان عليه ان يفعل ذلك - ليس بدافع الحب أو الكره ، وإنما بغرض الفهم والدرس ، والفحص والتقييم ، وبهدف كشف طبيعتها . وتحديد القوانين الداخلية الوطنية والتقدمية التى تحكم فى حركتها ونموها ، ثم تبين الايجابى والسلبى فيها ، ومدى حظ هذا من ذلك ، وبعد ذلك عليه ان يختار بأن يكون ناصريا ، أو غير ناصرى ، أو صاحب رأى واجتهاد مدروس فى الناصرية ، أو حتى معاديا لها ، تماما كما يكون صاحب موقف ورأى فى ثورة يوليو نفسها ، معها ، أو ضدها أو فى موقف بين بين !

وفى كل الاحوال فان أى وطنى شريف وأى ثورى أصيل ، وأى ديمقراطى حق ، وأى اشتراكى ناضج ، وأى مفكر صحيح ، ايا كان مشربه - ولا يفصل ثورة يوليو عن قائدها ولا يفصل تأثيره الخاص ، وبصماته المحفورة فى مجراها - لا يمكن له الا ان يقف امام ناصر والناصرية بالاحترام كله ، وبالايمان اجمعه ، وبالفهم الواضح والمستقيم قبل كل ذلك وبعده - بأنه طالما وقضايا النضال العربى التى حاولت وارادت ثورة يوليو حلها فى حياة زعيمها ما تزال قائمة ، فان الناصرية - ثورة يوليو - ستظل قائما ، شأنها شأن أى حركة تاريخية أصيلة ، وأنه سيظل لها مكان شامخ وكبير بين قوى المرحلة التاريخية ، حتى تحل هذه المهام ، وأنه لا بد لها من أجل تحقيق ذلك كله من ان تواكب حركة التطور التاريخى ، والتقدم الاجتماعى والسياسى والفكرى ، وان تتزود من ذلك كله بذخيرة لازمة وكافية عبر مسيرتها الممتدة ، وان تزداد نضوجا واكتمالا ، دون أن يعنى ذلك أنه لم ولن تكون هناك - بفعل عملية التطور هذه - اجنحة يمينية ووسطية للناصرية الى جانب خطها اليسارى الثورى والاصيل ، الذى لا محيص لثورة يوليو - حقل التجربة الناصرية المباشر وميدان اختبارها الحقيقى والعمل - من أن تستمر به ، وتجدد فيه وتعمل على تعميقه وتطويره ، دائما وبدون توقف .

وكل ظاهرة ثورية فان لثورة يوليو - وبالتالي للناصرية -



سلبياتها الحقيقية . وليس هناك ثورى واحد يجهل ذلك . او يحاول التستر عليه ، او تضليل الناس عنه .

وعندما كان (الوعى غائبا) عن فطاحلة الفكر الليبرالى فى مصر ، وقبل ( عودة الوعى ) اليهم - وبالذات بعد غياب عبد الناصر - كان الاشتراكيون - بما فيهم الماركسيون - الذين كانوا من البداية الاولى نبضا حارا ومتدفقا فى عروق الثورة ، اول من نبه - فى رفق وحب - الى هذه السلبيات - واول من لفت النظر اليها - فى نبذة أكثر علوا ووضوحا - وفى موضوعية وعلمية متناهيتين ، وكانوا - وقد عجزوا عن الاقنصاع واعيتهم الحيل - اول من وقع تحت وطأة هذه السلبيات واول من ذاق مرارتها ، واول من ضحى - وفى قناعة ورضا - فى سبيل ابداء رأيه لصانع الثورة ، ومن أجل نموها وتقديمها ، حتى لقد بلغ بهم الامر - من شدة تمسكهم وتعلقهم بخط الثورة الوطنى والاجتماعى ، واملا فى تعميقه وتطويره بأكثر الوسائل ديمقراطية ومرونة - حد حل تنظيماتهم السياسية الخاصة ، فى مقابل دخولهم فى الاتحاد الاشتراكى او فى التنظيم الطليعى ، باعتبار كل منهما يمثل التنظيم الشرعى والرسمى الوحيد المجاز فى البلاد ، الذى حظرت الدولة قيام سواه بقوة وحسم باسم الحفاظ على الوحدة الوطنية ، وتحالف قوى الشعب العاملة .

وفى نفس الوقت الذى كان فيه هؤلاء الاشتراكيون - والماركسيون منهم بصفة خاصة - داخل الاتحاد الاشتراكى ، والتنظيم الطليعى ، فى وضع لا يحسدون عليه ، وكانوا من جراء ذلك موضع نقد لاذع من قبل نظرائهم فى الوطن العربى ، حيث استأثر عنهم ممثلو البرجوازية الصغيرة والوسطى ، البيروقراطية والعسكرية والمدنية بكل شيء - فكانوا حداة بين النسور ، أو كانوا - فى كل الاحوال - مجردين من كل امكانية للحركة ان لم يخرجوا تماما من الحلبة ويوضعوا خارج النسور ، دون أى اعتبار أو اهتمام - الا أن يقين هؤلاء الاشتراكيين الاصلاء - رغم ذلك كله - لم يضعف فى أى وقت من الاوقات بضرورة مساندة الثورة - حتى وهم يقبعون فى غياهب السجون - وضرورة المضي معها الى النهاية - حتى بأقدام حافية دامية - واثقين انها لا بد فى النهاية من أن تحسن فهم ومعاملة حلفاء المسيرة الشرفاء ورفاق المصير المشترك الاوفياء ولا بد أن تصحح أى اعوجاج يطرأ على خط سيرها ، فى ضوء تجربتها الخاصة والمباشرة ،



وفي ضوء الخبرات النضالية والعملية التي تكتسبها عبر دربها الطويل والحافل بالاشواك والعقبات .

ولقد كان الرئيس السادات نفسه — وهو احد قادة الثورة البارزين، والذي أعلن بعد تبوئه مركز السلطة الاعلى انه لا يلغى الناصرية — ومازال يكرر ذلك دائما — كان من أوائل من نبه — حتى وهو في قمة المسؤولية وبالصوت العالي أيضا — الى هذه السلبيات ، حتى اعتبر نفسه — في شجاعة ثورية — مسئولا عنها شأنه في ذلك شأن عبد الناصر — تماما كمسئوليتها عن ايجابيات هذه الثورة ، التي لا تؤثر على جوهرها مثل هذه السلبيات مهما كانت ، وبأي معيار من المعايير قيست .

واذا كان ذلك هو منطق الاب الشرعي لكل وليد انساني وكل حدث اجتماعي ذي انتماء صحيح وأصيل فانه لا يضير ثورة يوليو ، ولا عبد الناصر ، ولا السادات ، ولا احدا من المنتمين الى هذه الثورة ، ان يتحدث احد عن اعراض وامراض هذا الكائن الحي والفتى ، والذي لم تمنعه اعراضه وامراضه هذه عن النمو المطرد ، والسير دائما وباستمرار في طريق النضوج والتكامل ، بل والتوقف من حين لآخر ، بقصد المراجعة والتحصيص ، والنقد والتقييم ، تهيئوا لأجراء عملية تصحيح لازمة في خط المسيرة — حتى على يد قادة الثورة الشرعيين والتاريخيين — وتحفزا لوثبة اخرى في اتجاه مسار الثورة التاريخي والتقدمي ، وبما يكفل توسيع وتعميق مجراها الديمقراطي والاجتماعي .

وليس هناك ثوري أصيل — سواء كان ماركسيا أو ديمقراطيا أو ناصريا أو وطنيا خالصا ، من المحيط الى الخليج — لم يرحب بذلك الحوار الخصب والخلاق والمتنوع الذي تفجر اثر انزال الرئيس السادات لورقة تطوير الاتحاد الاشتراكي للمناقشة الشعبية والديمقراطية الواسعة والعريضة التي كان تشكيل « لجنة مستقبل العمل السياسي » احدى حلقاتها ، هذه المناقشة العلنية والجريئة التي تعرضت بالتمحيص والتقييم والنقد ليس لصيغة الاتحاد الاشتراكي فقط ، وانما لكثير من ملامح النظام الذي اقامته ثورة يوليو ، والجديرة اليوم بالتصحيح والتطوير .

ان هذه الانعطافة الديمقراطية التي تتم اليوم في ظل نفس القيادة الشرعية والتاريخية لثورة يوليو ، لا تعبر فقط عن حيوية



ونمو وتدفق هذه الثورة ، وعن عمق انتمائها لجماهير الشعب العريضة ، وعن حسها القومي والثوري اليقظ بأهمية ( المثل النموذجي ) الذي يتحتم عليها ان تضربه دائما وباستمرار للثورة العربية ، وحتى في تلك المراحل التي يبدو فيها ان هذه الثورة تواجه لحظة محنة أو أزمة أو اختناق ، ولا تعكس فحسب دور مصر القيادي والريادي على المستوى القومي العربي ، سواء في مضمار العمل الثوري المباشر أو العمل الديمقراطي الهادي ، وانما هي فوق ذلك كله خير تحية تقدم لعبد الناصر ، سوا من قبل رفيق وخليفة عبد الناصر ، صاحب ورقة التطوير ، أو من قبل الجماهير العريضة التي اشتركت في مناقشتها ، بقصد جعلها في أفضل واكمل صيغة ، وهي خير برهان على أن الامانة الثورية التي تركتها لقيت من ينهض بها - في ظل ظروف صعبة - وعلى أن الشعب الذي انجبه بلغ من الوعي الوطني والاجتماعي حدا لم يعد يحتاج معه للمضى في حمل الامانة الثورية الى أكثر من تعميق مجرى الحريات الديمقراطية والطبيعية التي يقضي بها منطق وتطور الثورة الديمقراطية والاجتماعية التي اشعلتها ثورة يوليو ، ليقوم بتصحيح السلبيات الحقيقية التي ظهرت بالفعل ، وليسير بعملية التطور الاجتماعي في مسارها التاريخي والتقدمي المحتوم ، والمفتوح دائما وباستمرار ، دون خوف من تلك الاصوات النشاز التي ترتفع هنا وهناك ، والتي تحاول ان تعترض المسيرة ، أو تسدها ، أو تحاول حتى العودة بها الى ليبرالية ما قبل الثورة العاجزة ، أو تود لو اختفت من امامها منجزات ثورة يوليو الشامخة ، أو تتمنى لو ابتلعت الارض تلك النباتات الثورية التي ازهرت في ظلها - ممثلة في القوى الوطنية والاشتراكية التي غدت سمة المرحلة وعنوانها وريبعها وحيويتها واداتها التاريخية التي لا تغلب ولا تقهر .



## عبد الناصر والحركة الوطنية في اليمن

لم يبدأ اهتمام جمال عبد الناصر باليمن باليوم الذي اتخذ فيه قراره التاريخي الخطير والفريد بإرسال قواته الى جبال اليمن الوعرة ووهاها السحيقة ، انتصار للثورة اليمنية ، ودفاعاً عن حق الشعب اليمني في التحرر من طغاته المستبدين .

فلقد كانت اليمن — التي تتحكم بموقعها الجغرافي الهام في المدخل الجنوبي للبحر الاحمر ، كما تتحكم مصر في شماله — تقع منذ البداية في موقع بارز من دائرة اهتمامه السياسي ووعيه القومي .

فبعد قيام ثورة ٢٣ يوليه الرائدة — وحين لم تتح ظروف المملكة المتوكلية اليمنية الخاصة عدا قيام حركة معارضة تقليدية ، متواضعة الاهداف ، محدودة الافق ، ورغم ذلك مضطهدة من قبل الامام ومحاربة ، بل وغير مسموح لزعمائها المشردين بأن تطلأ اقدامهم أي أرض عربية على الاطلاق ، استجابة لرغبة حاكم اليمن المطلق أحمد بن يحيى حميد الدين — كانت مصر عبد الناصر هي البلد العربي الوحيد الذي اخترق هذا الحصار ، وتحدى ارادة الامام ، واتاح لكل يمني حر — مهما كانت درجة فهمه للعمل السياسي الصحيح — ان يمارس من القاهرة مسئوليته في الكفاح ضد الحكم الفردي المتسلط على اقدار صنعاء ، كما اتاح المجال كذلك لكل مناضل عربي .

واستثمارا لهذه الامكانية النضالية قدم من باكستان الى أرض الكنانة زعيم حركة المعارضة اليمنية المطارد محمد محمود الزبيرى الذى وجد الفرصة متاحة الان لتأسيس هيئة سياسية مناوئة لحكم الامام هي « جمعية الاتحاد اليمني » ، والذى مكنته اذاعة « صوت العرب » من توجيه احاديث سياسية منها .

وفي الوقت الذى كانت فيه سياسة مصر الثورية تقوم على تشجيع نمو أي حركة سياسية تستهدف القضاء على حكم الاستبداد والقهر ، الا انها كانت تقف بوضوح وحزم ضد أي عمل انقلابي من



شأنه ان يخرج اليمن من عزلتها ، ليدفع بها مباشرة الى احضان  
الاستعمار الجديد .

ولذلك فانه عندما قادت بعض عناصر المعارضة اليمنية حركة  
انقلابية في مارس ١٩٥٥ بقيادة العقيد أحمد الثلايا أحد خريجي  
اكاديمية بغداد العسكرية عام ١٩٣٩ - ووضعت على رأسها اماما  
جديدا ، هو عبد الله بن يحيى حميد الدين ، أخو الامام أحمد نفسه ،  
والذي كان معروفا بارتباطاته القوية بدوائر الاستعمار الأمريكي  
كما كان معروفا بعدائه الشديد للخط التحرري الذي تمثله القاهرة  
فان مصر سرعان ما تصدت لهذه الحركة واتاحت للزيري مجال  
مهاجمتها من اذاعة « صوت العرب » ، وارسلت السيد حسين  
الشافعي الى تعز للتأكيد بأنها بعيدة تماما عن هذه الحركة ، نفيا  
لاى شبهة أو التباس ، ولاسيما بعد أن أخذ الامام أحمد يهمس بأن  
البعثة العسكرية المصرية للتدريب كانت على علاقة ما ببعض من  
دبروا هذا الانقلاب الفاشل .

وعندما لم يف الامام بوعوده التي قطعها ، وامام ممثلى مصر  
بأنه سيعمل منذ الان - بعد أن رفضت الجماهير التجاوب مع هذه  
الحركة - على تلبية مطالب الشعب المشروعة ، فى ادخال الاصلاح  
الاقتصادى والسياسى والادارى على حياة البلاد ، فإن القاهرة لم  
تلبث ان واجهته بموقف قوى وصريح ، وآوت زعيما آخر من زعماء  
حركة المعارضة - التى لم يكن هناك سواها فى مجابهة الامام -  
وهو أحمد محمد نعمان ، ووضعت اذاعة « صوت العرب » تحت  
تصرفه ، وتصرف زميله الزيري للتنديد بحكم ملك اليمن الظالم  
الجائر ، كما اتاحت لهما ابتداء من أغسطس ١٩٥٥ اصدار نشرة  
معارضة من القاهرة ، هى جريدة « صوت اليمن » .

حينذاك أحس الحاكم المتوكلى المستبد ان رياح المعارضة التى  
تهب من القاهرة قد أخذت تتردد أصداؤها فى كل ركن من الارض  
اليمنية ، وأن عبد الناصر شرع يكتسب شعبية متعاظمة فى جميع  
أنحاء البلاد لوقوفه فى وجه « الحاكم بأمر الله » أحمد بن يحيى  
حميد الدين الذى طالما احتز الرقاب ، وسفك الدماء ، واستهان  
بأقدار الشعب ، دون أن يرغب أو يجرؤ حاكم عربى من قبل على  
مجرد توجيه النصيح اليه بالتخفيف من غلوائه ، والحد من بطشه  
وجبروته .

وللحيلولة دون اتساع الخرق ، وانتشار لهيب المعارضة ضده



وبالتالى سقوط عرشه فان امام اليمن وضع القاهرة امام خيارين  
لا ثالث لهما ، اما ان تكف عن مناوآته وتشجيع المقاومين لسلطانة ،  
او يربط نفسه ويربط البلاد معه بعجلة حلف بغداد الاستعماري . .  
ولان جمال عبد الناصر كان يقود وقتها حملة هجومية مركزة  
ومؤثرة ضد هذا العلف - الذى كان يستهدف ضمن ما يستهدف  
تطويق ثورة ٢٣ يوليو ، وحصار حركة التحرر الوطنى العربية التى  
اخذ ينشطها ، ويضخ دماء الحياة فى شرايينها - فانه أثر - لها  
السبب - القبول بأخف الخيارين ، واحتمال أهون الشرين ، فأمر  
بالكف عن المناوأة « العلنية » لحكم الامام ، وايقاف الاحاديث  
السياسية الموجهة ضده من « صوت العرب » وتعطيل جريدة « صوت  
اليمن » .

وفى نفس الوقت أيضا اراد أن يجتذب الامام الى المحاور  
التحررى - كما اراد كذلك أن يشد الملك سعود الذى كانت الصراعات  
التقليدية الاسرية القديمة بين العرش السعودى والعرش الهاشمى  
ما تزال تحكم علاقاته ببغداد - وان يفتح - فى جو العلاقات العادية  
مع حكام صنعاء - ثغرة فى جدار العزلة المحكم المضروب حول  
اليمن ، وان ينفذ من هذه الثغرة الى رحاب هذا البلد التعس  
المنكوب ، بغية المساعدة على ادخال ، ولو بعض التحسينات على  
أوضاعه الادارية ، واطلاق نفس الحياة ، ولو فى بعض عروقه التى  
كادت تتوقف عن النبض منذ حين .

ولهذا الغرض دفع المناضل السياسى عبد الناصر كلا من  
الامام أحمد والملك سعود الى عقد ميثاق جده العسكرى الثلاثى  
الذى أبرم فى ٢١ ابريل ١٩٥٦ ، والذي قصد به أن يكون حلفا مضادا  
لحلف بغداد الرجعى ، وموجها - بصورة خاصة - ضد الاستعمار  
البريطانى .

ونظر لضعف الحركة السياسية المناهضة لحكم ابن حميد  
الدين ، وفقدانها أى برنامج ثورى ، وعلى أمل المعاونة فى اخراج  
اليمن من الكهف المظلم الذى ارغمت على البقاء فيه ، ورجاء  
اقتحام أسواره الصفيقة المنيعه فان رائد الوحدة العربية لم يتراجع  
عن قبول طلب الامام أحمد بانضمام بلاده الى الوحدة المصرية  
السورية ، واقامة « اتحاد الدول العربية » الذى اعلن قيامه  
فى ٨ مارس ١٩٥٨ ، وضم الجمهورية العربية المتحدة والمملكة  
المتوكلية اليمنية .

ورغم أن الزعيم المحنك عبد الناصر كان يدرك — منذ البداية — مدى صعوبة تقبل امام اليمن ، واستيعاب مملكته الموصدة الابواب والاثرية ضمن اتحاد يتحتم أن يكون ذا طبيعة ثورية ، وكان يعلم سلفا مدى مشقة اختراق حائط العزلة السميكة الذي يلف اليمن من كل الجهات ، ومدى وعورة المسالك التي يصبح محتما اقتحامها واجتيازها لتمكن حركة الثورة العربية من النفاذ — في ظل شرعية هذا الاتحاد وعن طريقه — الى الصعيد الشعبي اليمني وبغرض خلخلة الهيكل الاجتماعي والسياسي المتخشب المتيبس ، فإن عوامل سياسية اضافية أخرى — فوق الامل والرجاء ، واهمية خوض غمار التجربة — أملت قيام هذا الاتحاد — كما أملت من قبل عقد ميثاق جدة العسكري ، الاوهى : ضرورة اعتراض السبيل على الاستعمار الذي كان يعمل في هذا الوقت من أجل اقامة « الاتحاد الهاشمي » بين العراق والاردن ، الذي أريد له أن يكون موجها ضد الوحدة المصرية — السورية ، ثم فائدة « تكليف » الامام أحمد في اطار اتحاد الدول العربية ، ذلك لأنه « اذا لم نأخذه معنا ، فمعنى ذلك أننا نعطيه هدية لسعود الذي يتأمر على الجمهورية منذ يومها الاول . » فوق « أنها ( هذه الخطوة ) قد تفتح طريقا للحضارة حتى تدخل اليمن ، وانها قد تخفف من الضغط على العناصر الوطنية في اليمن ، كما تحدث حينذاك شكري القوتلي في تبريره لقيامه هذا الاتحاد . ( محمد حسنين هيكل — مرحلة الصراحة والوضوح — الاهرام ٢٩/١٢/١٩٦١ ) .

ولهذه الاسباب مجتمعة فإن القائد العربي رأى — بعد طول تفكير — أنه مما قد يحقق هذه المقاصد ، ولاسيما ما يتعلق منها بتطوير الاوضاع في اليمن ، واخراجها من عزلتها المقيتة والمميتة أن تكون مدينة الحديدة اليمنية مقرا للاتحاد .

غير أن الامام أحمد ما لبث أن برهن بأن كل همه من الدخول في هذا الاتحاد هو تأمين نفسه من القاهرة ، وحماية ظهره من سياط الثورة العربية اللاسعة ، عملا بقاعدة انتهازية تقول « اقتراب من الشر تأمن » . وبالتالي ضمان اسكات « صوت العرب » اطول مدة ممكنة ، وتكليم أفواه المعارضة اليمنية حتى لا تنطلق اصواتها بالصخب ضده من القاهرة مرة أخرى .

ولذلك فإنه لم يتح للمجلس الاعلى لهذا الاتحاد أن يجتمع مرة



واحدة لا فى الحديدية ، ولا فى القاهرة ، كما لم يسمح الامام بتنفيذ بند واحد من بنوده ، ولم يستطع حتى ان يدارى مناورته السياسية المفضوحة التى دفعت به للتعلق بأذيال الحركة العربية الصاعدة التى لم تمهله كثيرا ، فرفضته بعيدا عنها الى الوزراء ، ولفظة تيارها الثورى المتدفق كما يلفظ الموج الزيد .

ولقد سعى حاكم اليمن الاقطاعى بنفسه سعيا الى تقريب الحبل من عنق نظامه كله ، عندما كلف نفسه ، أو كلفه الملك مبعود بالقيام بدور كان كثيرا ما يتهرب ويجبن عن القيام بأصغر منه ، وذلك عندما أراد التصدى للجمهورية العربية المتحدة — مستغلا حركة الانفصال المشنومة — ووزع قصيدته الرثة التى هاجم فيها الوحدة العربية ، والثورة الاجتماعية التى كان جمال عبد الناصر قد أخذ يقودها منذ عام ١٩٦١ ، والتى استهلها باجراءات التأميم الشهيرة .

ان الاهمية السياسية لهذه القصيدة تتمثل فى انها كانت تعبيرا طبقيًا واضحا وصريحا عن العداء الشرس الذى يكنه الاقطاع اليمنى والعربى كله للثورة الوطنية — الاجتماعية العربية التى فجرها جمال عبد الناصر ، ووضع نفسه على قيادتها ، وأخذ ينشر أجفحتها فى كل اتجاه من الارض العربية ..

ولذلك فان من المهم أن نجتزىء من أبياتها الاربعة والستين هذه الابيات التى تلخص محتواها السياسى والطبقى العام :

على أصول بيننا مرضسيه  
قدسية الاوصاف والاحكام  
تجيز ما الاسلام عنه قد منع  
وما تكسبوا من الحلال  
بين ذوى المال ومن لا مال له  
فى الدين أو تجيزه العقول  
جريمة فى شرعة الاسلام  
الا بأن يرضى بدون ضمير

هيا بنا لوحدية مبنية  
قانونها شريعة الاسلام  
ليس بها شائبة من البسودع  
من اخذنا للناس من اموال  
بحجة التأميم والمعادلة  
لان هذا ماله دليل  
فاخذ مال الناس بالارغام  
ولا يجوز أخذ مال الغير

لم تكن تحتاج الجمهورية العربية المتحدة الى صدور وقراءة هذه القصيدة حتى تتعرف على حقيقة موقف الاقطاع اليمنى ازاءها وازاء الثورة العربية التقدمية ، فذلك كان معروفا سلفا ، ورايها

فى النظام الامامى الذى يجسده كان قد تحدد بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو  
التي كان من مبادئها الستة القضاء على الاقطاع فى مصر .  
غير أن سلوك الامام العدائى والسافر هذا كان السبب  
الظاهر — وليس العميق — لاعلان القاهرة فى ٢٦ — ١٢ — ١٩٦١  
انهاء أعمال « اتحاد الدول العربية » .

وقد اعتمد فك هذا الاتحاد على أساس « انه لا يوجد فى طبيعة  
أى من الحكومتين ما يجعل قيام مثل هذا الاتحاد أداة سياسية  
فعالة قادرة على الاسهام فى تطوير النضال العربى » ، وعلى  
اعتبار « أن قضية الوحدة أو الاتحاد لا يمكن أن تقوم على أساس  
صحيحة ، مالم يكن هناك توافق بينها وبين الاطراف التى يعنىها  
الامر على حلول مشاكل التطور الاجتماعى . . » ومن حيث « أن  
حكومة الجمهورية العربية المتحدة أقبلت على خطوة اقامة الاتحاد  
العربى ، تملؤها الآمال بأن تستطيع هذه الخطوة أن تكون أداة فى  
خدمة الشعب اليمنى ، وفى خدمة قضايا العادلة ، ولكن تجارب  
السنوات الماضية أكدت بما لا يقبل مجالا للشك أن الشعب اليمنى  
لم يستفد من التجربة . »

( الاهرام ٢٧ — ١٢ — ١٩٦١ )

وبعد ذلك مباشرة قرر جمال عبد الناصر — وهو الذى لا تزيده  
ضراوة وحماسة الرجعية الا تحفزا وتصميما واقتناعا بضرورة أن يكون  
الرد عليها هو صفعها فى الوجه مباشرة — فتح النار على وكر القرون  
الوسطى المختبىء فى جروف اليمن ، وخوض معركة فاصلة مع النظام  
الاقطاعى الامامى ، وعدم تمكينه منذ الآن من فرصة واحدة أخرى  
للمناورة السياسية ، أو حتى التنفس الطبيعى ، والتهرب من مصيره  
المحتوم .

وكانت كلمات الاستاذ محمد حسنين هيكى فى ٢٩ — ١٢ —  
١٩٦١ فى الاهرام اشارة واضحة الدلالة على عزم الجمهورية العربية  
المتحدة على السير فى هذا الاتجاه الى النهاية ، حيث جاء فيها :  
« لقد تم الاتحاد مع اليمن فى ظروف مرحلة سابقة من النضال ،  
اقتضت أو تصورنا خطأ أنها اقتضت مدارة الرجعية والسكرات  
عنها ، حتى تنفس فرصة لتدعيم تجربة الوحدة الأولى بين مصر  
وسوريا . »

وكان القائد المجرب عبدالناصر قد حدد من جديد



استراتيجية الثورة العربية على نحو حاسم قاطع على ضوء الهجوم العام والفادر الذى قامت به قوى الثورة المضادة . وانتزعت به دمشق من حضان الوحدة ، وحولتها الى رأس جسر ممتد لمواصلة الزحف فى اتجاه حسر وخنق قاعدة الثورة العربية المتمركزة فى القاهرة .

ففى خطابه الذى القاه فى ١٦ - ١٠ - ١٩٦١ قال المكافح الفذ : « لقد وقعنا ضحية وهم خطير ، قادتنا اليه ثقة متزايدة بالنفس ، وبالفير ، فقد كنا دائما نرفض المصالحة مع الاستعمار . ولكننا وقعنا فى خطأ المصالحة مع الرجعية . لقد تصورنا انه مهما كان من خلاف بيننا وبين العناصر الرجعية فانهم ابناؤ نفس الوطن ، وشركاء نفس المصير ، ولكن التجربة أثبتت لنا خطأ ما كنا نتوهمه ، ولا بد لنا لسلامة النضال الشعبى ان نخلص انفسنا من هذا الوهم الخطير الذى تركنا انفسنا له ، لا بد من ان نقاتل الاستعمار فى قصور الرجعية ، وان نقاتل الرجعية فى احضاء الاستعمار . . . » ولقد كانت عملية الحصار الرجعية ، والاقليمية الشاملة المدعومة من الاستعمار والتي قامت بها الدول العربية ، وشاركت فيها حكومة الامام ، وكان مؤتمر شتورا ببلبنان نذيرا بها ، وبعزم كل قوى الثورة المضادة على اطباق يديها على خناق النظام الثورى التقدمى فى مصر ، حتى يلفظ أنفاسه ، من العوامل والحوافز المباشرة التى حركت قاعدة وطليلة الثورة العربية للقيام بهجوم ثورى معاكس على جبهة الاستعمار والرجعية ، بغية كسرها فى اضعف مواقعها .

ولقد كان النظام الامامى الاثرى والمحنت ، المقنوت والمستتهجن البعيد تماما عن مسار حركة التقدم والتطور ، والمعزول نهائيا عن جماهير الشعب اليمنى ، المستهلك تاريخيا فى كل مقومات وجوده ، والمنتهى موضوعيا فى كل مبررات استمراره هو - نظريا وعمليا - ذلك الموقع الضعيف والمتهاوى فى جبهة الاقطاع والاستعمار على طول الساحة العربية .

ولم يكن النظام الامامى وحده هو المستهلك ، وانما كذلك كانت حركة المعارضة اليمنية التى قامت ضده ، والتى يعود تاريخ نشوئها الى منتصف الثلاثينيات ، والتى كانت بعض قياداتها مشبوهة بعلاقاتها القديمة مع الاستعمار البريطانى ، والتى ظلت سياستها متسمة دائما بالتراجع والتذبذب ، ومناهضة الامام حينما ، ومغازلته

حينما آخر ، والتي بسبب ارتكازها على قوى طبقية هي من جنس القوى الطبقية التي كان يعتمد عليها النظام الحاكم ، لم تكن تستطيع ان تضع برنامجا سياسيا تتخطى به طبيعة الدولة الامامية — الاقطاعية ، وهي لهذا تنتقل بولائها من هذا الامر الى ذلك ، فهي حينما ترشح « سيف الحق » ابراهيم بن يحيى حميد الدين للامامة ، ثم تضع هذا الولاء في عبد الله بن احمد الوزير ، وتتفرع الى جناحين جناح يعتبر أنا « سيف الاسلام » عبد الله بن يحيى حميد الدين هو الامام المنقذ ، وجناح آخر يعلق طوق النجاة على « ولي العهد الشاب محمد البدر » ثم هي ترفع شعار الجمهورية في استحياء وخجل شديدين وفي لحظة « تجلى نادرة الحدوث » وكأنها تجترح احدى الكبائر ، وتقترف احدى الموبقات ، وبالذات في تلك اللحظات التي يظهر الامير البدر فيها « ابتعادا وتعاليا » عنها ، وهي تكل امر تحقيق هذا الشعار الى قوى قبلية اقطاعية لا تملك ما تقدمه عدا وضعية وعقلية مفرقتين في التخلف والجهل ، قوى هي من نفس عقلية وطينة القوى القبلية — الاقطاعية المتأخرة المتحجرة التي ظل يستند اليها العرش الامامي منذ مئات السنين ، ثم هي تسحب هذا الشعار فورا بعد فشل محاولتها البائسة ، ليقع بعضها بالرجاء أن يأتي الخلاص على يد محمد البدر « امام وامل المستقبل » وليقع البعض الآخر هائرا ضائعا لا يدري ما يصنع وما يدع .

ولقد كان زعيما حركة المعارضة اليمنية محمد محمود الزبيرى ، واحمد محمد نعمان اللاجئان السياسيان حينذاك في القاهرة يمثلان هذه الحالة السياسية التعسفة ، ومعهما كثير من انصارهما داخل البلاد وخارجها .

ولذلك فانه لم يكن ينسجم مع استراتيجيات الثورة العربية الجديدة العودة مرة اخرى الى التعاون معهما ، واعطائهما التسهيلات التي كانت تمنح لهما من قبل — حين لم يكن هناك غيرها — وكان عليها هذه المرة أن تقدم دعمها السياسى للقطاعات الأكثر استجابة لمقتضيات التطور ، والاقدر على مجابهة النظام الامامى بحكم انتماءاتها الاجتماعية ونزوعها السياسى .

ولقد كانت الطبقة الوسطى من الطبقة البورجوازية التجارية اليمنية الناشئة ، والتي كانت تتعارض مصالحها منذ حين مع مصالح النظام الاقطاعى — الكهنوتى والتي كان معظم راسمالها مايزال خارج البلاد لعدم تمكنها — في ظل الحكم الاستبدادى



الشرس — من استثماره في داخلها تمثل احد القطاعات المستنعدة اجتماعيا ، والمهيئة طبقيًا ، والمتطلعة سياسيا الى اسقاط هذا النظام وكان يجسد هذه الفئة في الداخل عبد الغنى مظهر ، وعبد القوى حاميم ويمثلها في الخارج عبد الرحمن البيضاني .

وكان بعض من مجموعة الضباط التي تخرجت في بغداد عام ١٩٣٨ ، أو التي تخرجت في القاهرة عام ١٩٥٦ ، أو التي تدرجت على يد هؤلاء وأولئك ، أو على يد الضباط المصريين والروس في اليمن يشكل القطاع الآخر المستعد ، والمؤهل ، والمتحفز للاطاحة بالامامة الرجعية المتخلفة ، وذلك بفضل احتكاكه بتيارات النهضة والتقدم في الخارج ، أو تفاعله مع العناصر العسكرية التي كانت تشرف على تدريبه ، ثم بحكم انتمائه الى بورجوازية المدينة الصغير المتبرمة من حكم « الوصاية الآلهية » المفروض بحد السيف على الرقاب والعباد وكان العميد عبد الله السلال ، والمقدم عبد الله جزيلان والنقيب علي عبد المغنى يمثلون هذا القطاع من العسكريين ، وإن عمل كل من هؤلاء ضمن مجموعة خاصة به ، وبقي له أسلوبه السياسي المتميز الذي هدته اليه فطنته وتجربته الخاصة ، مع اتفاق الجميع على ضرورة اقامة النظام الجمهوري مكان النظام الامامي .

وعندما بدأ الدكتور عبد الرحمن البيضاني — أحد أعضاء حركة المعارضة اللاحقين — يذيع من « صوت العرب » وينشر في مجلة روز اليوسف ، أحاديث ضد حكم الامام أحمد ، ولم يتح لغيره في نفس الوقت ما يتيح له ، استنتاج زعيمًا حركة المعارضة الكلاسيكيان الزبيري والنعمان بأن القاهرة تدفع بالاحداث في غير الاتجاه السياسي المعتاد الذي كانا يترسمانه ويسيران عليه ، وإن تحركا ثوريا يجري التحضير له في داخل اليمن بتشجيع وتعزيز من الجمهورية العربية المتحدة ، وأن الدعاية المضادة الموجهة ضد الامام من القاهرة لا تعدو أن تكون أعمدة من الدخان تنبئ بوجود نار ثورية في الداخل تتقد ، وتوشك في أي لحظة أن تندلع .

واتساقا مع منطقيهما السياسي الطبقي — حيث كان الزبيري يعكس مصالح الجناح القبلي — الاقطاعي المعارض ، بينما كان النعمان يعبر عن مصالح الفئة الكومبرادور الهزيلة — فانهما بادرا الى اعلان معارضتهما الصريحة — وهما في القاهرة — لأي دور تقوم به الجمهورية العربية المتحدة في مساعدة أحرار اليمن للخلاص من طغاة القرون الوسطى .

ففى كتابه « ثورة الشعر - الذى اصدره بالقاهرة فى مايو ١٩٦٢ ، ص ١٢٧ » يعبر الزبيرى عن هذا الموقف الاقليمى القروى المدان الذى يكشف اتجاه القوى القبلية - الاقطاعية . ويفضح نفس العناصر الكومبرادورية على النحو التالى :

« ولنفرض جدلا أن الثورة العربية فى مصر تجاوزت عن ظروفها الذاتية والمحلية ، وصنعت لليمنيين ثورة ، وخلصتهم من حكم الامام الرجعى وأوضاعه من جذورها . فهل يكون ذلك شرفا لليمنيين ، أم يكون عارا وشنارا ؟ أما أنا فأنى أضرع الى الله أن يثبت مياسسة الجمهورية العربية المتحدة على الابتعاد عن التدخل الثورى فى الشئون الداخلية لليمن ، حتى لا تهزها العاطفة فى يوم من الايام فتتصدى للقيام بعمل ثورى ضد الرجعية اليمنية نيابة عن الشعب ، لان ذلك يعنى أن يدمغ الشعب بوصمة فى جبينه الى الابد ، !!

لم يكن لهذا الموقف من قبل زعامة « الاتحاد اليمنى » فى القاهرة أدنى تأثير على القوى الوطنية داخل البلاد التى كان وراءها رصيد ضخيم من انتجارب الميرة التى خاضتها قوى المعارضة ضد الامام والتى كان مصيرها السحق ، وهى ما تزال فى المهد على يد القوى القبلية الاقطاعية المشياعية للامام ، والتى كان أبرزها على الاطلاق حركة ١٩٤٨ ضد الامام يحيى التى ، وان نجحت فى اغتيال الامام بالذات ، الا ان صنعاء العاصمة ما لبثت ان وقعت تحت وطأة حصار قبلى كثيف ورهيب ، سرعان ما تحول الى عملية اجتياح متوحشة للمدينة ، اتت على الاخضر واليابس فيها ، حيث نهبت كل ما وجدته بها ، واستباححت كل من كان يعيش بين ظهرانيها وقتلت كل من اعترض سبيلها ، ووقف مدافعا عن ماله وداره ، وعرضه وحرماته ، وعبثت بصنعاء التى اباحها لها الامام احمد ، كما لم يعبت بها أحد من قبل ، حتى من افتك وأشرس الغزاة ، وجرجرت الانقلابين بالسلاسل الى سيدها المطاع ، وعزرت بهم اشنع تعزير ، وحشت وجوههم بالتراب ، وأمطرت وجوههم بالبصاق ، وشيعتهم بأفحش اللعنات ، وأسلمتهم بأيديها الى شفرات سيوف الامام .

واعتبارا بهذه التجربة البشعة ، الدامية والمأساوية ، وبغيرها من التجارب الثقيلة المتلاحقة ، وأخذاً فى الحسبان طبيعة وخطورة الطوق الاسستعمارى ، الرجعى المضروب والمحيط باليمن من كل الجهات ، أصرت القوى الوطنية فى الداخل على الا تفجر الثورة ضد



الحكم الامامى المسعور الا بعد الاطمئنان تماما الى أن حامية الثورة العربية الباسلة ، وطليعتها الصدامية ستتحرك لنجدة النوار لمواجهة المخاطر الاكيدة التى لا يعرف مداها والتى سستثور فى وجهها لا محالة .

وبينما كان « الاتحاد اليمنى يمد حبال الود والوصال » مع ولي العهد محمد البدر الذى خلف أباه المتوفى ، وتلقب بالامام « المنصور بالله » ، ويرسل اليه فى ٢٢ / ٩ / ١٩٦١ برقية بتوقيع أمينه العام أحمد محمد نعمان يهنئه فيها « بأمارة المؤمنين » ، ويعرب فيها عن رجائه « بتحقيق الآمال والامانى التى التفت الشعب من حولكم على أساسها » . ويذكره بمطالبه « المرفوعة » والمعهوده بأن « من حق الشعب ( حركة لمعارضة المهادنة ) ان يشارك فى تحمل عبئه الكامل من المسئوليات ، كان ثوار صنعاء يشحذون اسلحتهم ، ويتسابقون مع الزمن ، ليجهزوا على آخر ملك من بيت حميد الدين ، وخاتم امام فى تاريخ الامامة الطويل الذى امتد قرابة عشرة قرون ، قبل أن يجهز هو عليهم — وقد فشى سرهم — ويضربهم — « الجذوع » و « النصف » — كما قال — لاكما كان يفعل أبوه من قبل الذى كان يكتفى بضرب الرقاب .

وهكذا اشتعلت ثورة ٢٦ سبتمبر المجيده فى صنعاء ، وكانت اول ثورة وطنية تشهدها جزيرة الاقطاع العتيد ، والاستعمار القديم والجديد .

ولم تكن تقديرات ثوار اليمن خاطئة ، اذ سرعان ما احدثت بالثورة اليمنية كل قوى التخلف المتراكمة فى جزيرة العرب منذ مئات السنين ، وكل القوى الاستعمارية والامبريالية ، بغية القضاء عليها واغراق اليمن بمن فيها وما فيها فى طوفان ساخن من الدم .

وكما كان متوقعا لم تقف القاهرة مكتوفة اليدين ، عندما لاح الخطر ، وطلب ثوار اليمن النجدة الضرورية . « فى ذلك الوقت فان صنعاء الثورة طببت ضمان القاهرة ، ومساعدتها فى أن لا يتمكن حلف الاستعمار والرجعية من ضرب ارادة الشعب اليمنى .

فى ذلك الوقت قدمت القاهرة ضمانها ، ووضعت قوتها فى تأكيده ، وتعزيزه . »

( الاهرام ١ — ٧ — ١٩٦٦ — بصراحة — طلب ضمان امريكى للسعودية .. ونتيجة حرب محدودة فى اليمن — محمد حسنين هيكل ) .

بذلك لم يبق قائد الثورة العربية المقدام بعيدا عن ساحة  
الصدام ، فلم تدخل الثورة شهرها الثاني حتى أخذت طلائع جيش  
التحرير والفداء تمخر عباب البحر الاحمر، وتشق اجواء الجزيرة العربية،  
وتضع صنعا، البطلة في حدة العين ، وتجعل من نفسها سياجا  
منيعا لجمهورية ٢٦ سبتمبر الوليدة ، وتتخذ من قمم جبال اليمن  
مواقع وثوب ضد جحافل الثورة المضادة ، ومن شعابها خنادق  
حصينة لحماية الثورة الفتية .

لقد كانت المأساة التاريخية المروعة والمتفردة في نوعها التي  
عاشها الشعب اليمني تحت غاشية الامامة الطويلة الامد سببا مباشرا  
لان يعتبر جمال عبد الناصر — وهو النبض الحي في وجدان أمته ،  
والمعبر الصادق والامين عن ضميرها القومي اليقظ — ثورة اليمن  
ثورته هو ، وثورة شعبه ومسئولية نجاحها مسئوليته هو ومسئولية  
أمته ، وأن يتعامل معها على هذا الاساس ، ويتفاعل معها بهذه  
الروح ، وان يفتديها بالتالي — باسم الثورة العربية جميعها — بكل  
مرتخص وغال .

واشارة الى هذه المكانة الخاصة التي احتلتها ثورة الشعب  
اليمني عنده ، والى الاهمية البالغة التي اولاهها اياها قال البطل  
العربي فيما يشبه صدق ويقين وتضحية الانبياء : « ... ونعتبر  
ثورة اليمن ثورتنا ، ثورة العرب كلهم ، والا ما كناش بعثنا ابناءنا  
هناك ، ليقاتلوا ويستشهدوا ويضربوا اكبر اكبر صفحات البطولة »  
( الاهرام — ٢ — ٥ — ١٩٦٦ )

كان البدر المخلوع — الذي استطاع التسلل بليل من قصره  
المهدم الى وراء الحدود — قد وضع نفسه ومن كان قد نجا من نهايته من  
بقايا اسرته ، لوجوده خارج البلاد ، تحت تصرف الامبريالية العالمية ،  
وحلفائها ، عليه يستعيد عرشه المفقود ، ويفتح بجيوش الاستعمار  
والرجعية اليمن من جديد ، ويبيحها لها ، تفعل بها ما تشاء ،  
وتتصرف في مصيرها كما تريد .

ولهذا الغرض رسمت الدوائر الاستعمارية والرجعية خطة  
جهنمية متشعبة الاطراف اعتبرت على اساسها اليمن ساحة حرب ،  
حشدت لها جيشا ضاريا من المرتزقة جمعت من كل مكان من داخل  
اليمن ومن خارجتها ، تكون مهمته القيام بهجمات جانبية على أجنحة  
هذه الساحة ، وبالذات في مارب جهة الشرق ، وفي صعدة من  
الشمال ، وفي المحابشة بداخل المنطقة الجبلية ، وذلك بقصد



التعمية ، وتشيتت قوى الثورة اليمنية والعربية ، بينما تنسدفع  
- بقيادة البدر - قوة هجومية ضخمة ومزودة بأحدث سلاح  
- فى مثل انطلاقه الرمح - لتشق قلب البلاد ، مبتدئة بمدينة  
« حرص » الواقعة شمال غربى اليمن ، والمتكئة مباشرة على جبال  
رازح الوعره ، على ان تخدم حرص بعد السيطرة عليها كقاعدة  
احتشاد ومركز تموين ، ورقبة جسر فى عملية الهجوم العاصف  
فى اتجاه داخلية البلاد .

غير أن هذه الخطة التى دبرتها دوائر الحرب الاستعمارية  
بدقة واحكام ، والتى اريد لها ان تكون تطبيقا عمليا - وعلى صعيد  
- الجزيرة العربية - لاستراتيجية الحرب المحددة ، التى تفتقت عنها  
ادمغة ومطامع القوى الاستعمارية ، وكانت آخر « صيحة » فى  
تخطيطاتهم العدوانية التوسعية لم تكن « شفرة عسكرية » صعبة  
الحل ، ذلك لان جيش الثورة العربية كان متحسبا حدوثها ، ومعدا  
عدته مع قوى الثورة اليمنية لاحباطها .

وفى الوقت الذى حوصرت فيه مواقع الحشود الملكية  
والاستعمارية على اجنحة الجبهة الممتدة بلا حدود ، كانت القوى  
الصدامية الرئيسية والضارية تدفن وتدمر - بغير ما رحمة - فى مطلع  
نوفمبر ١٩٦٢ - بين الالفام ، وتحت وابل النيران ، ووسط حمم  
قنابل وصواريخ الطائرات - قرابة ثلاثة آلاف الى أربعة آلاف  
قتيل وجريح من جحافل المرتزقة ، بعد أن تركتها تتقدم الى حتفها  
الى بعد ثلاثة كيلومترات جهة الشمال الغربى من مدينة « حرص »  
ولم تجد جيش الملكية والاستعمار - ازاء هذه الكثافة من  
النيران ، وازاء بسالة المقاتلين الثوار - لا مدافع الهاون ، ولا غيرها  
من الاسلحة الخفيفة ، فلم ينبج من الموت الزوام الا من سابق فى  
هروبه الجامح سرعة الريح ، وارتمى مطوحا خارج الحدود .  
وكانت معركة « حرص » قاصمة الظهر بالنسبة للمخطط  
الامبريالى التوسعى كله .

ولان معركة اليمن فى أساسها لم يكن مقصودا بها اسقاط  
عرش بيت حميد الدين فحسب ، وانما اشعال نار الثورة العربية فى  
الحطام الهش من الانظمة البالية التى خلفتها القرون الوسطى فى  
هذه المنطقة ، وصب شواظها على حقول وامبراطورية البترول  
الاحتكارية الامبريالية ، ورد المد الرجعى - الاستعمارى الى الوراء  
ودحر قوى الثورة المضادة عن مواقعها الامامية التى كانت قد احتلتها

على نطاق الساحة العربية ، فان الدوائر الاستعمارية عازمت على الا تتراجع قيد انملة عن خططها العدوانية ، رغم الفشل الذريع الذى منيت به فى « معركة حرض » وصممت على جعلها « معركة جبهوية مركزة شاملة » عسكرية واقتصادية وسياسية واعلامية . بقصد استنزاف قوات الجمهورية العربية المتحدة ، وانهاك قوى الثورة اليمنية ، واضطرارها معا الى الركوع والتسليم فى اخر الامر ، وبقصد خنق مصر نفسها بمحاصرتها اقتصاديا ، والتشهير بها سياسيا ، والتنديد بها اعلاميا ، والتعبئة ضدها دوليا .

غير ان الفارس الوطنى والقومى الذى رأى فى الثورة اليمنية تجسيدا حيا ، وتعبيرا مكثفا للثورة العربية الشاملة ، والذى اعتبر الانتصار فيها انتصارا يتخطى فى اهميته واصدائه ونتائجه القريبة والبعيدة حدود اليمن نفسها ، بل وحدود الجزيرة العربية كلها ، ليمتد بآثاره الى مواقع الرجعية والاستعمار فى كل مكان من الارض العربية — قبل التحدى الاستعمارى برجولة منقطة النظر ، وعزيمة لا تقبل ، وثورية لا تحدد ، واعلن لجنوده الاشائوس : « لقد واجهت ثورة اليمن مؤامرات كثيرة على ثورتها ، ودافعتم عن الثورة ، ولن يسكت الاستعمار على انتصاركم للثورة اليمنية .

ان هذا الانتصار لكم وللثورة فى اليمن يراه الاستعمار واسرائيل خطرا عليهم ، على مصالحهم ، وقضاء على مطامعهم ولكننا سنصمد لكل تحد .. » ( المصور ٨ — ١١ — ١٩٧٠ )

ولذلك فانه عندما قررت قوى الاستعمار القديم والحديث — بعد معركة حرض — وبناء على حسابات ومقارنات تاريخية خاطئة ومغلوبة أن تجعل من اليمن — التى كانت ذات يوم « مقبرة للاتراك » مقبرة أيضا للجيش المصرى والثورة اليمنية والعربية معا ، وان تحيل معركتها الى صدام تاريخى حاسم بينها وبين ثورة القومية التى بأسمها وتحت علمها تحرك العملاق القاهر عبد الناصر بجيشه عبر البحر الاحمر الى جزيرة القبلية العتيقة والاقطاع الاثرى ، والاستعمار القديم والجديد ، اعلن القائد المقدام فى ابريل ١٩٦٤ قراره السياسى والتاريخى من عاصمة اليمن الثانية تعز — تدعيما لشوار الجنوب اليمنى — بأن على الاستعمار البريطانى أن يرحل سراها من المدخل الجنوبى للبحر الاحمر ، كما رحل راغما منذ حين عن شماله ، والافهى الثورة ، والثورة الشاملة ، ولتكن اليمن



بشمالها وجنوبها ميدان الاختبار في الصراع بين قوى التحرر العربية ، وقوى الامبريالية ، وهكذا كان ، حيث تحولت اليمن كلها الى ساحة من اللهب من صعدة شمالا حتى عدن جنوبا .

ولاول مرة ادرك الاستعمار ، بل واستيقن العرب أنفسهم بأن القومية العربية ليست دعوة ديماجوجية مشبوهة ، وليس مشروعاً مريباً يقدمه الحكام العرب — خدمة للاستعمار ، وابقاء على مصالحه وتفوذه — باسم وحدة الهلال الخصيب ، وتحت ستار وحدة سوريا الكبرى ، وانما هي ثورة تقدمية جائحة ، وحركة تحرير وطنية كاسحة ، تتخطى الحدود المصطنعة ، وتعصف بواقع التجزئة الاقطاعية ، وتنتصر لاي بصيص نضالي يلمع ، وأي شرارة تتوهج في كل وأي مكان من الارض العربية ، وتعبّر لتأجيحها . ومن أجل تحويلها الى حريق ثوري متضرم هائل — البحار والسهول والجبال ، وتدخل في معركة صادقة حازمة مع التاريخ الاقطاعي — القبلي — الكهنوتي المزمّن كله ، ومع طبيعة وضع غريب وفريد في نوعه ، وضع هو صورة حية ، مركزة ، دامية وقائمة للقرون الوسطى جميعها بكل بشاعتها وظلامها .

وفي مواجهة سياسة الاستنزاف البعيدة المدى والامد أعلن المناضل الصلب والعنيد عبد الناصر « سياسة النفس الطويل حتى نقطع نفسهم »

وبدلاً من أن تجثو الثورة اليمنية على الركب ، وترعف الثورة العربية بالدماء ، وتسقط الثورتان معا تحت مطارق « الحرب المحدودة » اعياء وانهاكا ، اضطرت كتائب الاستعمار والرجعية الى ان تفغر افواهها لاهثة مجهده مستنزفة .

كما اضطّر كذلك كل رؤساء جحافل المرتزقة الاجانب ، وجميع خبائثهم التكنيكيين من الامريكيين والبريطانيين ، والفرنسيين ، والالمان ، والصيهاونيين الذي سبق للكثير منهم أن حاربوا ثورات التحرير الوطني في كل مكان ، سواء في الهند الصينية ، أو الكونغو أو الجزائر ، والذين كانوا يمثلون قوى الاستعمار السوداء التي «تبيع نفسها لمن يدفع أكثر» ، اضطروا جميعهم لان يعترفوا بمدى المقاومة الباسلة والناجحة التي ووجهوا بها من قبل قوى الثورة اليمنية والعربية ، بحيث لم يبق لامثال كنيدي ، هانزبرج ، روجر ، بيتر ، غيليب ، جيروم ، دينير ، جانيت ، شتولز ، روجيه فولك ، سترلنج ،

بوشورو هوارد وغيرهم الا ان يقيثوا احلامهم الطائشة على تضاريس جبال اليمن السماء ، وامام اقدام ثوارها اليمنيين والمصريين الابطال ، والا أن يعودوا الى نخاسيهم خاسئين . نعم : لقد سقط على تخوم اليمن وبين شعابها حوالى اربعة عشر ألف شهيد مصرى ، واصيب أكثر من هذا القدر ، كما سقطت الاف من جنود اليمن ، واصيبت الاف أخرى .

ولكن فى مقابل ذلك ازهقت ارواح آلاف مؤلفة من جيوش الاقطاع ، والمرتزة والاستعمار ، وازهقت معها - وذلك هو الهدف وبالتالي المهم - احلام الرجعية الملكية والاستعمار فى أن تستعيد عرش عائلة بيت حميد الدين الموروث والموقوف عليها « بحكم من السماء » الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

وفى بحر دماء الثوار اليمنيين والعرب غسل وجه اليمن من القتام المتراكم والمتجمد الذى ظل يجلله قرونا طوالا ، وذاب وتلاشى نهائيا جبل الجليد الرهيب ، جبل الامامة الاقطاعية الكهنوتية العتيد ، الذى كان يجثم على صدر الشعب ، ويفوص فى اعماقه ، ويكتم انفاسه ، ويطبق على حياته ، منذ حوالى عشرة قرون ، والذى لم تستطع ان ترحزه عن مكانه كل الانواء والاعاصير الداخلية والخارجية التى تعرض لها طيلة هذه الحقبة المظلمة والامتدة من التاريخ اليمنى .

ولقد كانت نتيجة الصدام مع قوى الثورة المضادة ، كما لم يتوقع الاستعمار قط ، فقد قامت جمهورية يمنية مجبولة بالدم اليمنى ومعمدة بالدم العربى ، عاصمتها صنعاء ، على انقراض امامة اقطاعية محنطة ، متعفنة كالحة ، تضرب جذورها فى بطون التاريخ العتيد ، كما نهضت فى الجنوب اليمنى جمهورية ثورية متحررة تمثل خلاصة النضال الثورى اليمنى والمصرى معا ، وكانت اليمن بذلك عنوان ومكان النصر التاريخى المؤزر لحركة الثورة والقومية العربية ، ودليل وميدان الهزيمة التاريخية المنكرة لقوى الاستعمار والاقطاع والقبلية ، والكهنوت ، وكان عبد الناصر هو القائد التاريخى الذى اقترن به ، وباسمه هذا النصر ، والذى لولاه ، ولولا وجوده ، ودوره ، وثورته وجيشه ، وشعبه ، وانغماسه فى معمة هذا النضال - الى جانب القادة والثوار الوطنيين اليمنيين - وبروح فدائية ، بطولية ، جسور ، وارادة متفانية ، متحدية ، مستبسلة ،



وايمان خالص ، صادق ، اكيد بالقومية العربية ، وحتمية انتصارها وبوحدة التاريخ والمصير العربي ، وبوعى كامل بمسئوليته التاريخية فى ضرورة قيادة حركة الانبعاث والتحرر والتقدم العربى - لسارت الامور فى اليمن كلها على نحو مختلف عما سارت عليه ، ولعانت اهوالا مضاعفة ، وآلاما لا حد لها ، ولاستغرقتها حقبة اظلم واطول من الزمن ، قبل أن تتمكن من الخلاص من مستعبدتها ومستعمرها وهكذا دارت دورة الزمن ، ودارت معها رضى التطور التاريخى والثورى لتستقر فى اخر الامر مباشرة على عنق الاستعمار نفسه .

فالجيش المصرى الذى جاء الى اليمن فى الربع الثانى من القرن التاسع عشر تحت علم محمد على ، والذى حمل وجوده فيها الاستعمار البريطانى على التعجيل باحتلال عدن عام ١٨٣٩ ، وتعبئة الدول الاوربية كلها ضده ، من اجل اخراجه منها ، ومن غيرها من الاقطار العربية فى العام التالى بالذات ، كان عليه ان يعود هذه المرة الى اليمن تحت علم قائد الثورة العربية المظفر جمال عبد الناصر ، لا لتصفية حساب قديم مجهد مع قوى الفسز والاستعمارية البريطانية فحسب ، وانما - بالدرجة الاولى - تأكيد لوحدة الحق ، والوجود ، والمأل العربى ، وتلبية لنداء الواجب القومى ، وانطلاقا مع ثورة التحرير القومية التقدمية فى كل اتجاه وتحركا بقواها الرئيسية والصدامية الى كل ركن من الارض العربية تهب فيه رياح التغيير ، تمكينا لارادة النضال الوطنى من الانتصار ، ووقوفا مع الشعب العربى فى كل مكان بكل الطاقات ، ودعمها لحركة الكفاح الثورى الى اخر المدى ، وحيث لم يخرج هذا الجيش هذه المرة من اليمن الا بعد ان دكت معاقل الاستعمار البريطانى فى عموم جنوب اليمن ، والا بعد ان اصبح ظللا باهتة محروقة لم تلبث بعد قليل أن تحولت الى اثر بعد عين ، والى ذيل من الدخان غائر خلف المحيط الهندى من حيث اتى ، بينما عواصف الثورة اليمنية والعربية تلاحقه فى كل اتجاه ، والا بعد ان اخذت تترنج وتتهاوى ركائزه الداخلية الهشة من السلاطين والامراء والشيوخ الاقطاعيين والتي لم يمض الا بعض وقت حتى طمس وجودها تماما ، كما ان هذا الجيش لم يخرج من اليمن الا بعد ان هدمت قلاع النظام الامامى الاسطورى الارعن فى جميع انحاءها ، وطمس نكر الامام والامامة الى الابد .

وفوق ذلك كله فقد برهنت مساحة اليمن الثورية أنها كانت نقطة الانطلاق لاستعادة زمام المبادرة من يدي قوى الاستعمار والرجعية ، فبعد تمزق جدار البابوية والعزلة السياسي ، من حول اليمن ، تمزق كذلك — بفعل رد الفعل — وعلى اثر ذلك مباشرة — « حائط العزل والحصار السياسي » الذي كان قد ضرب من حول حامية الثورة العربية في القاهرة ، وتهاوت الانظمة والقوى التي كانت تدير المعركة ضده ، فسقط حكم الردة الانفصالية في دمشق كما سقط حكم الفردية في بغداد — بقطع النظر عما صاحب وتلا ذلك من مجاور غير مبررة راحت ضحيتها قوى تقدمية غير مسئولة عن فوضوية وديكتاتورية واقليمية الحكم القاسي ، تلك المجازر التي نفذتها قوى البعث اليمينية التي صححت موقفها فيما بعد وتحالفت مع هذه القوى التقدمية — بعد طرد العناصر اليمينية من صفوفها — واشركتها في حكم العراق ، بلد العروبة العظيم ، والثورة القومية الجامعة .

كما ترنحت كذلك ايضا أنظمة وقوى اخرى كثيرة ، وحفرت الثورة العربية — من خلال ثورة اليمن وبفضل دعمها — وجودها مرة أخرى في باطن الارض العربية وفي صلب حركة التحرر الوطني العالمية ، وغدت الثورة اليمنية أحد المشاعل المنيرة ، واحدى العلامات المشرقة على طريق الزحف العربي ، واحدى الانتصارات الوطنية والقومية الحاسمة التي سجلها زعيم الثورة العربية غير المنازع جمال عبد الناصر ، كما غدت هذه الثورة لمدة خمس سنوات كاملة عنوان الاحداث العربية كلها ، ومركز الثقل الاساسي في حركة النضال الثوري العربي الشامل والتي شكلت بالانتصار في ميدانها منعطفًا حاسمًا في مسار الثورة العربية .

وذلك هو بالضبط ما عناه القائد الملهم عبد الناصر ، عندما قال بوضوح لا لبس فيه بأن « الثورة اليمنية ( كانت ) نقطة تحول في مواجهة الاستعمار والرجعية » . ( المصور ١٨/١١/١٩٧٠ ) .

ان هذه الحقيقة التاريخية لا يقلل من حجمها ، ولا ينال من قيمتها ، ولا يؤثر على اهميتها أى مؤامرة أو حتى ردة يمكن أن تكون قد تعرضت لها هذه الثورة في أى مستوى من مستوياتها ، فقد تصاب الثورات بالنكسات ، وقد تتمكن الثورات المضادة من التغلب على الثورات الوطنية الى حين ، ولكن تبقى الحقيقة التاريخية ثابتة .



ناصعة ، مهابة ، لا يجوز ولا يصح النيل منها أو التهوين من شأنها ، ولا سيما أنه لا يستطيع أى نيل أو تهوين طمس أى حقيقة تاريخية عظيمة ، أو الغاء أى واقعة مادية جليلة .

ولأن الثورات المتسقة مع حركة التطور ، السائرة فى اتجاه التقدم ، المندمجة فى قلب تيار الزحف الثورى الوطنى الديمقراطى الذى يشكل ظاهرة العصر الجديدة المسيطرة ، ليس فى المنطقة العربية وحدها ، وإنما على نطاق القارات الثلاث ، ليس فى الامكان هزيمتها ، فإنه يمكن الجزم - بيقين علمى كامل - بأن ثورة ٢٦ سبتمبر الوطنية سينطلق بقوة مضاعفة فى هذا الاتجاه التاريخى الحتمى ، وستعاود وضع اقدامها بثبات اكثر على طريقه ، استجابة لقانون الضرورة الموضوعى نفسه الذى يعمل عمله الخاص داخل اليمن ، كما يعمل عمله ضمن حركة التحرر العالمية فى كل مكان .

وكما تمكنت ثورة ١٤ أكتوبر فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية - وهى التعبير الخصب والخلاق والمتهب لثورية شعبنا وقياداته السياسية هناك ، وهى اوليد الشرعى والطبيعى والمتفجر لثورة ٢٦ سبتمبر ، وهى الامتداد الحى والتقدمى والمتصاعد للثورة العربية كلها - من الاندفاع بقوة متنامية متعاضدة فى طريق التطور الوطنى الديمقراطى ، فإن ثورة ٢٦ سبتمبر فى الجمهورية العربية اليمنية ستتمكن بالتاكيد - وهى النبع والمنطلق - من ارتياد نفس السبيل واقتحام نفس الافق وستشكل مع ثورة ١٤ أكتوبر تيار ثورة وطنية يمنية واحدة قادرة على تحطيم سياسة الاستيعاب والاحتواء الرجعية الاستعمارية ، وستغدو صرخة - كحتمية تاريخية - العاصمة الطبيعية والثورية لجمهورية اليمن الموحدة الوطنية الديمقراطية .

وسيتحقق حينئذ حلم واحد من تلك الاحلام العظيمة التى كانت تراود رائد الوحدة القومية العظيم ، وبطل الثورة العربية الفذ ، العملاق الشاهق ، والزعيم الحالد الراحل جمال عبد الناصر .

## تخطيط الناصرية لقيام الثورة اليمنية

كنت قد زهدت منذ اكثر من عامين عن التعليق على كتابات الدكتور عبد الرحمن البيضاني عن نفسه ، وعن وجهة نظره الخاصة في الثورة اليمنية ، وفي قادتها ، وفي غيرهم من القوى الوطنية اليمنية ، بعد ان جرت مساجلات بيننا لاكثر من شهر على صفحات مجلة ( الطليعة ) القاهرية ، ولاسيما بعد ان غدا واضحا ان كل حرف أو سطر يخطه البيضاني يغني - من شدة الادعاء والترخص والاسفاف الذي يطفح به - عن كل رد ، وبعد ان غدا همه مقصورا على تقديم أي ( خدمة ) - ولو لم تكن مطلوبة او ضرورية - لاي حاكم يقفز فجأة الى سدة الحكم في صنعاء ، وبعد ان اصبحت ( مهنة ) لانكاف منها ، وداء ( عضالا ) لاشفاء منه مناواته لكل عنصر وطني وكل فكر ثوري ، حتى أصبح معروفا للجميع انه - وبهذه الصفة ، وقد أصبح ينزل الى سوق الدعاية الرجعية والاستعمارية من حين لآخر كل ما أمكنه ( حشوه ) من صفحات الكتب الثقيلة - رغم ازمة الورق الطاحنة - والتي توزع في الغالب مجانا ، والتي تحمل ( افكارا ) بالغة الغثاثة والتخلف والبدائية والجهل - انه بذلك كله يقوم بدور ( مرسوم ) له من بعض الجهات البترولية في الخارج ، يلعب فيه شخصه الضعيف دور الممثل والمنفذ ليس الا ، سواء اجاد أم تعثر .

ومن هنا فاني لم اهتم في البداية بالرد على مقالته التي اتسع صدر مجلة الحوادث لنشرها في عدد ٢٦ يوليو ١٩٧٤ ، والتي مثل علاقتها فيها - ابان ثورة ٢٦ سبتمبر في صنعاء - بالمشير عبد الله السلال الذي اراد له ان يكون ( رمزا وعضو شرف في الثورة لاكثر ولا اقل ) بعلاقة عبد الناصر بمحمد نجيب ، والتي انحطت - في نفس الوقت - الى حد الاستكثار ان يكون ابرز زعماء ثورة سبتمبر المجيدة موضع تقدير وتكريم جمهورية مصر العربية - قاعدة الثورة



العربية ، وموطن كل ناثر ولاجىء سياسى عربى منذ أيام جمال الدين الافغانى — كما قال القائد الخالد جمال عبد الناصر فى حديثه مع الفريق حسن العمري الذى — كما تذكر بعض الروايات — كان قد طالب بتسليم اللاجئين السياسيين اليه للتصرف فى أمرهم — قبل ان يجد نفسه فى وضع مشابه لوضعهم !

ولكن عندما بلغت الامور — كما اتضح من تعقيبه الذى نشره فى عدد ٢٧ سبتمبر ١٩٧٤ من الحوادث على أحد المثقفين اليمنيين الذى كان قد حاول فى عدد ٦ سبتمبر ١٩٧٤ من نفس المجلة وضع ( نقاط فوق حروف البيضاني ) — عندما بلغت حد التطاول والافتئاب على دور ثورة ٢٣ يوليو الرائدة ودور زعيمها العظيم جمال عبد الناصر ازاء الثورة اليمنية ، وحد ابراز دوره السياسى على حساب ذلك كله ، بل على حساب الحقيقة التاريخية التى لا تقبل الجدل — فإنه لم يبق حينئذ فى قوس الصبر منزع ، ولم يبق لاحد عذر فى عدم الرد عليه ، وايقافه عند حده .

لقد صور البيضاني قائد الثورة العربية جمال عبد الناصر ، وكأنه كان يجهل ما يدور فى صنعاء دقيقة بدقيقة ، وكتب بدونما خجل بأن عبد الناصر لم يسمح لى ( بإذاعة اخيرة ونهائية مساء ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢ ) الا بعد ان ابلغ العقيد حسن العمري الدكتور البيضاني بساعة الصفر ، وهى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ .

ويقطع النظر عن طبيعة الدور ( الثورى ) الذى يذكره البيضاني لشخص حسن العمري ، وغمط ادوار رجالات الثورة الاخرين — فإنه غير مقبول تصوير عبد الناصر على هذا النحو ، وهو الذى يشهد جميع ضباط ورجالات الثورة — وعلى رأسهم عبد الله السلال — بأنه والرئيس السادات شخصيا كانا فى ( الصورة ) من البداية والى النهاية ، وعلى علم كامل — من خلال سفارة القاهرة فى صنعاء التى كانت همزة الوصل المباشرة بينهما — وليس عبد الرحمن البيضاني ، كما يدعى بدونما اكتراث حتى بتزييف الحقائق التاريخية الكبيرة — على علم كامل بكل دقائق وجلائل ما يحدث فى صنعاء اولا بأول .

وعندما يسجل تاريخ الثورة اليمنية — بدونما حساسية اقليمية مصطنعة ، وبدونما اعطاء أى أهمية لاي اعتبارات أو

حساسيات عربية اخرى — فانه سيتضح جيدا ان الرئيس عبد الناصر والرئيس السادات معا كانا من الصناع الاساسيين والحقيقيين لثورة ٢٦ سبتمبر ، ولكل ما تلا ذلك من احداث — ابتداء من سقوط الامامة وقيام الجمهورية وانتهاء بخروج الاستعمار البريطانى ، وعلان الاستقلال الوطنى للشطر الجنوبى اليمنى — وانه لولا هذا الدور القومى والتاريخى الفريد الذى نهضت به مصر ، وابتدأت فى التخطيط الجاد له منذ نكسة الانفصال وقصيدة الامام الشهيرة التى هاجم بها فى خريف ١٩٦١ الاشتراكية ، وهاجم مصر بايعاز واتفاق مع الملك سعود ، لما كان فى امكان احد ان يغامر بإمكانياته الضعيفة والشحيحة ، وعلى ( مسئوليته الخاصة ) بالاقدام على تفجير ثورة وطنية تحررية فى اخطر منطقة استراتيجة وبتروولية عربية تشترك فى احكام القبضة الحديدية عليها كل واعتى القوى الاستعمارية والرجعية هناك .

لقد كان قيام الثورة اليمنية ( عملا قوميا ) فذا ، ( وتحركا ثوريا ) جبارا ، نهضت وردت به الثورة العربية بقيادة جمال عبد الناصر على نكسة الانفصال ، وضربت به حصار التطويق الذى كان قد ضرب على مصر بعد ذلك مباشرة ، ونقلت به المعركة من القاهرة الى منطقة النفوذ الاستعمارى والى عقر دار الرجعية العربية المتأمرة ذاتها ، وكان ايضا تحطيمها لحاجز العزلة الذى كانت قد اقامته الدول العربية كلها تقريبا على القاهرة بعد مؤتمر شستورا الشهر ، والذى اضطرت مصر نتيجة له الى ( تجميد عضويتها ) فى الجامعة العربية .

وبدل ان تكفر مصر ( بالعرب والعروبة ) كما كان يريد الاستعمار ، وبدل ان تقبل بالقبوع داخل اسوار حدودها الاقليمية ، كما كان يخطط ، وريثما يتم له تدبير انقلاب رجعى داخلى يطيح بثورة يوليو من اساسها ويطيح بقيادتها القومية معها ، فان عبد الناصر تصرف تصرف الفرسان الذين لا يقبلون بهزيمة ، وقفز حائط العزلة والحصار الذى كان قد ضرب من حوله ، ولم يستقر به العدو الا فى قلب الجزيرة العربية ، حيث شن من هناك — ومن ارض العدو — معركة ثورية وهجومية معاكسة ، وغسر منتظرة ولا متصورة .

تلك هى خلاصة الخلاصة لقصة ثورة ٢٦ سبتمبر ، كما يعرفها المطلعون على حقائق الاحداث .



ومع ذلك فأننا في انتظار ( وثائق البيضاني ) التي وعد بها ،  
لنرى ما سيقوله من واقعها — ان كانت لديه وثائق مخالفة  
وخاصة — حول ما ذكرنا من حقائق غدت معروفة لكل متتبع  
لاحداث الثورة اليمنية .

ويبدو ان رابطة الطلبة اليمنيين في القاهرة التي توجهها  
العناصر الناصرية ، والتي كان البيضاني يستغل اسمها ويضعه  
على كتيباته — ومحاضراته التي كان يلقيها فيها — قد عرفت كيف  
تعامل البيضاني بسبب تشويبه لسيرة الثورة اليمنية ، ودور مصر  
فيها . فهي لم تكف بمنعه من القاء محاضرات اخرى فيها ، وانما  
ردت على مقالته الآنف الذكر من خلال كلمات موجهة لخطباء  
اختارتهم وقدمتهم في الحفل الذي اقامته في نقابة الصحفيين في  
القاهرة مساء ١٩٧٤/٩/٢٧ احتفاء بالذكرى الثانية عشر لقيام  
ثورة سبتمبر ، دون ان تمكنه في الوقت نفسه من الرد عليهم كما  
طلب برجاء وفي الحاج !

ويكفي ان البيضاني قد أصبح بسبب مواقفه من الثورة  
اليمنية وعبد الناصر ، معزولا حتى عن الاوساط البورجوازية  
اليمنية التي كان يتعامل معها .

## دور البيضاني في تخريب ثورة ٢٦ سبتمبر غير محسوب على مصر الناصرية

بعض الناس يحسب البيضاني جملة وتفصيلا على مصر ،  
ويحاسبها بالتالي على اعماله السياسية المدمرة ضد الثورة اليمنية  
وذلك خطأ في الحساب وضلال .

وعندما بدأت في فتح ( ملف البيضاني ) الحافل بالوقائع  
المؤسفة والمخجلة لم ار ما يشير من قريب او بعيد الى ان الرجل  
قريب من الفكر القومي الذي حملته ثورة ٢٣ يوليو ، وانما هو  
اقرب الى فكر الاخوان المسلمين ، وبهذه الصفة عرف لدى القريبيين  
منه منذ مطلع الخمسينات . وقد حاول ستر هذه الصفة فيه طيلة  
الحقبة الناصرية ، وتظاهر بالناصرية ، فلما توفي ناصر ، وتعرض  
للهجوم من الاخوان المسلمين والقوى اليمينية الاخرى ، كان البيضاني  
ممن اشتركوا في نهش جثته . وصادر الكتب الممولة من اوساط  
رجعية عربية معروفة ، يهاجم فيها عهد عبد الناصر ، ويصوره بأنه  
كان عهدا شيوعيا ، وان فكره الشيوعي هذا كان يمكن أن يسود  
في اليمن ، لولا خروج جيشه من هناك — أي لولا « فضل » نكسة  
٥ يونيو ١٩٦٧ التي اضطرته الى ذلك !

وقد كان رأيي منذ البداية ان تجاهل ادوار البيضاني التخريبية  
السابقة واللاحقة باسم انه «لا يستحق» وانه «رجل محروق» — موقف  
مثالي وغير نضالي ، اضافة الى انه من الصعب الحديث عن الثورة  
اليمنية — ولا سيما فيما يتعلق بالاشهر الاولى من قيامها — دون  
التطرق الى سياسات البيضاني ازاءها ، الذي فوجئ اليمنيون ، وقد  
غدا — دون مبررات من ماض كفاحي معروف — يشغل الموقع الثاني  
من اجهزة الدولة الرسمية . ولا يهم بعد ذلك ان يكون البيضاني  
مقبولا في شخصه او مرفوضا ، وانما المهم — بصفته السياسية بالذات  
— ان يذكر ، وان يقيم من وقائع افعاله . وفوق ذلك كله فان التاريخ

لا يستنكف ان يسجل كل صغيرة وكبيرة تتعلق بمن كانت لهم  
« صفة عامة » ايا كانت اهميتهم .

### رأى قادة حركة الاحرار اليمينيين فى البيضانى :

التحق الدكتور عبد الرحمن البيضانى بحركة الاحرار اليمينيين  
فى القاهرة عام ١٩٦٠ ، غير ان طموحاته الشخصية المفرطة دفعت  
به الى الاصطدام مع زعيمى حركة المعارضة الكلاسيكيين القاضى محمد  
محمود الزبيرى ، والاستاذ احمد محمد نعمان ، حيث « طال بينهم  
الشقاق ، ودبت الأحقاد ، حتى ابعد الدكتور البيضانى من الحركة ،  
وعزل من منصبه فى الاتحاد ، اليمنى (١) - هيئة المعارضة اليمينية  
- وقد علل النعمان والزبيرى - وهما اللذان قامت حركتهما  
السياسية على التمثيل والتوازن الطائفى - سبب طرد البيضانى  
بأنه فاق بتعصبه الطائفى والعرقى الصارخ والسافر كل المتعصبين  
من قبائه ، فكتب عنه - كما جاء فى بيان (الاحرار الى الاحرار) ، جريدة  
العمال ، عدد ١٦/٩/١٩٦٢ قائلين : « وجاء على آخر الزمان طارئ  
جديد على صفوف الحركة الوطنية يطالبنا بالمنكر ، ويدعونا الى اعلان  
جريمة الانشقاق بين ابناء الشعب ، والاعتماد عليها - كما يزعم -  
فى تحقيق الثورة ، وما اشبه طلبه هذا بمن يحاول تطهير قرية  
من مكروب الملاريا فيضربها بالقنابل الذرية ، ولقد ذكرنا بحكاية  
العبد الابله الذى حاول أن يطرد الذباب عن جبين سيده ، فرمى  
بصخرة ضخمة حطمت جبين السيد دون الذباب الذى طار قبل ان  
تلاحقه الصخرة »

### صراع مع الضباط الاحرار :

وكان ضباط الكلية الحربية فى صنعاء الذين شكلوا نواة الحركة  
الثورية ، وعلى رأسهم مدير الكلية الحربية العقيد عبد الله جزيلان  
ذوى رأى واضح منذ البداية فيما يتعلق بالتعامل مع البيضانى ،  
فقد كانوا لا يطمئنون اليه ، بعد ان اتضح لهم من قراءته مقالاته التى  
كان ينشرها فى مجلة روز اليوسف انه لا يستهدف غير ضرب وحدة  
الضباط الاحرار ، بعزفه الدعوب والملح والغريب على النغمة العنصرية  
والطائفية ، فى الوقت الذى كان فيه هؤلاء الضباط مثالا حيا للوحدة  
الوطنية والثورية ، التى جمعت بحسب مختلف العناصر الوطنية  
المعادية للاستبداد الامامى ، دون نظر الى الاصل العرقى أو الطائفى .



وكان رأى هؤلاء الضباط ان رجلا كالبيضانى بعينى عن  
عن المعاشة اليومية ، والتعامل المباشر مع حقائق الاوضاع فى اليمن  
غير قادر على ابداء رأى صائب عند التخطيط لى عمل ثورى فى البلاد  
وقد ثبتت صحة ارائهم هذه ، حيث انه بينما « كان التنظيم الثورى  
يشكو من ضعف التسليح » كان « من رأى البيضانى ان قبيلة واحدة  
على قصر البدر كقبيلة بالاطاحة بالمهد كله » (٢) وقد تكفلت سنوات  
الحرب الطويلة والمريرة التى فرضتها قوى الاستعمار والرجعية على  
اليمن بكشف مدى ضخامة وسطحية وغرابة مثل هذا النوع من  
التفكير السياسى الفج .

ومن هنا كانت وظلت صلة الضباط الاحرار - اتناء عملية  
التحضير للثورة - صلة مباشرة بالقاهرة عن طريق ممثليها  
الدبلوماسيين فى صنعاء وعن طريق ضباط اتصال .

وكان الرأى العام فى داخل البلاد ، شأنه شأن الضباط يرى  
ان البيضانى لا يبصر سوى المظهر الخارجى للمشكلة دون ان ينفذ الى  
جوهرها السياسى ، ويرى - كما كتب بعض الذين لا يستطيع احد ان  
يتهمهم بأى نوع التطرف اليسارى - « ان الدكتور البيضانى  
وسع شقة الخلاف فى اليمن ، فقد كان من خلال كتاباته فى مجله  
روزاليوسف ، واذاعاته من صوت العرب ، يؤمن بعنصرية القضية  
اليمنية ، وان اساس المشكلة يقس فى كون اتباع المذهب الزيدى  
حكاما ، واتباع المذهب الشافعى محكومين لهم ، وفى كون الهاشميين  
رجال السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وغيرهم المطيع  
المأمور . وبذلك قسم الدكتور البيضانى شعب اليمن الى قسمين  
اثنيين ، ورسم تخطيطا للمعركة على هذا الاساس » (٣)

وعندما زعم البيضانى للضباط فور وصوله الى صنعاء بأن  
دعم القاهرة يتوقف على قبولهم بتعيينه نائبا لرئيس مجلس قيادة  
الثورة فى كل اعماله ، وانه يحمل امرا صريحا بذلك من المشير عبد  
الحكيم عامر ، نهره هؤلاء الضباط وعلى رأسهم جزيلان - مؤكدين  
ان معرفتهم بموقف القاهرة الحقيقى تتنافى مع هذا الزعم .

### الطموح نحو احتلال منصب السلال :

وعندما قبل هؤلاء الضباط - حرصا على وحدة الصف فى  
مواجهة نذر الاخطار الخارجية التى اخذت تلوح فى الافق - بأن يكون  
البيضانى فى موقع الرجل الثانى فى السلطة التى ، كانت - كما

تأكد لهم هي كل مطمح ، فوجئوا به يتطلع الى ما هو اكثر من ذلك بعد ان خيل اليه انه غدا يملك «من القوة وسعة النفوذ ما يحمله على احتلال مكانة الزعيم عبد الله السلال وارتقاء منصب الرئاسة في الجمهورية ، وتساءلت الصحف الاجنبية ، فيما اذا كان الدكتور البيضاني هو ناصر اليمن ، وعبد الله السلال نجيبها ، وهل يحدث في اليمن ما حدث في مصر في السنين الأولى من الثورة المصرية ، ولكن اخلاص الشعب للسلال ، واصطدام البيضاني برجال الثورة حالت دون ازاحة السلال ، ودون احتفاظ الدكتور البيضاني بمنصب وزير الخارجية ونائب رئيس الوزراء . ( ٤ )

### دعوة للتقارب مع الرجعية العربية :

كان معروفا جيدا انه كان من محركات قيام الثورة اليمنية هو - حسب تخطيط استراتيجي قومي ثوري من القاهرة - الرد على الهجمة الامبريالية - الرجعية التي تمثلت في انتزاع دمشق من حضن الوحدة ، وفي مؤتمر شتورة ، وفي غير ذلك من المؤامرات التي كان للرجعية العربية ضلع اساسي فيها ، وجاءت ثورة اليمن لتكون متنفسا جديدا لقلعة الثورة العربية المحاصرة في القاهرة ، ومنطلقا متقدما للثورة العربية ، للزحف منه نحو حصون القسرون الوسطى الاقطاعية المتبقية داخل الجزيرة العربية التي كانت قد غدت اوكارا للاستعمار الجديد والقديم .

غير ان موقف البيضاني السياسي كان هو - باستثناء بعض التصريحات التي وضعت وألصقت على لسانه - الرغبة في اطفاء شعلة الثورة ، والسعي الى التصالح مع القوى المناوئة للوضع الجديد ، والوقوف دون ان تأخذ الثورة مداها الطبيعي ، بل ودون ان تقبل تحدى قوى الرجعية وترد عليه ، ودون ان تتصدى للثورة المضادة التي كانت قد بدأت تزحف منذ اليوم الاول ضد ثورة ٢٦ سبتمبر . وقد تولى البيضاني بنفسه امر تحديد موقفه ذاك الذي رفضته الجماهير الثورية اليمنية بحسم ، حيث كتب : « وكم كنت اود الاحتفاظ في صنعاء بالسفارة السعودية ، رغم اشتداد هجوم حكومتها ، واذاعتها المستمرة على الثورة اليمنية ، واعلانها الامير السابق الحسن ملكا على اليمن . غير ان الجماهير اليمنية الغاضبة اسرعت الى احتلال دار هذه السفارة في اليوم الثالث للثورة ، فقامت بنفسى باخلاصها من الجماهير ، واصطحبت القائم بالاعمال السعودي الى مقر رئاسة

الجمهورية ، واحطته علما بأننا لانزال حتى تلك اللحظة لانريد أن نرد الهجوم الاذاعي بمثله ، أملا في اقناع الحكومة السعودية بصداقتنا ، وحسن عواطفنا نحوها ، واكثر من ذلك كان البيضاني يرغب عن طريق الوصول الى صيغة مصالحة مع الرجعية العربية الى نقل اليمن من موقعها الثوري في جبهة الثورة العربية الى الموقع المضاد تماما في جبهة الرجعية العربية والاستعمار ، باسم تجنب نقل الخلاف بين القاهرة والرياض الى ساحة اليمن ، ولبلوغ ذلك كان من تخطيطه - كما كتب ايضا - هو « ارسال وفد يمضي على مستوى القمصة الى الرياض لتوقيع اية اتفاقية تراها الحكومة السعودية مطمئنة لها ، واننا لانرحب بانتقال الخلاف العربي الى ارض اليمن ، واننا يمكن ان نكون حماسة السلام في ذلك الخلاف » (٥) .

غير ان مثل هذه السياسة الخطرة والمشبوهة كانت مرفوضة انذاك على طول الخط سواء من قبل القاهرة او من قبل الضباط الاحرار الذين كانت روح الحذر والجفوة ظاهرة للعيان بينهم وبين الدكتور البيضاني ، وهو ما لاحظته الاستاذ موسى صبرى الذي لا يمكن الاشتباه في وجود عدااء بينه وبين البيضاني والذي على العكس من ذلك تجمعته صداقة وطيدة ومبكرة معه ، كما اتضح ذلك من كتابه . فقد سجل بعد مجيئه الى صنعاء في الايام الاولى لقيام الثورة - ما نصه : « ولكنني بعد الساعة الاولى من وصولي ولقائي مع الدكتور البيضاني وغيره من القيادات ، احسست بينور الخلاف بين هؤلاء القادة ، وسمعت منه ردودا على هذه الحملات ، وتناولت ردوده النيل من السبلال رئيس الجمهورية » (٦) .

### **ضد مصر والسوفيت لصالح يون :**

وعندما فتحت مصر بنكا عربيا في اليمن وفق اتفاقية اقتصادية معقودة بين البلدين ، اسرع الدكتور البيضاني الى اغلاقه في اليوم الثاني لفتحه ، في الوقت الذي كان يظهر فيه استعداداته لاتاحة المجال لفتح بنوك أجنبية في طول البلاد وعرضها ! وعندما كانت اليمن تواجه الحملات العسكرية الاستعمارية والرجعية ، وتتلقى الدعم المالي والعسكري من الاتحاد السوفيتي وغيره من الدول الاشتراكية لم يجد البيضاني ما يقوله في مثل هذا الوقت العصيب الذي كانت تمر به الجمهورية غير الادلاء بالتصريحات الغريبة « الملفتة » التي لم يدرك المواطن العادي ما وراءها في ذلك الوقت والقائلة ، بأن اليمن لاتفتح ابوابها للشيوعية ولن تكون



شيوعية فى اى يوم من الايام ، كما لم يجد مايفعله غير الاهتمام بذاته والاعجاب بنفسه واستعراضها امام عدسات التليفزيون الالماني ، لتصويره كائى نجم سينمائى - من مختلف الزوايا وعلى مختلف الاوضاع !

### مغازلة الاستعمار البريطانى :

وكان الشئ الوحيد الذى تفتقت عنه عبقرية البيضئانى ازاء الاستعمار البريطانى الذى كان يحتل معظم انحاء اليمن ، وكان يطبق بمؤمراته واعماله العدوانية على الجمهورية الوليدة من الشرق والجنوب هو رفع اغصان الزيتون ، وتوجيه الدعوة الى وفد من حزب العمال البريطانى ، حتى يتسنى له التفاهم مع ممثلى « الديمقراطية البريطانىة » حيث « سنقول لهم - كما تحدث - ان الحكومة الثورية لاتستهدف الا الاصلاح ، ولا تريد خلق المتاعب ، ولا ترحب بالدخول فى المشاكل الدولية كى تتفرغ للانشاء والتعمير » و « سنسألهم ما هو موقف الديمقراطية البريطانىة من ثبوت عدوان الحكومة البريطانىة على شعب اليمن » ( ٧ )

### ادانة عبد الناصر لسلوك البيضئانى الطائفى :

وكانت نتيجة سياسة البيضئانى العشوائية والتخريبية وتصريحاته المتلاحقة التى كانت تمتلىء بالطنين الذاتى الزاعق الذى اصم الاذان ان اصطدم بكل قطاعات وفئات الشعب اليمنى « حتى ارتفع الهمس وانطلقت الصيحات ، تندد بالدكتور البيضئانى وتتهمه بالطيش والجهل بشئون اليمن ، وعقلية الشعب اليمنى ، وما يرضيه وما يفضبه ، .. فاتسبعت شقة الخلاف بينه وبين الشباب اليمنى ، فبدأوا يتذمرون منه ويعملون ضده » ( ٨ )

وبعد ان بلغ السيل الزبى ، وعم السخط على البيضئانى الحاكمين والمحكومين معا ، اصدر الرئيس السلال قرارا بنفى البيضئانى وبفائه فى القاهرة ، قبل ان يكمل نصف سنة من اقامته القلقة والمقلقة فى اليمن ، وكان هذا القرار ونزع الجنسية اليمنية عنه بعد ذلك بمثابة عقاب له بعد ان ضاق الجميع وعلى رأسهم الرئيس السلال بتصرفاته وحماقاته السياسية التى جاوزت كل حد . ولم يهتم احد عند وصول البيضئانى الى القاهرة واقامته فيها حيث « لم يقابل هناك بالترحيب والتكريم المتوقع لنائب رئيس الجمهورية » ( ٩ ) بعد ان فقد عطفه وحسن

طن القاهرة • وخلال لقاء تم مع الزعيم الخالد جمال عبد الناصر  
سأل القائد العربي الدكتور البيضاني - في لهجة ملؤها التوبيخ  
والتقريع والاشمئزاز والتقزر - وكما اعترف البيضاني نفسه بذلك  
في إحدى لحظات تجليه - : كيف تقبل على نفسك - وانت رجل  
مشقف احتراف العمل الطائفي ؟!

### اهانة مدمرة في عدن :

لم يلبث البيضاني ان كشف كل اوراقه ، عندما غادر القاهرة  
متوجها الى « موطنه الروحي » في المانيا الغربية ، حيث كان وما زال  
يمتلك الصداقات الواسعة مع دوائر الاحتكارات الالمانية وممثليها  
السياسيين ، حيث حصل على وعود منها بتقديم الرأسمال اللازم  
لفتح بنك في مستعمرة التاج البريطاني - عدن - يساعده على بناء  
موقفه السياسي من جديد واستعادة ما فقده في صنعاء وتمويل خططه  
وفتح الطريق لنفوذ الاستعمار الجديد ، ودفع البلاد في « الاتجاه  
الصحيح » !!

غير أنه كان من سوء حظه أن جماهير المستعمرة ووطنيتها لم  
يمكنوه حتى من مجرد الإقامة المريحة في عدن ، حيث استقبلوه  
هناك اسوأ استقبال ، وعاملوه معاملة المفضوب عليه والمجرد من  
الجنسية والوطنية معا ، وقذفوه بكل ما امكن للأيدي نيله وحمله  
مما لا يجدر ذكره • وكان ذلك هو ردها الوحيد والبليغ عليه ، بعد  
ان أخذ يتهجم على الوجود المصري الثوري في اليمن ويردد الدعايات  
الرجعية والاستعمارية الممجوجة والمسمومة بتصوير انه بمثابة احتلال  
عسكري ، لولاه لامكنه الزحف على البلاد وتحريرها من « الثوار » ،  
واقامة الدولة الشافعية التي لا يتحكم فيها الزيود ولا الاجانب  
« من العرب » !

### سخط وملت الشباب اليمني :

وعن مسلك البيضاني المعيب والمشين هذا منذ قيام الثورة الى  
حين وصوله عدن ، تحدث بيان اصدرته رابطة اليمنيين في  
الاتحاد السوفيتي في ٢٠/١١/١٩٦٦ على النحو التالي : « في السنة الاولى  
لثورة خرج البيضاني فجأة من المجال السياسي كما دخل ، بعد  
ان جرع البلاد مشاكل عديدة ، وكان وراء كثير من الاخطاء في المجال  
السياسي والاقتصادي والعسكري ، وتنفس الناس الصعداء ، رغم انه

ليس الوحيد الذي يرتبط في اذهان المواطنين بالدعوى الطائفية  
الا ان ذهابه خفى من الطنين الطائفي الذي يجد في شخصه تعبيراً  
صاحياً . وكانت زيارته لعدن بمثابة انتحار سياسى ، وحسراب  
بريطانيا هي التي حمته من غضبة شعبنا في جنوب اليمن المحتل بعد  
ان ذهب الى حد القول والتصريح بأن القوات العربية هي التي تحول  
دون حكمه للقسم الجنوبي من الجمهورية العربية اليمنية . وهذا  
نفس حلم الحكام البريطانيين الذين توالوا على عدن ،  
واذا كانت الجماهير اليمنية في عدن قد عاملته على طريقها الخاصة  
فإن القاهرة نفسها التي كان البيضاني اول من اساء اليها بأقواله  
وافعاله ، سواء وهو داخل السلطة او بعد اقصائه منها ، لم تترك  
اقواله واعماله هذه الموجهة ضدها وضد الثورة اليمنية تمر بدور  
عقاب !

وعندما بعث البيضاني سياسياً مرة اخرى في خريف عام  
١٩٦٦ ، وعين سفيراً في بيروت كان ظهوره على المسرح السياسى من  
جديد صدمة للوطنيين اليمنيين الذين عبر عن موقفهم هذا ببيان  
رابطة الطلبة اليمنيين في الاتحاد السوفييتى الذى واصل الحديث  
عن البيضاني بقوله : « ان من حق كل وطنى ان يتساءل ، لماذا يعود  
هذا الرجل ؟ فلا وزنه في الحياة السياسية ، ولا ماضيه يرشحه  
لانجازاي مهمة من المهام التي تواجهها الثورة في هذه الايام . ان  
التأثير الضار لعودته لن يقتصر على الجمهورية ، ولكنه سيمتد الى  
الجنوب اليمنى ، فالشعب هناك لن ينسى انه وقف ليطلع على الناس  
من راديو عدن بمشاريعه التي صفق لها الحكام البريطانيون وشريف  
بيجان ، ان مصلحة الوطن تقتضى ان يعود البيضاني الى حيث كان ،  
الى النسيان ليريح ويستريح . وحتى لا يضيف مشكلة الى مشاكلنا  
وما اكثرها . »

### مع مجموعة صلاح نصر ضد عبد الناصر

لم يتوقف جهد البيضاني عند حدود تخريب الثورة اليمنية  
ومحاولة التآمر عليها بالتواطؤ مع الاستعمار القديم والحديث معاً  
وانما كانت له نشاطات مريبة وغريبة ضد ثورة ٢٣ يوليو نفسها  
ويكفى في هذا المجال ذكر ذلك الدور المشبوه والمفسام الذى اراد  
الاقدام عليه ولم يتمكن منه ، عندما حاول - بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ -  
- واثناء تحرك مجموعة صلاح نصر لتنفيذ مؤامرتها المكشوفة -



والمعروفة ضد خط الثورة وضد عبد الناصر - وهو الدور الذى فشل فى اقناع سفير اليمن فى القاهرة آنذاك عبد الرحيم عبد الله به بالتعاون معه عليه لدفع الطلبة اليمنيين فى القاهرة للقيام بمظاهرة ضد عبد الناصر ، ولصالح جماعة المشير عامر وصلاح نصر . ولما كان السفير - الذى يقيم الان فى القاهرة لاجئاً سياسياً - يعرف جيداً مرامى البيضاني المدانة ، وارتباطاته الخفية بهذه المجموعة ومخاطر الاقدام على مثل هذه الخطوة الخطيرة ، ويعرف ثبات ولاء الطلبة اليمنيين لعبد الناصر وخطه التقدمى فإنه رفض ان يجره البيضاني الى مثل هذا المنزلق الخطر .

### مع الرجعية ضد القوى التقدمية :

على ان من الغريب حقاً ان ينتهى الامر بالدكتور البيضاني - الذى يدين بفلسفة المنفعة المادية - البراجماتية - عند حد التعاون دونما شعور بالغضاضة أو المهانة - مع نفس المجموعة المشائخية الاقطاعية التى سبق ان اتخذت ضده موقفاً بالغ الشدة والقسوة فى مؤتمر عمران الشهير عام ١٩٦٣ ، حيث اتهمته بالخيانة «العظمى» لمصالح الشعب ، وزكت تجريد السلال له من الجنسية اليمنية ، فجاء فى أحد قراراته ما نصه « يؤيد مؤتمر عمران قرار الحكومة الذى اتخذته ضد الدخيل عبد الرحمن البيضاني من سحب الجنسية اليمنية ، كما يقرر المؤتمر ادانته وكل من يتعاون معه بأى شكل من الاشكال بالخيانة العظمى للشعب اليمنى » (١٠)

واذا كان السلال قد اعاد للبيضاني جنسيته واعتباره فى خريف ١٩٦٦ ، فإن جزاء البيضاني له هو انه غدا اليوم شغل الشاغل ، فأخذ ينال منه ويتهجم عليه ، كما ينال ويتهجم - وحتى بأسلوب الدس والمكيدة والوقية - على كل عناصر المعارضة وكل القوى الثورية ، ولا سيما تلك التى تعيش لاجئاً سياسياً فى القاهرة ، وذلك خدمة منه للقوى المتخلفة فى اليمن وخارجها وللقوى المشائخية والكومبرادورية الذين كان قد أيد انقلابهم الرجعى والمشثوم فى ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ، وظل ممثلاً « خفياً » لهم فى الخارج ، حتى عندما كان يقوم بدور « تمثيلى » فى المعارضة بقصد الاطلاع على نشاطاتها ، وهو الدور الذى ما ان انكشف حتى اسرع البيضاني عائداً الى موقعه الطبيعى والطبقى ، فأزتمى او ترامى علناً وامام الملا فى احضان قوى التخلف والردة وقبض الثمن جزاء كل خدماته

السابقة واصبح وكيلها المعتمد ومخلبها الممتد الذى تنشبه فى ظهور  
القوى الوطنية الشريفة ، مقابل أجرتافه ليسـ هو فى حاجة اليه ،  
وهو يعيش فى بحبوحة من النعيم ، يحسده عليها احفاد اسرة محمد  
على الكبير ! .

- 
- ( ١ ) قصة الثورة اليمنية ، عدن ، محمد على لقمان ، فاورق محمد نعمان ، ص 28  
( ٢ ) مخبر صحفى وراء احداث الثورات ، موسى صبرى ، القاهرة ، ١٩٧٠ ،  
ص ٤٨٨ .

- (٣) قصة الثورة اليمنية ، ص ٤٨  
( ٤ ) المصدر السابق ، ص ٤٥ .  
( ٥ ) مجلة الطليعة القاهرية أغسطس ١٩٧٢ ، ص ١٣٥  
( ٦ ) موسى صبرى ، المصدر السابق ، ص ٤٥٦  
(٧) المصدر السابق ، ص ٤٥٩ - ٤٦٠  
( ٨ ) لقمان ، المصدر السابق ، ص ٤٨  
( ٩ ) لقمان المصدر السابق ، ص ٤٥  
(١٠) الجمهورية ، تمز، ١١/١٢/١٩٦٣

## هكذا تحدث عبد الناصر في اليمن

ليست هناك ثورة عربية دلت ببراهين مضمخة بالدماء على أن ثورة ٢٣ يوليو هي الثورة القومية الام الرائد والقائدة والحاضنة والمدافعة عن كل وليد ثوري عربي كالثورة اليمنية بحديها - ثورة ٢٦ سبتمبر ، وثورة ١٤ اكتوبر - لكأن قادة الثورة في مصر عندما دفعوا بجيش العروبة عبر البحر الاحمر لافتداء اليمن وثورتها أرادوا أن يقولوا لليمن التي كانت ذات يوم « أمل العروبة وحضنها الحصب والدافئ » الذي تدفقت منه أمواجها البشرية الهائلة : هؤلاء هم أحفادك يرودونك من مصب ومنبع العروبة الجديد ، هؤلاء هم أحفاد جيش الفتح العربي الميمون الذي جاء الى مصر ، وأنهى - بالتضامن مع أهلها - حكم الرومان ، قد عادوا اليوم - وقد غدوا الآباء لكل العرب - ليروا بام العين « وطن الاجداد » ولينوها - بالتضامن مع أهله - الحكم المزدوج الاستبدادي - الاستعماري المطبق عليه في مثل الكماشة من شمال البلاد وجنوبها ، وجاءوا ليعلنوا للعالم كله من عاصمته العربية السعيدة « صنعاء » ميلاد حركة القومية العربية المعاصرة في شكل تظاهره ثورية خطيرة ومهيبة وفي مععان الصدام مع كل قوى الامبريالية والظلام المخيمة على أرض الجزيرة !

وليس ذلك هو « السر التاريخي » الذي ألهم وحرك قائد الثورة العربية وصحبه نحو الاندفاع الى اليمن ؟! « لقد كان اليمن دائما منذ قامت الدعوة الاسلامية رافعا رسالة الاسلام والحرية في كل مكان ، لم يكن هذا في اليمن فقط ، ولكنه تعدى اليمن الى كل العالم ، وحتى في بطون آسيا الوسطى كنت « المس ذلك بنفسى في كسل بلد من بلدان آسيا ، كنت أسأل ، فكانوا يقولون لي انهم أهل اليمن ، هكذا تحدث الرائد العربي في العصر الحديث عبد الناصر عن أبناء جلدته واليهام في اليمن ، عندما زارها في بريل عام ١٩٦٤ ، ليطمئن الى أن اليمن قد خرجت مرة أخرى - ضمن موكب التحرير العربي الواسع



الذى أسهمت - قبل ذلك - فى صنع حضارته ، وبناء مجده ، لتؤدى من جديد رسالتها ودورها فيه !

وكان واضحا لرواد القومية العربية الجدد فى مصر أن تحرر أى بلد عربى يشكل وثبة وطنية حاسمة فى اتجاه التحرر القومى الشامل - بما فى ذلك تحرير فلسطين - وأن ثورة اليمن التى اندلعت فى الركن الجنوبى الاستراتيجى الهام من جزيرة العرب هى منطلق جديد وأكد لحركة التحرر الوطنى كلها " اريد أن «اقول ان تحرير اليمن هو خطوة فى طريق التخلص من الصهيونية » ولذلك فاننا هنا فى هذا الميدان النضالى الذى تشتبك فيه قوى القومية العربية مع أعدائها « نشعر بالفخر ، ونشعر بالعزة ، ونشعر أننا نؤدى واجبنا » . ويزداد فخرنا واعتزازنا «بعد أن تتحرر جمهورية اليمن من الرجعية ، ومن النفوذ لاجنبى ، وتسير نحو التقدم ، ونشعر نحن الشعب العربى أن احنا كسبنا من جانبنا خمسة مليون يمنى متحررين حرية كاملة ، يمثلون قوة فى طريقنا الى التقدم ، ويمثلون درع ضد الاستعمار ، وضد أعداء الامة العربية » . وهكذا كانت أيضا اولى كلمات نطق بها عبد الناصر عن ثورة ٢٦ سبتمبر فى خطابه الذى القاه فى عيد النصر فى ٢٣/١٢/١٩٦٢ فى مصر .

وخلال نفس الزيارة التى قام بها فى ابريل ١٩٦٤ الى اليمن وجه البطل القومى انذارا حاسما الى جيش الاحتلال البريطانى بالرحيل الفورى عن جنوب البلاد ، وترك اليمن لأهلها وللمستقبلها «لقد اغتصبت بريطانيا عدن منكم ، واغتصبت بريطانيا الجنوب المحتل من اليمن ، بالقوة والخديعة ، وبالتآمر ، وبالمساومات مع الأئمة السابقين ، ولكن بريطانيا تعلم علم اليقين ان الامة اليمنية اذا تحررت ، وأن الشعب اليمنى الثائر اذا نفى عن نفسه لباس الذل والهوان بطرده للأئمة والخونة ، ان الشعب اليمنى القوى لن يمكن بريطانيا التى يقولون عليها العظمى بأن تبقى فى عدن ، وأن تبقى فى الاجزاء المغتصبة من الجنوب .. أن الشعب اليمنى الذى ذاق طعم الحرية والذى ذاق طعم الثورة لن يتخلى عن أخوة له فى عدن يذوقون طعم الذل ، وطعم الاستعمار البريطانى » . ومن جانبنا نحن فاننا بجانبكم فى المعركة ، بل «ان الامة العربية كلها تؤيد عدن ، وتؤيد الجنوب المحتل من أجل الحرية» ولن نبرح اليمن حتى يتحقق ذلك ، ولن نستجيب لأحلام وأمانى الاستعمار البريطانى الذى يركز دعايته من أجل اضطرابنا للانسحاب من اليمن ، فليس على أرض

اليمن من دخیل أجنبی غیر جند الاحتلال الانجلیزی ، وهم الذین علیهم أن یغادروا البلاد ، أما نحن فحاننا «نقول لهم ، اننا هنا شعب واحد ، لا فرق بین یمنی ، ولا مصری ، اننا أمة عربية واحدة ، أراد لنا الاستعمار التفرقة ، وخلق الاستعمار الحدود بیننا ، أراد لنا الاستعمار أن یضرب بنا الآخر ، أراد الاستعمار أن یفرق الصفوف ، وأن یفرق بین الاهداف ، لكننا الیوم نشعر بقوتنا ، نشعر بأننا نستطیع ان نهزم الدول الکبری» .

وفعلا فقد هزم الاستعمار القديم والجديد فی ساحة الیمن ، ورغم ضربة یونیو الصهیونیة الاستعمارية الغادرة التي کان من اهدافها وقف المد الثوری العربی الکاسح الذی کان قد بلغ جنوب الجزیره العربیة ، وارغامه علی الانحسار والتقهقر ، ووضع قاعدة الثورة العربیة الباسلة فی القاهرة تحت النصار المباشر والکامل ، فقد تحققت رسالة ثورة ٢٣ یولیو فی الیمن ، وصدقت عزیمة وكلمة عبدالناصر ، فما انسحب جيش التحریر المصری من الیمن ، الا بعد ان تم تأمین « وجود » جمهوریة ٢٦ سبتمبر ، وضمان انسحاب جيش الاحتلال البریطانی من جنوب الیمن الی غیر رجعة !

ولم تكن مهمة ثورة ٢٣ یولیو فی الیمن مقصورة علی المساعدة فی انهاء النظام الامامی الکهنوتی ، ودحر قوى الاستعمار البریطانی عن الأجزاء الیمنیة «المغتصبة» - كما کان یقول عبد الناصر دائما - وتوفير الظروف الموضوعیة والصحبیة المواتیة لاستعادة الیمن وحدتها الطبıcıة التي عرفت بها عبر التاريخ كله ، وانما أيضا من اجل مد ونشر لواء الوحدة العربیة فی اتجاه المشرق العربی كله ، وكما یقول خلیفة عبد الناصر فی خطابه بمناسبة الذکری ٢١ لثورة ٢٣ یولیو فانه «عندما بذلت دماء المصریین لمساندة ثوار التحریر فی الیمن، لم تكن فی الواقع لتعمل وتناضل الا فی سبیل الوحدة ، ذلك أن الوحدة لا یمكن أن تتم الا بین الاحرار فی تقرير مصیرهم ، والاحرار فی فرض ارادتهم ، والاحرار فی استغلال مصادر قوتهم ، وثرواتهم ، لخیرهم ، ولخیر الانسانیة جمعاء» .

وبعد أن غدت هناك حکومتان یمنیتان فی صنعاء ، وعدن ، وشجر بینهما نزاع طبیعی ومفترض ، كما کان یحدث دائما - اذ ما استثنینا البعد الاجتماعی فی الصراع - عبر التاريخ الیمنی بین الدویلات الیمنیة التي کان یسعی اقوامها الی محاولة وضع الیمن كلها

تحت إدارته المركزية ، فإن القاهرة الاستعمار - بروح من الحرص على البلد الذي تركت فيه أغلا وأعز التضحيات - لم تكف عن بذل مساعيها الحميدة من أجل حل مثل هذه النزاعات الأهلية بروح من «الأخوة» التي يملئها الانتماء إلى نفس الوطن ، ولم تتراجع عن أن تساعد ليس فقط في إيقاف الحرب الأهلية التي كانت قد اندلعت شرارتها في خريف ١٩٧٢ ، وإنما أيضا في عقد «اتفاقية القاهرة» المعروفة التي وضع بها حجر الأساس لإعادة تحقيق وحدة اليمن «سلميا» .

وعندما تعرضت «اتفاقية الوحدة» للمصاعب والهزات ، وتكررت أعمال الاشتباكات المحدودة ، وحوادث الأعدام للمعزوة اليهم في شمال البلاد ، وأخذ الموقف يتوتر ويلتهب ، مهددا باندلاع صراع حربي جديد ، ولا سيما بعد مصرع الشيخ محمد علي عثمان عضو المجلس الجمهوري بأيدي مجهولة حتى الآن - فإن القاهرة سارعت إلى مضاعفة جهودها من أجل الحيلولة دون تصعيد الخلاف داعية الطرفين إلى الاحتكام إلى روح المواطنة اليمنية ، أن آخر جهد سياسي ظاهر في هذا الاتجاه هي تلك الرسالة التي وجهها الرئيس أنور السادات إلى رئيس مجلس الرئاسة في عدن سالم ربيع علي والتي سلمت إليه في ٢١/٧/١٩٧٣ ، وتلك الرسالة الموجهة من قبله والمسلمة إلى رئيس المجلس الجمهوري في صنعاء القاضي عبد الرحمن الأيبراني في ٢٤/٧/١٩٧٣ .

ومن كلمات الرسالة الأخيرة بالذات يتضح بقوة وجلال مدى حرص «الشقيقة الكبرى» على تجنب اليمن ويلات حرب أهلية دامية ومدمرة لا يستفيد منها سوى الأجانب ، ومنها يبرز سعيها الحثيث من أجل اقناع الأخوة اليمنيين بحل مشاكلهم الداخلية بالأسلوب السلمي ، حتى تفوت الفرصة على التدخل الخارجي المتربص ، وفي هذه الرسالة أعرب الرئيس السادات «عن أمله في أن يتحقق السلام بين أبناء الشعب الواحد ، وأكد أن مصر لن تدخر جهدا في سبيل تحقيق هذا الهدف» وأكثر من ذلك فإن الرئيس العربي حدد مجددا الموقع البارز والهام الذي تحتله اليمن من تفكيره ، وفي سياسة مصر العربية ، وأظهر المشاعر القومية القوية التي تتابع بها عاصمة العرب مجريات الأمور في هذا البلد الذي شهد أروع ملاحمها النضالية ، والذي يحتفظ لها بأعظم الذكريات والمواقف البطولية الحية والباقية،



حيث أكد الرئيس السادات في رسالته الخطية الى الاريانى ومتابعته واهتمامه عن قرب بتطور لاحداث بين شطرى اليمن ، كما شدد على القول بأن «الهدف الرئيسى للقوى المعادية لشعوب الامة العربية هو استئثارها لمعارك فرعية ، لاستنزاف جهودها ، وتحويل طاقاتها العظيمة للتلاحم فيما بينها ، بدلا من حشد دفاعا عن مصالحها » .  
(الاهرام ٢٥/٧/١٩٧٣)

ان هذا القدر الفائق من الاهتمام والعناية الذى تبديه مجددا ثورة ٢٣ يوليو بمسار الثورة والوحدة اليمنية من شأنه - بكل تأكيد - أن يساعد - كدور جديد ومجيد من أدوارها ازاء الشعب اليمنى - فى تجنب هذا البلد - الباحث عن مكانته السياسية بين امته العربية والى جانبها - الكثير من المشاكل والمكاره ، وأن يدفعه فى اتجاه حل مشاكله الوطنية والطبيعية بروح من الاخاء الوطنى ، واضعا خلال ذلك كله امام ناظره موقف امته العربية وموقف قيادتها القومية مصر ، ومثل هذا القدر من الاهتمام بالقضية اليمنية والذى يأتى فى اوانه الصحيح سيكون له مردود ايجابى ومؤكد على مسار الحركة القومية ضد العدو الصهيونى والاستعمارى ، وسيعطى ثماره الخيرة ، حيث سيكفل توسيع جبهة المواجهة العربية - من خلال توحيد الموقف الوطنى اليمنى وتوحيد اليمن - وجعلها أكثر شمولية ، وحيث سيكون فى الامكان انقاذ اليمن من مشاكلها الوطنية الخاصة ، وتمزق سياسة الاستيعاب والاحتواء لها ، والزج بها - باعتبارها تمثل « مؤخرة استراتيجيه » هامة - فى المعترك القومى الشامل ، وتمكينها من تحمل نصيبها المباشر والفعال فيه .

## عبد الناصر ووحدة اليمن

شهران في السنة لابد ان يدخل التقويم والتاريخ العربي الحديث باعتبارهما معلمين بارزين في حياة العرب المعاصر ، بهما تؤرخ احداث ، وتنتهي حقبة ، وتبدأ حقبة ، وهما يوليو وسبتمبر ، ففي الاول تفجرت ثورة ٢٣ يوليو الرائدة التي فتح بها عهد الثورات العربية الوطنية التحررية ، وبها ارتفع لواء القومية والوحدة العربية ، وفيه اندلعت ثورة ١٤ تموز في العراق التي استقطت حلف بغداد ، ونقلت هذا الركن الركين من الوطن العربي الى معمة النضال العربي الشامل ، وفي الشهر الاخر انطلقت ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن التي صحت بها الجزيرة العربية كلها من صباتها الطويل والتي كانت ثورة ١٤ اكتوبر في جنوب اليمن امتدادا لها ، والتي كانت في الواقع صبيحة الثورة العربية كلها في آذان التاريخ وفي وجه الاستعمار وعملائه ، وادواته في كل مكان من الوطن العربي ، وفيه انتفض الشعب الليبي بثورة الفاتح من سبتمبر التي اعادت النبض والحيوية في جسم الثورة العربية المثخن بالجراح من آثار طعنات عدوان ١٩٦٧ الصهيوني - الاستعماري الغادر ، وفي ٢٨ منه رحل قائد المسيرة الثورية والقومية المجيدة والحديثة جمال عبد الناصر ، بعد ان شاد صرحا من النضال لا يهد ، وجيلا من الثوار لا يعد ، وعزيمة مضاء توري لا راد لها .

واذا كانت وفاة المناضل والزعيم القومي العظيم قد جاءت في واحد من الشهور التي اقترنت بامجد انتصاراته وانتصارات امته العربية فانه ليس هناك اجل واروع في لحظات الاشهاد بذكره انماط من ان نسمع كلماته الخالدة في تقييم الابعاد القومية لذلك الحدث الثوري الذي ارتعش به جنوب الجزيرة العربية في صبيحة سبتمبر عام ١٩٦٢ . اسرائيل السنة التي فانت كلنا نذكر كانت عاملة افراح بعد الانفصال ، الكماشة التي كانت معمولة عليها من

الجنوب والشمال انتهت .. الوحدة العربية الى هي عنوها الاساسى  
راحت ، القومية العربية اتفككت .

النهارده اسرائيل بعد ثورة اليمن فى حالة عصبية ، اسرائيل  
يتشعر بان التقدمية والعدالة الاجتماعية والكفاية والعدل هي اسلحة  
للمعركة ضدها .

الاستعمار السنة الى فانت بعد الانفصال قالوا خلاص دا  
جمال عبد الناصر انتهى ، والجمهورية العربية انتهت ، وفكرة القومية  
العربية انتهت ، والثورة العربية انتهت ، واللى كان يقرأ جرائد  
انجلترا السنة اللى فانت يعنى ، كان يشعر بالغيط ، ناس فرحانين  
فيما ، موقفهم كان واضح ، النهارده موقفهم ايه ؟ بعد ثورة اليمن  
برضه كانت حالتهم عصبية خايفين على مصالحهم خايفين على البترول ،  
خايفين على مستعمراتهم ، مستعمراتهم فى الجزيرة العربية ،  
مستعمراتهم فى عدن ، مستعمراتهم فى الجنوب العربى المزيف .  
عارفين ان الاستعمار لا بد ان يلفظ انفاسه ، عدن لا بد ان تتحرر .  
الجنوب لا بد ان يتخلص من الاستعمار ، وكونهم يعملوا وسطه الجنوب  
العربى لا يمكن لعربى انه يقبلها لانه عارف ان السلاطين تحت حماية  
بريطانيا . كل عربى عارف ان هناك استعمار فى جنوب الجزيرة  
العربية لا بد ان ينتهى . لا بد ان تعود الارض الى اصحابها ، بيحارب  
الحركات التحررية بيحبس زعماءها ، ولكن هل يستطيع هذا ان يغير  
التطور الحتمى للتاريخ .. ابدا لا بد للارض العربية ان تتحرر .  
هكذا تحدث عبد الناصر فى ذكرى عيد النصر فى ٢٣ / ١٢ / ١٩٦٢  
ويضيف عبد الناصر فى خطاب اول مايو ١٩٦٤ : « قامت ثورة  
اليمن ، وكان لا بد لثورة اليمن من ان تطالب بخروج بريطانيا من  
عدن والجنوب المحتل ، كانت زيارتي لليمن عبارة عن تعبير عن وحدة  
الثورة العربية ، التى « يجب ان تسير فى طريق الوحدة » .

ولم يرحل عبد الناصر قبل ان يرى بأم العين رحيل الاستعمار  
البريطانى من جنوب اليمن ، ونهاية اتحاد الجنوب العربى المزيف ،  
وقيام جمهورية وطنية متحررة مكانه موضوعة امامها اليوم مهمة  
تاريخية عاجلة وملحة هي انجاز وحدتها مع الوطن « الام » ، فى شمال  
البلاد الذى لم تستطع كذلك كل قوى الاستعمار وعملائه تنكيس  
علم جمهوريته التى وقد ارتوت بأغزر وانبل النماء اليمنية والعربية ،  
وقد ضربت بجنورها فى باطن الارض اليمنية والعربية - صعب على



الامبريالية وزبانيتهما اقتلاعها ، والتطويع بها .  
لقد كان عبد الناصر يقول : « معركة اليمن معركتنا ، ثورة اليمن ثورتنا » وكان يقول « ان تحرير اليمن هو خطوة في طريق التخلص من الصهيونية » فوق انه خروج من دائرة « النفوذ الاجنبي » والتحكم السلاطيني - الامامي الاقطاعي ، وكان يرى ان هناك يمنا واحدا جزأته المصالح الاستعمارية ، وقد عبر عن ذلك بوضوح في خطابه في صنعاء في ٢٥ / ٤ / ١٩٦٤ « اهل حضرموت ، وحضرموت كانت دائما جزءا من اليمن . . . وكانت عدن جزءا لا تتجزأ من اليمن » وقد استغلت قوى الاستعمار البريطاني تخلف البلاد « واحتلت عدن ، ثم بدأت تزحف لتحتل من اليمن شبرا شبرا ، وكما كان يكرر القول في اليمن ذاتها - وكما جاء في خطاب ٢٦ / ٤ / ١٩٦٤ في تعز - بأننا « هنا شعب واحد ، لا فرق بين يمني ولا مصري ، اننا امة عربية واحدة اراد لنا الاستعمار التفرقة ، وخلق الاستعمار الحدود بيننا » .

لقد رحل جيش عبد الناصر من اليمن ، ورحل هو نفسه الى حياة اخرى خالدة ، ولكن مهمته القومية والثورية في اليمن استمرت من بعده ، وكل الخطوات والاتفاقات التي انجزت بين شطري اليمن وفي اتجاه اعادة وحدتها لم تتم بمعزل عن ثورة ٢٣ يوليو ، وعن دور قادتها فيها . فمن اتفاقية الوحدة التي ابرمت في ٢٨ / ١٠ / ٧٢ الى بيان طرابلس في ٢٨ / ١١ / ١٩٧٢ ، الى بيان الجزائر الذي اذيع في ٤ / ٩ / ١٩٧٣ كانت مصر من خلال جهود رئيسها أنور السادات تلعب اكثر من دور الوسيط ، حيث كانت ممثلة تمثيلا حيا وقويا ، ومساهمة اسهاما ايجابيا وفعالا في انجاز هذه الخطوات والاتفاقات التي ينبغي لها ان تقود في اخر الامر - وعبر مشاركة ووحدة الحركة الوطنية اليمنية ذاتها ، ودفع الثورة اليمنية الذي لا يتوقف - الى ضرب سياسة استيعاب شمال اليمن واحتواء جنوبه والى اقامة صرح جمهورية اليمن المركزية الموحدة الوطنية الديمقراطية التي ستشكل ركنا اخر من اركان بناء الوحدة العربية الشاملة .

### عبد الناصر وكسر الحلقة الضعيفة في اليمن

لم يكثر الجدل حول ثورة عربية ، كما كثر حول مدى أصالة ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن ، ولم يستمر حول قضية ، كما استمر

حول قضية مدى جدوى الدور الذى اسهمت به ثورة ٢٣ يوليو فى تفجير ومساندة هذه الثورة .

ولقد بلغ الجدل احيانا حد انحكم على حركة ٢٦ سبتمبر بانها لا تعدو أن تكون - فى أحسن الاحوال - انقلابا عسكريا ، دبرته من أعلى - وبإيعاز من الخارج - مجموعة محدودة من الضباط التى - نظرا لفقدان جيش وطنى حديث تعتمد عليه - لم تجد غير القاهرة ، أو لم تجد القاهرة غيرها ، للقيام بهذا الانقلاب ، لتغيير « شكل » الحكم من ملكى الى جمهورى ، دون أن يمس مثل هذا التغيير حياة الناس مساهة حقيقية .

ويؤكد البعض رايه فى تأكيد أن الامر ليس أكثر من انقلاب عسكري ضد الاسرة المالكة ، واعوانها البارزين ، بالقول بأن الذين خلفوا هذه « الاسر الاقطاعية » المترثة المستهلكة ، هم مجموعة اخرى من « الاسر الاقطاعية » الأكثر قوة وحيوية ، وأن النظام الاقتصاى والاجتماعى بطابعه القبلى - الاقطاعى لم يتغير ، بل ازدادت قاعدته الاقتصادية اتساعا ، وإن العلاقات الانتاجية الاقطاعية ، وأواصر العصبية القبلية لم تنتعش وتزدهر ، كما انتعشت وازدهرت بعد قيام هذه الحركة ، وإن النتيجة الوحيدة لها هو سقوط حكم « الملك الاقطاعى » وقيام دولة اقطاعية - قبلية « مفككة العرى » مكانها ، مكونة من مقاطعات اقطاعية ، يحكم كلا منها اميرها أو سلطانها الاقطاعى الجديد ، الذى لا يدين للعاصمة صنعاء بأى ولا . - كما كان الحال مثلا بالنسبة للشيخ الاقطاعى الجديد الكبير ناجى بن على الفادر الذى كانت منطقته « خولان » التى لا تبعد عن العاصمة الا قليلا لا تعترف بحكام صنعاء ، ولا يملك هؤلاء ازاها قليلا ولا كثيرا ، وكما هو الحال بالنسبة لمقاطعات اخرى ، لا تستطيع الحكومة أن ترتفع مشائخها الاقطاعيين كابن الاحمر حتى لو رغبت فى ذلك ، وكما هو الامر بالنسبة لمناطق اخرى لا تقسم حتى « الزكاة » للدولة « فينكرمز » لولاها لها .

تبعها ويصل البعض فى الاستنتاج الى حد الحكم بأن الحملة المصرية الى اليمن ليست سوى « مغامرة ناصرية عقيمة » لا تختلف الا قليلا عن الحملة المصرية التى ارسلها محمد على الى هناك فى الربع الثانى من القرن التاسع عشر ، حيث عادت كلتا الحملتين الى بلادهما دون ثالفا بخلفائهما يذكر ، عدا اوضاع اقطاعية - قبلية تسودها الفوضى ، يحتلها الى الياس !

بل أن البعض يرى أن ذهاب الجيش المصرى الى اليمن لم يكن  
غير عملية استدراج استعمارية لمصر ، للغوص فى متساهة مجهولة  
المعالم ، مغبرة الانحاء ، حالكة الافق ، وللقوع فى فخ اقطاعى -  
نبلى - استعمارى ، لاتخرج منه أى حملة ترميل الى هناك - حتى ولو  
كانت لمجرد الاستكشاف - الا مهیضة الجناح ، مستنزفة القوى  
مثلومة الكرامة ، خائبة الرجاء ، فاقده الامل ، وان ذلك هو الدرس  
الذى وعاه الاستعمار الغربى واستخلصه من معاناة الاحتلال التركى  
فى هذه البلاد ، حيث كانت ائمن دون غيرها من الاقطار العربية  
« مقبرة للاتراك » ، واذا كان قد عز قبر عبد الناصر وجيشه ، ودعوته  
القومية فى مصر ، أو فى أى بلد عربى ، فان اليمن هى المكان التاريخى  
الملائم - كما تدل على ذلك الشواهد المادية ، وكل الدراسات  
التاريخية - اننى بالامكان قبر هيبتة ودعوته فيها بنجاح ، بل وقبر  
مستقبل حركته القومية الناصرية الثورية !

ويصل هذا البعض فى التخريج والتحليل الى القول بأن ذلك  
هو ما حدث بالفعل ، حيث لم يبق أمام اسرائيل الا أن توجه الضربة  
الاخيرة لذلك البناء العسكرى ، والاقتصادى ، والسياسى الناصرى  
الذى كان قد تأكل وامتص ، واستهلك فى اليمن ، وأثبت - بعد  
تخطيطه السياسى ، واستنزافه العسكرى ، وتبديده الاموال الطائلة  
هناك ، واحباطه النفسى - انه قد فشل ليس فقط فى اسلوب  
« تصدير الثورات الناصرية » ، وافتعال الانقلابات المحلية الفجة ،  
وفى امكانية حمايتها وتطويرها ، وانما أيضا فى امكانية الحفاظ على  
كيان وتوازن مصر نفسها ، وامكانية تقديم عجلة التنمية بها ،  
واستقرار الاوضاع السياسية فيها ، حيث ادت « حرب اليمن » الى  
اختلال فى سير الامور الاقتصادية ، والمالية ، والعسكرية والسياسية  
« داخل » مصر ، والى نشوء محاور متصارعة ، ومراكز قوى مختلفة ،  
والى فساد ادارى ، والى غير ذلك من المشاكل التى ليس أهونها تعثر  
حل مشاكل المواطنين الداخلية والملحة ، وتلكؤ عملية البناء فى  
البلاد .

وفى الرد على مثل هذه الحجج وغيرها مما لم يذكر هنا - والتى  
يبدو كثير منها وجيها - يتعين علينا أن نسرد الحجج المضادة لها ،  
والكفيلة بتوضيح جلية الامر ، فى نقاط محددة ومركزة .  
١ - ان حدث ٢٦ سبتمبر فى صنعاء جاء فى وقت كانت مصر  
واقعة فيه تحت الحصار المباشر ، سواء من قبل القوى الاستعمارية



والرجعية ، أو من الانظمة الوطنية العربية كالعراق مثلا ، حيث تمثل ذلك بصورة خاصة في نكسة الانفصال ، ومؤتمر شتورا ، وتجميد مصر لنشاطها في الجامعة العربية ، انتى أظهرت فيها حينئذ في مثل وضع اليتيم ، بدون صوت واحد يسند لها ، أو حتى يجاملها ، حتى بدا واضحا أن المراد ليس فقط عزل مصر عن أحداث المشرق العربي ، وافقادها دعوى التحدث - من موقع القيادة القومية - عن مشاكله ، وتعبئة الجماهير العربية خلفها لمواجهة هذه المشاكل ، وإنما أيضا قطع لسانها العربي من أساسه ، والحكم عليها بانتماء آخر غير انتمائها العربي ، ومواصلة الضغط عليها من كل اتجاه ، حتى تنفجر كالبالونه من الداخل ، ويقوم حكم يميني خانع ، يتولى محاكمة التجربة الناصرية ، ويدين مسارها القومي ، ويوجه سياسة مصر - انطلاقا من القومية الفرعونية المزعومة - صوب « سياسة البحر الأحمر » ، وفي اتجاه الغرب !

وكاد رد عبد الناصر الجريء والعبقري ، والمتسق مع الوضع الطبيعي للأشياء ، ومع الحقيقة التاريخية العميقة والمتأصلة في الوجدان القومي والشعبي العربي ، ومع اتجاه حركة التحرر الوطني والقومي والتحدى الثوري ، هو الانغماس في مشاكل الوطن العربي ، وكسر الأطواق الاستعمارية من حول مصر ، وخوض البحار الخطرة ، واجتياز السهول والجبال النائية ، وصولا الى الجماهير العربية التي أرادوا عزل عبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو عنها ، ومشاركة لها في آلامها ، ومعاناة معها في حمل أثقالها ، وتحملا لمسئولية مصر التاريخية ، والحضارية ، والقومية ، والقيادية ازائها ، بالتصدي للمجبهة الرجعية الاستعمارية ، ابتداء بكسر أضغف حلقاتها في اليمن ، - مرورا بمواجهة الاستعمار البريطاني في عدن - وانتهاء بالاشتباك المباشر مع أقوى وأخطر القوى الاستعمارية والرجعية على امتداد المشرق العربي .

٢ - ان حدث ٢٦ سبتمبر بدأ انقلابا عسكريا من أعلى ، شأن الكثير من الثورات العربية التي بدأت في شكل انقلابات عسكرية . ولكن الشرارة التي انطلقت في هذا اليوم سرعان ما تحولت الى حريق ثوري عظيم ، اشتعلت به اليمن كلها ، كما لم يحدث مع أي ثورة عربية أخرى - باستثناء ثورة تموز في العراق - حيث انخرطت الجماهير اليمنية - وخاصة في المدن - ابتداء من مستعمرة التاج في عدن ، حتى أعتى حصون الأئمة في صنعاء - في خضم الكفاح

الوطني المسلح لدجر جحافل قوى القبليّة، والاقطاع والرجعية العربيّة، والاستعمار القديم والجديد عن أن تئد هذا الوليد الثوري الخطير الذي انبثق من حيث لا تحتسب كل هذه القوى، وحيث اندفعت لدعمه وحمايته قاعدة الثورة العربيّة في القاهرة، وكل التقدميين في لعالم، وعلى رأسهم الاتحاد السوفيتي الذي لم يفته المغزى الثوري، الوطني والقومي لهذه الحركة المباركة والفريدة، التي جاءت - بحق - في مثل نداء جديد بانبشري تجود به جزيرة العرب من جديد، وصيحة قروية عظمى تنذر طغاة القرون الوسطى بنفس المآل وب نفس المصير .

٣ - ان حركة ٢٦ سبتمبر اسقطت حصنا اقطاعيا عتيقا وعريقا، كان يقوم على الحق الالهي المطلق في الحكم، وعلى مذهبيه كهنوتية طائفية عريقة، شديدة التخلف والتحجر، ممثلة في النظام الاقطاعي - القبلي - الامامي، الذي عجزت حتى كل التمردات الداخلية - المعززة من دوائر الاستعمار البريطاني في عدن - والتي قامت بها الاجنحة الاقطاعية - القبليّة المعارضة له عن اسقاطه، وما كان أحد يتوقع أو حتى يحلم أن يتم اقتلاعه أو تهديمه - نظرا للوضع الجنيني الذي كانت ما تزال تعيشه البورجوازية وغيرها من الفئات الوسطى، وللظروف غير المواتية المحيطة به - بدون ضربة قوية يشترك في تسديدها الجسم العربي كله، بكل طاقته العملاقة، وبكل قبضته الحديدية، وبدون حماية كاملة من الثورة العربيّة !

٤ - ان البديل للحكم الامامي - الاقطاعي - الكهنوتي المسقط كان اقامة جمهورية وطنية تقدمية لأول مرة في تاريخ جزيرة العرب، جمهورية لم تصنعها القوى العشائرية والاقطاعية التي كان جزء منها في المعارضة للنظام المباد، وانما صنعتها كل القوى الوطنية والشعبية النامية في اليمن، انطلاقا من البورجوازية الصغيرة والمتوسطة، الى جماهير المدينة، بمتقفيها، وعمانها، وطلابها، وصغار موظفيها، الى جماهير الفلاحين التي انخرطت في الحرس الوطني، وضمن الجيش الحديث الذي انشأته ودربته مصر، وسلاحه الاتحاد السوفيتي، والذي غدا أهم أعمدة وضمانات بقاء الجمهورية، وأخطر اسلحتها الدفاعية، والوطنية الفتاكة، حتى بعد خروج الجيش المصري من اليمن، وحتى الساعة، وهو ما برهنت عليه كل الاحداث التي تعرضت لها الثورة بدءا من حصار السبعين يوما عام ١٩٦٧ - ١٩٦٨، حتى « الحصار السياسي » القائم والمستمر حول اليمن !

٥ - ان كل الاخطاء التي اقترفت ، وكل السبلبيات التي حدثت ، وكل التضحيات التي بذلت ، وكل الاموال التي انفقت ، قد تمت أثناء غرس وحماية واحة خضراء فى قلب مسحراء جزيرة العرب المجدبة ، وانها كلها اذاما قيست بذلك المنجز التاريخى العظيم ، المتمثل فى انتزاع شعب اليمن من برائن حكم اقطاعى ، جامد ، متوحش ، جهول ، ووضعه على طريق التحرر والتطور ، لما كانت سوى فى وزن حبة الخردل الصغيرة بالنسبة لوزن جبل مهيّب !!

٦ - انه اذا كان التركيب الاقتصادى - الاجتماعى لم يتغير بقيام هذه الثورة ، فإن التركيب السياسى تغير بها بالفعل ، وكان ذلك هو المدخل الطبيعى - شان كل ثورة وطنية - لتغيير البنية الاجتماعية ، خلال مسيرة الثورة . ويكفى القول انه فى ظل خمس سنوات من الحكم الوطنى تغيرت أشياء كثيرة ، وتغير الانسان اليمنى ذاته ، من حيث مستوى الوعى ، ووجدت مؤسسات حكومية ، وجماعية - كاتحاد العمال مثلاً - ونمت البرجوازية اليمنية - كما نما الاقطاع أيضاً ، وذلك هو الجانب السلبى - وأنه بفضل ذلك كله لم تتمكن كل قوى الردة ، والتخلف انداخلية والخارجية - رغم المواقع المهيمنة التى احتلتها - أن تقضى على هذه القوى ، أو تغير هذه الأوضاع ، أو تنهى وجود النظام الجمهورى ، أو تستأصل « روح » الثورة !

وهل من شهادة أقوى فى هذا المجال ما قاله أحد خصوم الثورة البارزين - أحمد محمد الشامى ، وزير خارجية النظام الملكى المقبور ، الذى غدا - لفترة محددة قبل أن يصبح سفيراً فى لندن - عضواً فى المجلس الجمهورى - بعد ابرام الصلح مع الجانب الملكى فى مارس عام ١٩٧٠ - حيث لم يملك الا أن يعترف بهذه الحقيقة الشامخة ، وقد شاهد بأم العين التغير الكبير الذى طرأ على معالم البلاد ، ويقول : « لقد تركت اليمن قرية مهجورة ، فعدت اليها بعد أن أصبحت دولة كاملة ولاشك أن الدور الذى قامت به الجمهورية العربية المتحدة فى هذا المجال لن يمحو ولن ينسى ، بل سيظل على اندوام علامة مشرفة لما قدمتته الشقيقة الكبرى لليمن » ( الجمهورية القاهرة ١١/٦/١٩٧٠ ) .

٧ - ان المقاومة الضاربة الداخلية والخارجية التى واجهت



ثورة ٢٦ سبتمبر شهادة لها ، وليس عليها ، ودلالة على مدى أصالتها وخطورتها على مصالح الاستعمار والرجعية في المنطقة التي نشبت فيها ، ومن هنا سر ذلك التكالب الشرس ضدها وضد الوجود المصري الثوري في اليمن !

٨ - انه بفضل ثورة ٢٦ سبتمبر ، وفضل الوجود المصري في أرض الجمهورية التي صنعتها هذه الثورة وبلاستناد الكامل الى أرضها ، وعلى شعبها ، وعونها ، وعلى العون والدعم القومي السخي والقوى من جيش القاهرة هناك ، امكن ان تنشب ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ في جنوب اليمن ضد الاستعمار البريطاني ، وانا نكون على ذلك النحور الجاه ، وبذلك الحجم المؤثر . وبرغم كل الخلافات العارضة التي نشأت خلال النضال بين الجبهة القومية التي قادت الحركة الوطنية هناك بنجاح ، وبين الجهاز المصري في اليمن فانه لا الجبهة القومية ، ولا غيرها من القوى الوطنية في طول اليمن وعرضها ينكر انه لولا وجود ثورة ٢٦ سبتمبر ، ووجود مصر - بكل ثقلها القومي في الساحة اليمنية طيلة خمس سنوات من الكفاح ، لما سارت الامور ضد الاستعمار البريطاني بالشكل الذي سارت عليه ، ولما تهدم النظام الامبريالي في عدن بهذه السرعة ، بينما كان يحلم - قبل اشتعال الثورة ضده - بعمر سياسي مديد في جزيرة الاقطاع والقبلية ، والبتروول !

وليس هناك ما هو ابلغ دلالة في هذا الصدد من الاستشهاد بكلمات علي ناصر محمد ، رئيس وزراء النظام الوطني الديمقراطي في جمهورية اليمن الديمقراطية حين تحدث عن هذا الدور الجليل الذي نهضت به مصر ازاء الثورة اليمنية في شمال البلاد وجنوبها ، وعن ذلك الانذار الذي اطلقه الزعيم الخالد عبد الناصر ، أثناء زيارته للمشط الشمالي في عام ١٩٦٤ حين قال ان علي بريطانيا ان تحمل عصاها وترحل من الجنوب اليمني ، حيث اكده ان هذا الانذار لم يذهب ادراج الرياح ، بل كان معززا بدعم سياسي وعسكري فعال لثورة ١٤ أكتوبر بقيادة تنظيمنا السياسي الجبهة القومية ، وهكذا استعاد شعبنا اليمني كامل حريته ، في الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧ ، ! ( جريدة ١٤ أكتوبر العدنية في ٢٩/٩/١٩٧١ ) .

٩ - أما الرد على المنطق القائل بأن مصر استدرجت الى فخ استعماري في اليمن ، وانها استنزفت هناك ، وان ذلك كان من

أسباب النكسة التى حلت بها فى يونيو ١٩٦٧ - وهو منطق تردده قطاعات من البرجوازية اليمنية والوطنية المصرية ، واوساط قبلية - فى اليمن - الرد عليه هو أن مصر - كمركز ثقل قومى ، ورائدة طبيعية للنضال العربى - لم يكن فى مكانها أن تفر من نفسها . ومن دورها المفروض عليها بحتمية تاريخية وسياسية ، وكان لابد لها - ولاسيما بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو الفتية والرائدة وظهور زعامتها الوطنيه والقومية الجريئة والمقدامة - أن تواجه ما واجهت وأن تتحمل ما تحملت ، باعتبار ذلك ثمنا طبيعيا لا غرابة فيه لدورها الطليعى البارز فى مقدمة حركة التحرر الوطنى ، والتقدم الاجتماعى ، والتوحيد القومى !

ولا حاجة للقول بأن مصر لم تنتكس عسكريا عام ١٩٦٧ بسبب « حرب اليمن » التى - كما يقولون - استنزفتها واستنزفت جيشها هناك ، وانما انتكست لاسباب « سياسة داخلية » أكثر منها عسكرية ، ولم يكن العدوان الصهيونى - الاستعمارى الا الفصل الاخير لمسرحية مأساوية منسوجة ومرتبعة سلفا ، كانت تدور عقدها حول القضاء على الجوهر القومى التقدمى للمسار الناصرى المتمثل فى العمل بهمة ونشاط على ملاحقة النفوذ الاستعمارى فى كل مكان من الارض العربية ، وعلى التصدى للقوى الرجعية المستلقية فى أحضان الاستعمار - كما قال عبد الناصر حينئذ - وهى مؤامرة كن قد بدأ تنفيذها عام ١٩٦١ بنكسة الانفصال، وبمحاولة عزل مصر ، وخنقها، وتفجيرها من الداخل ، وهى نفس المؤامرة التى التف من حولها عبد الناصر ، وتخلص منها ، وقضى عليها بالقفز من فوق الاسوار الخائقة والعازنة ، والاندفاع - شأن الفارس المغوار الذى لا يقبل الهزيمة والاسر - نحو فتح جبهة جديدة مع الاستعمار والرجعية فى ميدان عربى آخر ، وذلك هو ما صنعه عبد الناصر فى اليمن ، وتلك هى خلاصة قصته مع ثورة ٢٦ سبتمبر ، ومع الثورة اليمنية ككل ! ومع ذلك فان المؤامرة القديمة - الجديدة التى عجز الاستعمار عام ١٩٦١ عن أن يقتحم بها حصن الثورة العربية الحصين فى مصر، أراد أن يحققها عام ١٩٦٧ عن طريق اسرائيل ذراعة العسكرى فى المنطقة - ولكنه رغم ذلك لم يستطع الاستيلاء على هذا الحصن ، وان اصابة الشروخ آخذة اليوم فى الإلتئام والالتحام ، تهيؤا ليس فقط للقيام بهجوم معاكس على طول الجبهة الاستعمارية - الصهيونية - الرجعية ، وانما للقيام بعمليات اقتحام « ناصرية » وثورية جديدة ضد قلاع اقطاعية واوكار اخرى فى المنطقة العربية !

## حرب اليمن قمة الصراع بين الثورة والثورة المضادة

منذ خيم العدوان الصهيوني - الاستعماري باثارة المظلمة على الارض العربية والنفس العربية ، واتجهت الامة العربية بأبصارها ، واجسادها ، وطاقاتها المعنوية والمادية الى حيث يجثم جيش الاحتلال والغزو ، تبني من نفسها سدا تاريخيا أمامه لوقف زحفه العدوانى ، وجمع وتحشد لملاقاته ودحره وتصحيح مسار التطور على الارض العربية كل ما اختزنه تاريخها من آيات الشجاعة والبطولة والفداء ، وكل ما يمتلكه حاضرها من توثب وتطلع وثورية ، وكل ما يعد به مستقبلها من تقدم وازدهار ومجد ، منذ خيم هذا العدوان بظله المقيت على الارض والنفس العربية ، تراجعت فجأة ملحمة الحرب الثورية البطولية التى كانت اليمن مسرحا لها ، والتى ظلت متقدمة الانوار خمس سنوات بين قوى الثورة اليمنية والعربية من جهة ، وبين الرجعية الاقطاعية والاستعمار من جهة أخرى ، والتى بقيت طيلة هذه الفترة مركز الاحداث العربية كلها ، بل وأحد محاور الصراع الرئيسية التى يحتدم فيها القتال وبكل الاسلحة بين قوى الجديد والقديم ، بين الحركة والجمود ، بين الحياة والموت ، بين قوى وطنية يمنية ، انبعثت كالحمم الهادر الحارق من تحت الارض بعد عملية تفاعل عنيفة دامت مئات السنين ، وبين قوى اقطاعية استبدادية كهنوتية متألهة ، بين المد الثورى العربى الذى اجتاز الحدود الاقليمية المصطنعة لمواجهة الاستعمار فيما تبقى له من مراكز نفوذه فى أشرف وأقدس معركة قومية حقيقية ، وبين الاحتكارات الامبريالية الدولية التى كانت تحارب معركتها الاولى والاخيرة فى شبه الجزيرة العربية ، حيث الثروات الاسطورية الهائلة الظاهرة والخفية ، وحيث تقبض القوى الاقطاعية المتخلفة الغاشمة والقوى الامبريالية الطغيانية الظالمة على عنق الحركة الثورية للامة العربية فى المشرق العربى ، وتعرقل مسيرتها التاريخية ، وتحول دون انطلاقها وتقدمها وتحررها ووحسبها .



ولقد كان أمراً مفهوماً ومبرراً أن تتراجع أهمية الثورة اليمنية الى الخلف بعد ان اصبحت مواجهة عدوان ٥ يونية تمثل قضية العرب الاولى ، وهمهم المقيم ، وشغلهم الشاغل .

ولكن غير المفهوم وغير المبرر أن تخرج الثورة اليمنية فجأة ونهائياً من كل حساب ، وأن تلفها أسداف من الصمت المطبق ، وكأنها مسرحية درامية قضت الاقدار العمياء بتحريك فصولها الدامية الخمسة على ارض اليمن ليسدل عليها لستار ، بعد ان اصاب الناس الدوار والغثيان من احداثها المأساوية ، وكأنها وميض برق لمع في سماء الجزيرة بمحض الصدفة ، ليختفى في ظلامها الدامس دون أن يحرك اختفاؤه لدى أحد شعوراً من أى نوع .

واذا لم يكن الامر كذلك فلماذا لم تعد ثورة ٢٦ سبتمبر تذكر حتى مجرد الذكر بين الثورات العربية ؟ وأصبحنا نقرا في الصحافة العربية عن الاهمية التاريخية للثورة المصرية ، والعراقية والجزائرية والليبية دون أن يتعرض أحد لثورة سبتمبر اليمنية حتى ولو بإشارة واحدة ؟ أفيكون اغفال ذكرها من باب السهو والنسيان ؟ بالتأكيد .. لا ..

وأكثر من ذلك فان ذكرى الثورة تمر دون أن يكتب أو يحتفى أو يعبا بها أحد ، وكأنها قد غدت ذكرى شؤم لا يريد أن يتذكر أو يتحدث أو يسمع بها بشر ، ولم تعد ثورة ٢٦ سبتمبر تحسب لا ضمن الثورات الحية فيحتفل بميلادها ، ولا ضمن الثورات الميتة فتؤبن بمناسبة ذكرى وفاتها ، وكأنها قد تحولت الى سقطة بين الثورات العربية ، لا بداية له ولا نهاية ، وبالتالي فانه ليس لها تاريخ يذكر ، أو صفحات أعمال تنشر ، ف لحظة ميلادها هي لحظة موتها ، اذ لم تكتمل لها فترة النمو الطبيعية في باطن الارض اليمنية ، وانما استخرجت وقتلت في رحم امها ، وسببت لأهلها وقابلتها الحزن والويلات !

أوليس هذا هو المعنى الذي يستخلصه المرء من انصراف الراى العام العربى وصحافته عن ثورة ٢٦ سبتمبر هذا الانصراف المفاجئ والغريب والشامل ؟

أوليس هذا هو ما يفهمه المرء من اشارات الأستاذ محمد حسنين هيكل فى مقاله الاسبوعى بصحيفة الاهرام بتاريخ ١٩٦٩/١٢/٥ عندما عدد النكبات التى حلت بالثورة والقومية العربية فى الستينات.

فجعل من ثورة اليمن ثانية هذه النكبات بعد الانفصال - انتهى ربما  
كان من باب الحرج احجس عن القول - مما يقضى به التسلسل  
المنطقي لحديثه - بأنها من أسباب نكبة عدوان ٥ يونيه ، كما يسمع  
المرء من آخرين غيره عن سداجه او سوؤ قصده ؟!

فبصراحة غير عادية قال فى مقالته « بصراحة » بأن « سنة  
١٩٦١ كان الانفصال ٠٠ سنة ١٩٦٢ كانت حرب اليمن التى تحولت  
الى عملية استنزاف ٠٠ أضيف اليها الحصار الاقتصادى الأمريكى فى  
وقت بدأت فيه المشاكل الطبيعية للتنمية تظهر ٠٠ سنة ١٩٦٧ بلغ  
الهجوم المضاد للثورة مداه فى ٥ يونيه ٠٠ كانت تلك كلها ،  
الانفصال ، واليمن ، والنكسة معارك فى حرب واحدة متصلة شنها  
الاستعمار فى الستينات انتقاما لما أصابه من الحركة الثورية فى  
الخمسينات » .

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن الاستاذ هيكى يناقض - بهذا  
الطرح الجديد والتقييم الغريب للثورة اليمنية كل تقييماته السابقة  
التي امتلأت بها عشرات المقالات الصحفية التي كتبها فى الاهرام ،  
وانتهى كان من أبرز ما فيها من وجهة نظره أن الثورة اليمنية كانت  
التحدى الفورى والثورى والشجاع لنكبة الانفصال ، وانها كانت  
تمثل لحظة استعادة الامة العربية ليس لمقدرة الرد على المؤامرة  
الاستعمارية الرجعية التي بدأت بمؤتمر شتورا وانتهت بعزل وتطويق  
القاعدة الثورية فى مصر ، وانما كانت تجسد أيضا مولد اندفاع المد  
الثورى والقومى العربى ، والتفافه من الجانب الخلفى على قلاع  
الاستعمار المتبقية فى الوطن العربى .

وليس فى الامكان هنا ايراد نصوص ماكتبه الاستاذ هيكى  
حول الثورة اليمنية مما يمثل ردا على امثال مقالته هذه ، فهى من  
الكثرة بحيث تصلح أن تظهر فى كتاب ، وانما اكتفى هنا بذكر  
فقرة قصيرة جدا تبين وجهة نظره حول الاهمية الوطنية للثورة  
اليمنية .

ففى مقاله بصراحة بتاريخ ١/٧/١٩٦٦ من الاهرام كتب :  
« الثورة اليمنية كمظهر من مظاهر اليقظة القومية طردت أسرة حميد  
الدين من أرض اليمن ، وبدأت عهدا جديدا يحاول فيه شعب اليمن  
أن يجتاز التحلف وأن يتصل بتضال امته العربية فى مجالاته  
المتعددة » .

وإذا كان الاستاذ هيكمل قد تراجع عن كل ما كتبه عن الثورة اليمنية وعن قيمتها الوطنية والقومية التي اطلب في شرحها والاشادة بها ، وأصبح ما كتبه عنها لغوا وهذرا صحفيا ، أو كلاما عاديا عابرا ، وهو بالتالي ابعد من أن يكون في مستوى وثائق تاريخية محسوبة عليه يحاسب عليها وفي ضوئها ويناقش في قضية الثورة اليمنية انطلاقا منها ، فاننا نرجو منه على الاقل أن يرجع الى خطب قائد الثورة العربية الراحل الرئيس جمال عبد الناصر ، ويقرأ مرة أخرى ما قاله عن هذه الثورة ، وعن تقييمه الموضوعي لها . ولأن المجال لا يتسع هنا لاعادة كتابة نصوص هذه الخطب قانه من المفيد اقتباس ولو فقرة واحد للتذكير فقط .

ففي الاحتفال بعيد العمال العالمي عام ١٩٦٦ قال المناضل جمال عبد الناصر : « ونعتبر ثورة اليمن ثورتنا ، ثورة العرب كلهم ، والا مكناش بعثنا ابناءنا هناك ليقاتلوا ويستشهدوا ويضربوا أكبر صفحات البطولة » ، ( الاهرام ١٩٦٦/٥/٢ ) .

على أن ما يدعو الى الغرابة على نحو خاص أن الاستاذ هيكمل بدلا من أن يذكر اسم الثورة اليمنية يتحدث عنها هكذا : ( حرب اليمن ) أو ( اليمن ) مظهرا اياها بطابع مأساوي ، مركزا الانظار بذلك على الدماء والتضحيات التي تسبب فيها الاستعمار ، دون أن يلتفت الى الجانب الآخر من الصورة ، وهو انه اذا كانت هذه الحرب - من ناحية - حرب تدخل رجعية استعمارية ، فانها من ناحية أخرى - كانت حرب تحرير وطنية ثورية . وإذا كان للثورة اليمنية شهداء يمنيون وعرب ، واذا كانت قد استنفذت اموالا واستهلكت سلاحا ، فانها كذلك كبدت الاستعمار ومرتزقته الكثير من التضحيات والاموال والسلاح ، وحدثت زلزلة تاريخية كبرى وصحوة وطنية عظمى في طول الجزيرة وعرضها تركت آثارها الواضحة على مجرى الاحداث العربية كلها .

ويدخل الاستاذ هيكمل في مفارقة عجيبة مع نفسه عندما يشيد بثورة اليمن الجنوبية في معرض ذكر « الومضات المفرحة » التي تخللت السحب الداكنة لحقبة الستينات المرهقة الحافلة بالآلم والعذاب . ورغم انه حتى في هذه الحالة لا يسمي الاشياء بأسمائها عند الاشارة ، حيث يكتب « تم استقلال الجنوب العربي سنة ١٩٦٧ » ، - وليس اليمن الجنوبي - فان وجه المفارقة يتضح من واقع ان ثورة



اليمن الجنوبية جاءت - كما يعرف الاستاذ هيكل - بعد ثورة ٢٦ سبتمبر . وترتيب قيامهما واحدة اثر اخرى لم يكن من باب الاتفاق والصدق . فاندلاع ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ فى الجنوب اليمنى بعد مضي عام من قيام ثورة ٢٦ سبتمبر فى الشمال اليمنى كان تعبيرا عن التفاعل الثورى والوطنى بين جزئى اليمن ، وعن تأثير الثورة الام فى الشمال على مجريات الاحداث فى الجنوب . وما كان لثورة ١٤ أكتوبر أن تأخذ ذلك الطابع المتفجر ، وأن تجد الظهير الأخرى والامين والخلفية الثورية اليمنية والعربية المكيمة والراسخة ، بدون حدوث ثورة ٢٦ سبتمبر ، وبدون انتشار حريقها الثورى الى كل مكان من الارض اليمنية ، وبدون تواجد الجيش المصرى على أرض ثورة ٢٦ سبتمبر ، وبدون مواءمته القومية المخلصة ، ونهوضه بدوره التاريخى البارز فى تمكين الثورتين اليمنيتين من تحقيق اهدافهما فى اسقاط وسحق انظمة الحكم الاستبدادية والاستعمارية فى شطرى اليمن .

وما كان ينبغى أن يخفى مثل هذا الترابط الموضوعى والعضوى بين الثورتين اليمنيتين أو بين ثورة ٢٦ سبتمبر ، وامتدادها الثورى المتفجر ، ثورة ١٤ أكتوبر ، كما أنه ما كان ينبغى أن يغفل الاستاذ هيكل عن واقع أن ( حرب اليمن ) كانت قمة الصراع بين الثورة اليمنية والعربية ، وبين الثورة المضادة التى خاضتها قوى الاستعمار والرجعية ضدهما ، وضد المد الناصرى التحررى بالذات .

واذا كان رنين ثورة ٢٦ سبتمبر لم يعد مجلجلا كما بدا واستمر لخمس سنين كاملة ، ولم يعد صوتها مسموعا ومدويا فى الآفاق العالمية كما كان الامر خلال وجود الجيش المصرى فى اليمن ، فان ذلك لايعنى بأى حال من الاحوال بأنها قد نسخت من قائمة الثورات العربية ، وان شعلتها قد انطفأت واصبحت رمادا لا يستحق أى ذكر ، واذا ما ذكرت عرضا ، فانها لا تذكر باعتبارها ثورة تحررية ، وانما باعتبارها (حربا أهلية يمنية) أو بصفتها (حرب اليمن) التى تورط فيها الجيش المصرى ، والتى تبدو كما لو كانت قد قامت لغیرما هدف وطنى أو قومى واضح ومشروع ، مما يذكر بسلوك دعاة الثورة المضادة فى اليمن ، عندما كانوا يقولون عن الثورة اليمنية المدعومة بجيش مصر بأنها (حرب ضد مجهول) !

لقد مرت ثورة ٢٦ سبتمبر - بعد نكسة ٥ نوفمبر ١٩٦٧

بحالة جزر ثورى ، وهو ما يمكن أن تتعرض له أى ثورة وطنية تواجه ذات الظروف المعقدة الداخلية والخارجية التى واجهتها هذه الثورة .

وهل هناك من دليل ابلغ على مدى اصالة هذه الثورة من انها — وحتى بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ — حيث نشأت حالة جزر ثورى عربية عامة — وبعد خروج الجيش المصرى من اليمن — تمكنت بقواها الذاتية ، بالقوى الثورية الجديدة ، وبالمقاومة الشعبية ، وبالجيش الحديث من تحطيم حصار السبعين يوما الشهير الذى ضرب من حول عاصمة الثورة صنعاء مع نهاية عام ١٩٦٧ ومطلع عام ١٩٦٨ ، والذي جندت له الامبريالية الامريكية آلاف المرتزقة ، وحشدت له أحدث الاسلحة ، واعتمدت له حوالى مائة مليون دولار ؟ !

واذا جازت المقارنة فانه يمكننا القول بان الثورة الفرنسية ظلت تعرف بهذه الصفة والى اليوم ، رغم حالات الجزر الثورى التى تعرضت لها كثيرا ، رغم سقوط جمهوريتها غير مرة ، وعودة الامبرطورية اكثر من مرة . لقد بقيت جذوة الثورة الفرنسية متقدة ، ولم يتمكن الاقطاع الفرنسى ، وحتى الاوربى من اطفائها ، رغم تمكنه من حصر اثرها وتطويقها ، بل والسسيطرة على زمامها بعض الفترات .

ثورة سبتمبر — كما تؤكد كل الشواهد — لم تمت ولن تموت ، مهما بدا عليها من سكون وهدوء وجزر مؤقت ، وحتى ولو بدا من سطح الاحداث وظاهر الاشياء ان هناك ما يدعو للتساؤل : اين هى الثورة اليمنية ، او اين هى ثورة سبتمبر ؟ !

كذلك فان الجمهورية العربية اليمنية وليد هذه الثورة مازالت قائمة وستظل قائمة ، وستبقى الاطار التاريخى والسياسى للنظام الاجتماعى الذى اختاره الشعب اليمنى ، الذى يمتلك القدرة على اطلاق زخم وروح الثورة فى هذا الكيان الجمهورى من جديد وضرب محاولات استنابة من قبل القوى الرجعية العربية المحيطة به .

وطالما وهناك حركة وطنية وشعبية فتية آخذة فى النمو والتقدم فان ثورة ٢٦ سبتمبر باقية ، وان امكانية تحويل هذه الثورة الام وتحويل وليدها الثورى ثورة ١٤ اكتوبر الى ثورة وطنية عامة امكانية كبيرة ومؤكدة .

## الثورة اليمنية والتجربة الناصرية

ليست هناك ثورة ارتجت وزلزلت الارض العربية لها زلزالها ، كالثورة اليمنية ، وليست هناك ساحة قتال اصطدمت فيها الامة العربية ، واشتجرت بالسلاح بين جنبااتها ، وانقسمت الى امتين متعاديتين متحاربتين ، امة قوى التقدم والتحرر ، وامة قوى الردة والتأخر ، كالساحة اليمنية ، ولم تكن هناك ساعة فريدة شهدت ولادة ثورية بهيجة ومهيبة ، وسط مظاهرة تاريخية مسلحة ، ومن ثانيا ملحمة بطولية رهيبة ، كذلك الساعة الفريدة التي ولدت واكتملت فيها (ظاهرة) القومية العربية على ارض اليمن ، اليمن التي كانت الرحم الاول الذي خرجت وتدفقت منه قوافل ومواكب العروبة ، والارض التي تجلت على جبالها — كما تجلت الحقيقة الالهية لموسى في الجبل — مرة أخرى ، وتحت شمس الثورة العربية المتوهجة ، حقيقة الانتماء القومى العربى ، عندما دفعت ثورة ٢٣ يوليو بزعامة قائد الثورة العربية الملمم جمال عبد الناصر بجيشها العربى ، فى مطلع الستينات ، للقيام بعملية اقتحام جريئة ، قطع بها البحر الاحمر حتى شاطئه الشرقى ، حيث اشتبك مباشرة — من نفس الموقع الذى يقف فيه ثوار اليمن — فى معركة فدائية وطنية وقومية حامية الوطيس ، مع الرجعية الاقطاعية الامامية العتيدة فى اليمن بكل حلفائها الرجعيين فى المنطقة وخاص من نفس الموقع ايضا ، وضد الاستعمار البريطانى تلك المعركة التحررية المجيدة ، التى اعتبرتها الامبراطورية العجوز آخر معاركها فى الوطن العربى ، وكانت بالفعل آخر معاركها فيه ، وخاتمة وجودها الحقيقى على ثراه .

### معركة اليمن محك الانتماء القومى :

ان حقيقة الانتماء القومى الواحد التى الهمت ثورة ٢٣ يوليو بقيادة عبد الناصر بأن تهب من القاهرة لنجدة الثورة اليمنية ،



وتندفع صوب اليمن ممتشقة سيفها الاسطوري لتتسارلكها في الاطاحة برعوس الرجعية اليمنية ، التي عزلت هذا الشعب العربي العريق عن حياة ونور العصر ، والتي جعلت عبد الناصر — وقد رأى مدى التخلف الفظيع الذى تعيشه البلاد اثناء زيارته التاريخية لها فى ابريل عام ١٩٦٤ — يزداد قناعة بجرأة وثورية الخطوة العملاقة التى أقدم عليها فى المساعدة على تحطيم الاغلال التى تكبل اقدام شعبها الابى وتكم عليه بالشلل والقيود ، ويؤكد « أن الثورة اليمنية ضرورة يحتمها الضمير ، تملئها الانسانية ، لانقاذ هذا الشعب المحروم من أبسط مقومات الحضارة » هذا الشعب الذى ماكادت نيران الثورة العربية تلامس معدنه الاصيل ، حتى تفجر — كما قال الرائد العربى — عن « طاقة بغير حدود » حيث اخذ « يخوض اليوم معركتين متقابلتين فى الشمال والجنوب ضد الرجعية والاستعمار » (١) ان هذه الحقيقة القومية هى نفسها

التي اكتشفها وفد الادباء المصريين اثناء زيارته لليمن بعد قيام ثورتها ، وخلال حوارهم مع شباب اليمن المثقف والناشط ، والتي عبر عنها الاديب المصرى الكبير نجيب محفوظ بقوله : « تبادلنا الاحاديث عن الحرب والثورة والتاريخ والادب ، كشفت الروح اليمنية عن كنوزها ، فاستعدنا شمسنا بالانفس ، والالفة ، وفتحت قلوبنا بلا حدود ، وملت نحو زميلى هامسا : أشعر كأننا رأيت هذا المكان من قبل ! » (٢) .

### **برهان جديد على دور مصر الريادى :**

ولم تبرهن مصر — على كثرة الميادين التى قاتلت فيها ومنها ، والجبهات الثورية التى فتحتها ، أو لعبت دورا حاسما فى فتحها — على ثبات واستمرار مقاليد القيادة القومية والثورية فى يدها ، وأهليتها وجدارتها بالاضطلاع بمثل هذا الدور القيادى والريادى كما برهنت على ذلك بتلك الهجمة الثورية المقدامة والباسطة التى شنتها على الاقطاع والاستعمار القديم والجديد فى جزيرة العرب ، وبعملية التصدى الحاسمة التى نهضت بها فى مواجهة كل جحافل الظلام والتخلف ، فى معركة ضارية وشرسة اتصلت حوالى سنوات ست ، لم تنقته الا بخلع الف عام من التاريخ الامامى — الكهنوتى — الاقطاعى ، والا باسدال الستار نهائيا والى الابد على اكثر من قرن وربع قرن من التاريخ الاستعماري السلاطينى الاسود هناك .

## محاولات تشويه لدور مصر القومى :

صحيح ان البعض من محترفى الكتابة ، ومروجى الدعايات الاستعمارية ، وغيرهم من الاوساط السياسية المشبوهة حاول ان يختزل دور مصر الشامل القومى والتاريخى والحضارى والثورى فى المنطقة العربية بأنه لا يعدو أن يكون «مغامرات ناصرية فاشلة او محبطة » كتلك المغامرة التى قام بها جمال عبد الناصر فى اليمن ، وان ثورة ٢٣ يوليو لم تصنع الى عام ١٩٦٧ غير اهدار طاقاتها فى معارك عقيمة فى المنطقة العربية !

وصحيح ان هؤلاء لم يتورعوا عن التناول على أمجاد حقبة ثورية كاملة ، بتصوير وزعم ان فشل سياسة مصر فى اليمن جزء من فشل سياستها القومية العامة ازاء الوطن العربى كله ، حتى بلغ الامر حد انهم دأبوا على الترويج « لنظرية ان سياسة الوحدة العربية القومية بمضمونها التقدمى الديمقراطى هى السبب الاساسى فى هزيمة ١٩٦٧ وانهم — بالتالى — هم مبعوثو العناية الالهية لانقاذ الوطن العربى من الهزيمة ، وذلك «بتطهير» الغرب مما أسموه « بأصحاب الافكار المستوردة » وبالتخلى عن قيمهم ومبادئهم الثورية حتى يكون قلى الامكان كسب القوى القادرة « على الجام العدوان الاسرائيلى » (٢) غير مدركين ان انجازات الثورة المصرية « وانطلاقتها كانت بعض ما استدعى العدوان » حيث « تحالفت قوى عالمية ، لتضرب مصر عبد الناصر سنة ١٩٦٧ كما تحالفت أوربا كلها لضرب مصر محمد على قبل قرن ونصف قرن » (٤) وغير متنبهين الى أن قيام الثورة اليمنية من أساسه كان من الناحية الاستراتيجية هجوما ثوريا عربيا معاكسا للهجوم الرجعى الذى انتزعت به القوى الاستعمارية دمشق من حضن الوحدة ، حيث انه بعد عام واحد فقط من الانفصال بدأت تتحرك و « ترد الثورة العربية الضربة » ، ولكن هذه المرة فى الجنوب ، فى اليمن ، ويكون التفسير الأمريكى لذهاب القوات المصرية لليمن لمساعدة الثورة « انهم يطوقون بترول الخليج والجزيرة من الجنوب » ! (٥) ومتجاهلين ان الذى هزم فى ٥ يونية ١٩٦٧ لم يكن خط دعم الثورة اليمنية ، وخط دعوة القومية العربية ، ولم تكن ارادة الجماهير ، « ولم تكن ايجابيات حركتها الممتدة عبر التاريخ ، ولم يكن نضالها العظيم ، وانما الذى هزم فى ٥ يونية هو كل السلبيات والمعوقات التى اضيفت عبئا على نضال هذه الجماهير ، وهو كل

القيود التي وضعت على حركتها وعلى تقدمها للحصول على حقوقها ، وهو كل القوى التي تصورت انها يمكن ان تكون بديلا عن الشعب في تقرير مصيره وتوجيه حركته « (٦) .

ولقد تجرأ هذا البعض على القول بأن جهد مصر الثوري في اليمن كان أحد أسباب نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ ، هذا الجهد الذي انتهى بسحب جيش عبدالناصر من اليمن دون أن يترك أى أثر يذكر ، عدا وجود جمهورية شكلية في صنعاء ، سيطرت عليها آخر الامر وتحكمت فيها نفس القوى الاقطاعية ، الموالية للغرب ، التي كانت قد سئمت حكم الامامة منذ عشرينيات هذا القرن ، والتي طمحت منذ هذا الوقت الى ادخال اصلاحات ادارية في أجهزة الحكم تتسع لمصالح ومطامح « كل الطبقة الاقطاعية اليمنية » ، حتى ولو اقتضى الامر اصطناع « قالب » نظام جمهوري يستجيب لهذه المصالح الاقطاعية العشائرية ، ويستوعب هذه المطامح الطبقية لتخلفه .

### انقلاب الرجعية اليمنية على الثورة وعلى دور مصر ازاءها :

وصحيح ان هذا البعض - بعد أن صور دور مصر ازاء الثورة اليمنية وغيرها من الثورات العربية بأنه ليس أكثر من «استعمار مصرى ، سيطرة ، هجرة توسع جديدة . طمع فى الثروة ، اقتسام للأرزاق ، هذه الكلمات المسمومة (التي) كانت سلاح العناصر التي من مصلحتها أن تفسد كل صورة لجهد نبيل قام به المصريون ، أو موقف دفاع عن مبدأ وقيمة ، حتى ولو كان المصريون قد قدموا فى اليمن ٢٠ ألف شهيد من أغلى الأبناء وأكفأ الرجال ، (٧) - أراد أن يزكى فهمه المبتسر والمبتور والمشوه والمغرض لهذه الملحمة النضالية والبطولية التي دارت على أرض اليمن بعد اشراق ثورة ٢٦ سبتمبر ، ولتاريخ الثورة اليمنية والعربية ، وذلك بالاستشهاد بما تنطق به السنة بعض محترقى العمل السياسى التقليدى فى اليمن من انه بثورة ٢٦ سبتمبر توهم «اليمنيون أن الفرصة جاءت لخروج بلادهم من العزلة ، وللبداء فى الاصلاح والتطوير والسير فى ركب الحياة الحديثة ، ولكن البلاد تعرضت لما تعرضت له من متاعب يعرفها الجميع وعاشت ثمانى سنوات فى نزيف دموى أضر بها ، وأضر بالعرب ، وأهدر الأمكانيات ، ولعل ما حدث فى اليمن قد كان سببا من أسباب نكسة يونيو/حزيرين التي نعيشها اليوم ، ومنه انه على يد مثل هذه القوى التقليدية فقط أمكن انقاذ اليمن من هذه الدراما الدموية



الدمرة ، حيث تم عقد «المصالحة الوطنية» مع الجانب الملكي الذي كان قد ادار الحرب ضد الثورة منذ لحظة هبوبها ، وتمكنت اليمن اخيرا من الوصول الى تسوية حققت وحدتها الوطنية ، وأعادت علاقاتها مع الدول جميعها الى وضعها الطبيعي ، حتى ولو كانت هذه الدول هي نفسها لتي سقت ليمن كئوس المنون خلال سنوات الحرب الرجعية الاستعمارية التي فرضتها عليها ، بغية اجهاض ثورتها والقضاء على خطرها . وصحيح اخيرا أن هذا البعض - استند تبريرا لمواقف وتصرفاته - الى مايقوله مثل هؤلاء من محترفي العمل السياسي في اليمن ، الذين غدوا يمتلكون من الجرأة مايكفي للقول بأنهم غير مستعدين لاتخاذ أى موقف عدائي ضد الاستعمار وركائزه معللين ذلك بقولهم : «وصنعاء غير مقتنعة بحمل أى رسالة لتحرير الجزيرة العربية» من آثار الوجود الاستعماري وركائزه «وغير قادرة على هذا» وان «نصيبها في محاربة الامبريالية» هو الانكفاء على نفسها مرة أخرى والى ماكانت عليه قبل انفجار ثورتها ، والاهتمام بمشاكلها الداخلية الخاصة ، التي خلقتها الحرب واللجوء الى التعاون مع نفس القوى التي قاومت هذه الثورة ، وتسببت في هذه الحرب ، «والعمل للحصول على كل عون» منها وفتح أبواب البلاد لرؤوس الاموال الاجنبية (٨) ، محققين بذلك نفس الشروط التي كانت عاصمة الاستعمار الجديد . واشنطن ، قد اشترطتها بعد قيام ثورة سبتمبر مباشرة ، للقبول والاعتراف بوجود الجمهورية اليمنية ، والتعامل معها ، والتي أفصح عنها بدون لبس أو التواء رئيس الولايات المتحدة الامريكية السابق جون كنيدي في احدى رسائله الى عبد الناصر - في ١٧/١١/١٩٦٢ وكان مما جاء فيها أن على صنعاء أن تؤكد الالتزام بالسعى « لاعادة العلاقات الودية مع جيرانها الى مجراها الطبيعي ، وبصرف جهودها الى الشئون الداخلية ، والتركيز عليها ، بالاضافة الى اصدار نداء من جمهورية اليمن العربية الى اليمنيين في المناطق المجاورة ، بأن يكونوا من المواطنين الذين يعيشون في ظل احترام القانون ، وذلك بغية «ايجاد ظروف طبيعية لعمل بعثة المساعدة الامريكية في اليمن» (٩)

### ثبات الجمهورية رغم الردة :

ولكن عندما يستند مثل هذا البعض من محترفي الكتابة الى مثل هذه الاقوال والمواقف المرفوضة والمدانة ، والى ماآلت اليه الامور بالفعل في أحد شطري اليمن ووصولا الى تشويه ومسخ وهضم دور مصر الجبار في قيام وتفجير ودعم الثورة اليمنية ، وبقصد الاساءة الى

هذه الثورة نفسها ، ونكران كل اصالة ثورية لها ، وكل مبرر سياسي وموضوعي ، أو ضرورة اجتماعية وانسانية لقيامها ، فإن الرد البديهي المتواضع والخالي عن كل غرور وطني وادعاء ثوري على ذلك هو - ولماذا لم تستطع كل قوى الاقطاع في اليمن وفي الجزيرة العربية وكل قوى الاستثمار القديم والجديد - ورغم الحرب الضروس التي شنتها سنين عددا - القضاء على جمهورية ٢٦ سبتمبر التي صنعتها هذه الثورة اليمنية المدعومة بقوى الثورة العربية - أيا كان محتوى هذه الجمهورية اليوم ، - ولماذا تحطم حصار السبعين يوما من حول صنعاء عام ١٩٦٧ - ١٩٦٨ دون النيل منها ، ولماذا لم يتمكن الاستعمار وزبائنه من تدمير «كل» منجزاتها التقدمية ، وكل قواها الاجتماعية والسياسية التي نشأت وتفتحت في ظلها ، رغم شدة وطأة الضربات المتلاحقة التي تعرضت لها هذه المنجزات وهذه القوى ، وكيف أمكن استمرار وصمود الحركة الوطنية اليمنية رغم مشيئة القوى الاقطاعية والعشائرية المهيمنة على مقاليد الامور نتيجة لردة ٥ نوفمبر ١٩٦٧ !

ثم هل صحيح بـ «الحملة المصرية» - كما يحلو للدوائر الاستعمارية أن تسمى - مصر الثوري في اليمن - لم تخلف غير جمهورية اقطاعية لا تختلص من حيث الجوهر الطبقي والأيدولوجية الاجتماعية ، والتوجه السياسي ، عن الامامة الاقطاعية المباداة ، ولم تترك غير قوى اجتماعية وسياسية جديدة هزيلة وعاجزة ؟ ان الذي لاشك فيه انه بقيام الثورة في اليمن - بشقيها - بمؤازرة مصرية كاملة حدث تحول سياسي وتاريخي كبير في جنوب الجزيرة العربية ، والذي لاشك فيه أيضا انه - لو وضعت صيغة ديمقراطية لتنظيم وحشد قوى البلاد الوطنية لكان في الامكان أن يكون هذا التحول أعمق وأخطر . وتحمل القيادة العربية في اليمن مسئولية خاصة في عدم حدوث ذلك !

### نصف الكأس المليان :

وحتى بعد التسليم بحدوث ردة سياسية لثورة سبتمبر - وذلك يحدث لكثير من الثورات - فإن ذلك لا يعدو أن يكون جزءا من الحقيقة الموضوعية ، وتأكيدا لها في نفس الوقت ، ذلك أن الحركة الشعبية والثورية اليمنية التي تكونت بعد قيام هذه الثورة ما تزال - رغم الضربات التي لحقت بها - آخذة في النمو والتوسع والانتشار ! وعلى الذين لا يرون من الكأس الا نصفها الفارغ، أن يدبروا

البصر بامعان ليروا النصف الملى منها ، على الناحية الجنوبية من اليمن ، حيث تنتصب راية ١٤ أكتوبر الشامخة ، وتنهض جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الفتية ، التى - وان لم تقيم حتى الآن وبشكل موضوعى وايجابى كامل دور مصر العظيم ازاء الثورة اليمنية ، وتضعه فى مكانه التاريخى ، الصحيح ، الا انها لا تقوم بتشويهه ، بتصوير انه لم يكن له من نتيجة غير أحداث حرب أهلية مدمرة فى اليمن ، وغير استنزاف مصر وتسبب نكسة يونية لها !

فهذه الجمهورية اليمنية الفتية والصاعدة التى استعصت على كل زوابع الثورة المضادة العاتية وثبتت لكل مؤامرات الاستعمار وقوى التخلف ، وتقدمت بخطوات راسخة واثقة ، على طريق الثورة الوطنية اليمقراطنية لم تكن - فى واقع الامر - وان تجاهل البعض من العناصر الاقليمية فى جنوب اليمن ذلك - غير ثمرة ناضجة لغرس الثورة العربية المجيدة ، والتى اغتذت من تجارب النضال اليمنى والعربى الطويل ، والتى ارتوت من كل الدماء التى سفحت على الارض اليمنية ، والتى تقف اليوم شاهدا بليغا على اسهام ثورة ٢٣ يوليو التاريخى والعظيم فى قيام ونجاح الثورة اليمنية .

### تأكيد قادة ٢٦ سبتمبر على دور عبد الناصر القومى :

أليس ذلك هو ماتشهد به كلمات الزعيم اليمنى عبدالله السلال الذى - عرف فى لحظة الحسم كيف يتسنى ويتسلم قيادة ثورة ٢٦ سبتمبر - عندما كتب عن - قائد ثورة ٢٣ يوليو جمال عبد الناصر ودوره ازاء هذه الثورة - سواء قبل أو بعد قيامها - وازاء غيرها من الثورات بأنه هو «الذى ألهمنا جميعا أسس ومبادئ العمل الثورى» وانه هو القائد « والمعلم العبقري الفذ الذى علمنا السير فى طريق المبادئ السامية والاهداف النبيلة ، الذى لم يتردد فى أية لحظة من اللحظات من الوقوف بصلاية مع الحركات الوطنية العربية والعالمية ، وتقديم العون المادى والمعنوى ، حتى لقد ضرب أروع الامثلة فى التضحية ، ونكران الذات ، عندما استنجدت به ثورة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ فى يمن العروبة ، ليشارك فى حمايتها من الاخطار التى أهدقت بها ، فلبى النداء ، ووضع كل الامكانيات المادية والبشرية تحت تصرف الشعب العربى فى اليمن ، وخاض الشعبان اليمنى والعربى معركة الدافع المقدسة عن الثورة اليمنية طيلة ست سنوات ، لم يبخل فيها الجندى العربى بروحه



ودمه . فجاد بالروح فى سبيل المبادئ التى أسسها الزعيم عبد  
الناصر ، لتظل رمزا حيا ، تروى للأجيال المتعاقبة أسطورة البذل  
والعطاء ، وكيف يجب أن تكون التضحيات التى يتطلبها نضال  
شعب أهدقت بثورته الأخطار ، فلم يجد سندا ولا عوناً سوى ذلك  
العلاق العربى الذى يتبع القول بالعمل» (١٠) .

### تشديد قادة ١٤ أكتوبر على اسهام عبد الناصر التاريخى :

وشأن ثورة ٢٦ سبتمبر فى شمال اليمن فان نشوب ثورة ١٤  
أكتوبر فى جنوبها كان مرتبطاً منذ البداية بوجود الثورة الأم فى  
القاهرة ، وتفجر فى ظلها ، وباشتراكها المباشر والفعال . وحتى  
تكوين وميلاد الجبهة القومية فى صنعاء عام ١٩٦٣ ، التى قادت حركة  
التحرير الوطنى المسلحة فى اليمن الجنوبية لم يتم بدون مساعدة  
وتشجيع ودفع الوجود الثورى المصرى فى اليمن ، وقد ظلت الجبهة  
القومية متأثرة (بالخط الناصرى) ايدىولوجيا وسياسيا لفترة غير  
قصيرة . بل وعن طريق وبفضل اتسامها فى لحظات الولادة والبداءة  
بالصيغة الناصرية أمكنها اكتساب الجماهير الناصرية فى اليمن من  
صنعاء الى عدن . ومنذ أطلق عبد الناصر صرخته فى تعز - العاصمة  
الثانية للجمهورية العربية اليمنية - بأن على الاستعمار البريطانى  
أن يرحل من جنوب اليمن ، وقبل أن تأتى عليه ثورة التحرير -  
ومصر منغمسة بالفعل فى النضال الى جانب حركة التحرير الوطنى  
اليمنية ، وحتى آخر لحظة .

صحيح ان علاقات مصر بجمهورية اليمن الشعبية التى لم تقم  
بغير هذا الدعم العربى لم تكن - منذ مطلع الاستقلال والى وقت قريب -  
على مايرام ، نتيجة - بالدرجة الاولى - للسياسة الانعزالية والمنغلقة  
التى اتبعتها الجبهة القومية ، بزعامه قحطان الشعبى ، والتى يتم  
التخلص منها «نهائيا» الآن ، الا أن ذلك لم يمنع أحدا من ذكر  
بعض الحقائق التاريخية التى لا تقبل الجدل !

وذلك ما سجله التقرير السياسى للقيادة العامة الذى ألقاه فى  
٢ مارس ١٩٧٢ عبد الفتاح اسماعيل الأمين العام للجبهة القومية  
أمام المؤتمر العام الخامس حيث جاء فيه (ص ٣١) : «لقد مكن انتصار  
شعبنا فى الشطر الشمالى من الأقليم فى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ،  
وكذلك الوجود المصرى فى الشمال اليمنى على بدء النضال المسلح  
فى الشطر الجنوبى من «الأقليم» ويحلل « برنامج التنظيم السياسى

الجبهة القومية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية . على ص ٣-٤ .  
هذه العلاقة الجدلية بين ثورة ٢٦ سبتمبر وثورة ١٤ أكتوبر فى ظل  
الدعم المباشر للثورة العربية على النحو التالى :

«ولقد كان لانتصار ثورة ٢٦ سبتمبر عام ٦٢ تأثير كبير على  
مجمل الاوضاع اليمنية فى الاقليم شماله وجنوبه ، فشكلت بذلك  
قاعدة أساسية لانطلاق ثورة ١٤ أكتوبر عام ٦٣ التى وجدت العوامل  
المساعدة فى الظروف الجديدة ، التى هياتها ثورة ٢٦ سبتمبر . وبعد  
سنة من انتصار ثورة ٢٦ سبتمبر أخذت جماهير الشعب اليمنى  
فى الشطر الجنوبى ، تفجر النضال المسلح ضد الاستعمار البريطانى  
وعملائه ، بقيادة التنظيم السياسى للجبهة القومية ، من قمم جبال  
ردفان حتى الاستيلاء على السلطة وتحقيق الاستقلال الوطنى فى ٣٠  
نوفمبر ١٩٦٧ م . وبذلك استطاع الشعب اليمنى أن ينتصر من  
أجل تحرره من الحكم الملكى الاقطاعى ، والحكم الاستعمارى السلاطينى  
الاقطاعى ، لبدأ مرحلة جديدة ، لا من أجل الدفاع عن الثورة اليمنية  
فحسب ، ولكن من أجل استكمال تحرره ومقدمة الاجتماعى ، وبذلك  
«انتصرت - كما كتب الاستاذ محمد عودة فى جريدة الجمهورية  
القاهرة فى ٢٢ - ٦ - ١٩٧٢ - الثورة فى جنوب اليمن ، وبدلاً من  
سلسلة من المشيخات والامارات والمحميات التى كانت مثلاً تاريخياً  
للتخلف ، والتجزئة ، والعبث الاستعمارى بمقدرات العرب ، قامت  
دولة ديمقراطية تقدمية جديدة . وقد كانت ثورة جنوب اليمن  
امتداداً للثورة التى قامت فى اليمن . والتى ذهب الجيش المصرى ،  
وقاتل فى معركة بأس - حتى استتبت ، وتوطدت دعائمها ،  
وذلك أيضاً هو ما اشار اليه عضو المكتب السياسى للجبهة  
القومية ورئيس حكومة جمهورية اليمن الشعبية على ناصر محمد فى  
كلمته الهامة والوثائقية التى القاها امام اللجنة المركزية للاتحاد  
الاشتراكى العربى ، بمناسبة مرور عام على وفاة الزعيم الخالد جمال  
عبد الناصر ، والتى حدد بها فى وضوح وحسم ، وصدق وموضوعية  
الموقف والتقييم الحزبى والرسمى للجبهة القومية والحكومة لدور  
ثورة ٢٣ يوليو الام ازاء ثورة ٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر معا ، عندما  
تحدث بقوله : « اننا حين نريد التحدث فى مناسبة اليمه ، مثل هذه  
عن ثورة ٢٦ سبتمبر ، وعما لحقها من أحداث وتطورات بالغة التعقيد  
فاننا لنؤكد على أن شعبنا اليمنى بأجمعه ، لن ينسى مدى التاريخ  
بأن ثورته لم تكن لتقف على قدميها أسبوعاً واحداً ، لولا الزعيم

الحالد جمال عبد الناصر والشعب المصري الشقيق . فمنذ اللحظة الأولى لهذه الثورة سارعت الامبريالية العالمية بقيادة أمريكا . . الى شن حرب عدوانية شرسة ضدها ، في محاولة لاسقاط النظام الجمهوري ، واعادة الشعب اليمني الى برائن الحكم الامامي ، من جديد . ولكن الموقف التاريخي المأثور الذي اتخذه الرئيس جمال عبد الناصر في اوقت المناسب بأمداد هذه الثورة بفرق كاملة من القوات المسلحة للمشاركة في الدفاع عنها ، وترسيخ دعائمها ، اضافته الى دعم المعسكر الاشتراكي الصديق من خلال امدادها بالاسلحة والمعدات ، كل ذلك كان عاملا مساعدا من العوامل التي حققت انتصار اردة شعبنا اليمني للتحرر والتقدم ، منذ ذلك الوقت حتى الآن والى الابد . وبفضل هذا الموقف تمكن شعبنا اليمني أيضا من مواصلة النضال لاستكمال تحرير أراضيه التي كان يفتصبها الاستعمار البريطاني في الشطر الجنوبي من الاقليم « أن » ذلك الانذار الذي اطلقه الزعيم الحالد عبد الناصر أثناء زيارته للشطر الشمالي في عام ١٩٦٤ حين قال ان علي بريطانيا أن تحمل عصاها وترحل من الجنوب اليمني ! . . لم يذهب أدراج الرياح . بل كان معززا بدعم سياسي وعسكري فعال لثورة ١٤ أكتوبر ، بقيادة تنظيمنا السياسي ، الجبهة القومية ، وهكذا استعاد شعبنا اليمني حريته في الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧ ، (١١) .

وتعبيرا عن نفس الموقف ، وردا على حملة التشكيك ، والتضليل ، والظعن في ذلك الدور القومي والثوري المجيد الذي أضطلعت به ثورة ٢٣ يوليو القومية الرائدة أزاء الثورة اليمنية قال عبد الفتاح اسماعيل : « الحقيقة ان هناك الآن حملة من البلبلة والتشكيك تستهدف تشويه قضية الثورة اليمنية ، والانتقاص من الدور الثوري التاريخي العظيم الذي قام به الشعب المصري ممثلا في قواته المسلحة ، لدعم انطلاق مسيرة ثورة ٢٦ سبتمبر ، و ١٤ أكتوبر في الجنوب ، ونحن نؤمن بأن العلاقة بين مصر الشقيقة والشعب اليمني لا يمكن أن تنقسم أو تنقطع ، وسوف يظل الشعب اليمني على مر التاريخ يتذكر باعتزاز وامتنان ذلك الدور الباسل الذي ساهمت به مصر دفاعا عن الثورة اليمنية ، وتمكينا لها من مواجهة المؤامرات الامبريالية الشرسة ، (١٢) .

### تناقض ثانوي محكوم :

واذا كانت قد شابت دور مصر النضالي في اليمن تكتيكات

سياسية خاطئة أحيانا ، كتلك التحالفات المصطنعة وغير المدروسة التي كانت تدعو لها في شمال البلاد أو جنوبها ، وتحرم من المشاركة فيها قوى وطنية ناضجة ومتقدمة ، وتتورط في افتعالها القيادات العسكرية العربية ، وتقيمها على أسس غير ديمقراطية مثل « الاتحاد الشعبي الثوري » في الشمال ومثل ذلك التحالف الذي أعلن قيامه في يناير ١٩٦٦ ، والذي « سرب » الاستعمار البريطاني بعض اتباعه فيه ، - كما « سربهم » داخل الجبهة القومية ، والذي رفضته الجبهة القومية في آخر الامر ، التي كانت بدورها لاتخلو قياداتها من عناصر يمينية مزروعة ، وموضع رضا لدى السلطات البريطانية في عدن ، مما أدى الى سلسلة من الافعال وردود الافعال العنيفة منذئذ ، ولاسيما في مطلع الاستقلال ، حتى بدا كما لو أن الجبهة القومية قد دخلت في تناقض مع الخط الناصري نفسه ، وفي عدااء شبه مكشوف مع القاهرة نفسها - وهو ما كان الاستعمار البريطاني يطمح في الوصول اليه - اذا كان ذلك قد حدث ، فان واقع الامور يؤكد أن ( جوهر ) فكر ثورة ٢٣ يوليو - كما جسده « الميثاق » بصسورة خاصة - وليست تطبيقاته السيئة التي كانت تتم أحيانا على يد القوى « البروقراطية » لم يبق بدون تأثير على لجبهة القومية .

### موقع ثورة ٢٣ يوليو الطليعى :

وليس هناك ما هو ابلغ دلالة على مدى تأثير ثورة ٢٣ يوليو على مجرى الثورة اليمنية مما قاله في تلك الكلمة الصادقة رئيس مجلس الرئاسة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية سالم ربيع علي - وبمناسبة الذكرى الاولى لوفاة جمال عبد الناصر ، حيث قال في برقية له الى منظمة التضامن الافرو - آسيوية في القاهرة : « لقد عاهدنا شعوبنا على السير في خط فقيدنا الراحل المرشد البطل ، الذي ترك اعمالا ومآثر » تعبر عن أمجد صفحات تاريخنا القومي والانسانى ، وعلينا أن نواصل السير على طريقه ، ونسترشد بما تركه من مآثر » (١٣) .

وقد قيم الاتحاد العام لعمال جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في تقرير له بتاريخ ١٩٧٢/٥/٢٤ ثورة ٢٣ يوليو ، ودورها في دعم الثورة اليمنية بقوله : « وقد جاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لتشكل قفزة نوعية على طريق النضال المعادى للاستعمار والرجعية والصهيونية ، وشكلت هي الاخرى شروطا موضوعية لدعم



القوى الوطنية والثورية فى الوطن العربى ، ودعمت كافة قوى التحرر العربية ، وكان لها دور ايجابى فى دعم ثورة ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ .

### تقييم هيكل لثورة اليمن :

وكم كان الاستاذ محمد حسنين هيكل محقا عندما تحدث - فى معرض استعراضه للمنجزات الثورية العربية التى تحققت بدعم وتأييد ثورة ٢٣ يوليو الرائدة - عن أن التحولات لم تكن لها أن تحدث بغير متناقضات بين القوى الاجتماعية فى العالم العربى ، - حيث « مشيت هذه المتناقضات طويلا من الحرب الباردة فى شمال العالم العربى - سوريا والعراق والاردن - الى الحرب الساخنة فى جنوب العالم العربى - اليمن » وعندما لفت الانتباه الى ما تركته ثورة ٢٣ يوليو من آثار هنا « وفى النظام الجمهورى فى اليمن » وأشار الى دور مصر التى كانت « تشارك عسكريا فى صنع استقلال اليمن - الجنوبية » ، والى « استقلال الجنوب العربى سنة ٧٦٩١ » باعتباره ومضة من « ومضات فرح عظيم » عرفتھا الستينات التى « كانت حقبة مرهقة حافلة بالآلم والعذاب » ولكنه كم كان مبالغا فى التشاؤم ، واحادى النظرة - بعد ان كان فى البداية مغرقا فى التفاؤل ومبالغا فى التصوير والتجسيم ، كما تجلى ذلك فى احاديثه السابقة والكثيرة عن ثورة ٦٢ سبتمبر - عندما اخرج هذه الثورة فيما بعد من حساب الثورت العربية -

وعد ما بذل فيها من جهود خارقة ، وما انفق فى سبيلها من وقت ثمين ، جهودا عابثة ، ووقتا ضائعا ، واعتبرها - وذلك أيضا - هو رأى التيار الاقليمى البيروقراطى فى مصر - حلقة أساسية من حلقات النكسة العربية العامة التى تعيشها الامة العربية اليوم ، وذلك حين أطلق على الحرب الوطنية التى شنت ضد الاستعمار والرجعية فى اليمن ، بمبادرة قومية مبدئية ، وشجاعة ثورية نادرة كان وراءها الزعيم الخالد جمال عبد الناصر والرئيس انور السادات الذى تولى منذ ثد شئون « القضية اليمنية » لكسر الطوق الرجعى الامبريالى الذى كان قد ضرب من حول مصر بعد نكسة الانفصال ومؤتمر شتورة ، حينما اطلق عليها - أى هيكل - اوصافا سلبية محضه مثل « حرب اليمن » و « الحرب الاهلية فى اليمن » ، وحين تحدث عن أن عبد الناصر « استدرج الى

ميدان اليمن الذى بدأ فى مبدأ الامر يسيرا هينا ، ثم ثبت انه امر عسير حقا ، وحين قال عن أن الاستعمار وحلفاء كانوا فى بداية الستينيات « قد استطاعوا تحويل التيار ، ووضعوا الحركة الثورية على مواقع الدفاع ، ١٩٦١ كان الانفصال ، سنة ١٩٦٢ كانت حرب اليمن ، التى تحولت الى عملية استنزاف ، اضيف اليها الحصار الاقتصادى الأمريكى ، فى وقت بدأت فيه المشاكل الطبيعية للتنمية تظهر ، سنة ١٩٦٧ بلغ الهجوم المضاد للثورة مداه فى ٥ يونيو . كانت تلك كلها ، الانفصال ، واليمن ، والنكسة ، معارك فى حرب متصلة شنها الاستعمار فى الستينيات ، انتقاما لما أصابه من الحركة الثورية فى الخمسينات ، وحين قرن قيام ثورة ٢٦ سبتمبر وما أدت اليه من صراع لاهب مع الاستعمار والرجعية بتلك الهجمات الامبريالية والصهيونية التى تعرضت لها مصر ، فكتب عن أنه كان من خطط « حلف الاستعمار والصهيونية » ، خطة ضرب مصر بأقصى العنف ، ضربها مباشرة ، كما حدث سنة ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ، أوجرها الى ميادين بعيدة لاستنزافها ، كما حدث سنة ١٩٦٢ الى سنة ١٩٦٦ فى اليمن ، وحين أوجز القيمة التاريخية لهذه الملحمة النضالية التى صنعتها مصر على أرض اليمن - معبرة بذلك عن أوج عنفوانها الثورى ، وحيويتها القومية الفائقة - فى كلمات تفصح عن خيبة الامل فقط من نتيجة هذه الملحمة ، ولا تعكس التحليل الموضوعى المفترض الذى يبين أسباب تعثر ثورة سبتمبر ، حيث كتب : « ان حرب اليمن كانت ماتزال تجر أذيالها بكل اثقالها النفسية والمادية على الشعب المصرى وعلى قواته المسلحة ، وكانت المشكلة أن هذه الحرب قد جرى تدويلها من الجانب الآخر ، وانتقل كل المرتزقة الاجانب بمقدرة تنظيم وكالة المخابرات الامريكية ، وباعتمادات لاتنفد من المصالح المسيطرة فى شبه الجزيرة العربية - الى ذلك البلد الغامض والموحش الذى توقف تطوره « قبل عدة قرون » وحين صور حصيلة هذه التجربة الثورية بمثل هذه الكلمات : « وحين بدأت تجربة مصر فى التنمية تنجح ، فقد جرى استدراجها الى بالوعة اليمن » ! وحين لخص حصيلة عمل مصر فى اليمن بأنها ذهبت اليها « وتركت على جبالها أربعة آلاف شهيد » وحين اغفل الحديث نهائيا عن الجوانب الايجابية المضيئة والمشرقة والعظيمة التى أحدثتها وشقت لها مكانا فى الصخر ثورة ٢٣ يوليو بذهابها الى اليمن ، والتى تركتها أيضا ثورة ٢٦ سبتمبر فى حياة وكيان ووعى الشعب اليمنى .

حتى وان بدا بعضها مطموسا ومهالا عليه التراب بفعل الردة التي لحقت بالثورة - وحين لم ير بين قوافل قوى الثورة والتقدم في اليمن ، سوى ذلك النفر من الزعماء التقليديين ، الذي سوف يذكر بالحكم اليمانية « اكثر مما يذكر بأى دور سياسى قام به » - قاصدا بذلك الارىانى ! (١٤) .

على أن ماتجدر الإشارة اليه هو أن الاستاذ هيكمل الذى لايمكن اتهمه بالأقليمية نبه - وكأنه أراد ان يخل بعض التعديل على أفكاره السالفة - نبه فى مقاله الهام « الخطر فوق البحر الاحمر » الذى نشر فى اهرام ٢٧/١٠/١٩٧٢ الى الاهمية الفائقة لقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ، وعملية التداعى الثورية التي ترتبت على نشوبها فيما يتعلق بمواجهة الاحتلال البريطانى فى جنوب البلاد ، كما نبه الى الاثر الباقي الذى تركه تواجد الجيش المصرى فى الساحة اليمنية لمدة خمس سنوات ، والى التغييرات الايجابية التاريخية والسياسية التي أحدثها على مجرى الاحداث فى جنوب الجزيرة العربية .

فرغم أنه كان « واحدا من الذين تحفظوا بشدة على التدخل العسكرى المصرى فى اليمن » حيث كان « رأى أن الظروف فى اليمن ليست مهيأة لنجاح الثورة فيه الا بتكاليف باهظة » الا أنه - وقد حدث التدخل العسكرى المصرى - ورغم أن « التجربة فى بعض جوانبها كانت شبه كابوس لايريد أحد أن يتذكره » أكد الدواعى المشروعة والاسباب الوجيهة لهذا التدخل ، والنتائج البالغة الاهمية التي نجمت عنه ، وجاءت فى خدمة الثورة اليمنية والعربية معا ، وحدد هذه الاسباب والنتائج على النحو التالى :

« منها اننا لايجب ان نسمح بضرب ثورة قامت فى شبه الجزيرة ، مهما بدت فرص الحياة صعبة وعسيرة .  
ومنها أن تدخلنا سوف يدفع رياح التغيير الى شبه الجزيرة العربية ، وهذا مهم بالنسبة للموازن العامة للقوة العربية ، وبالفعل فان الامامه زالت من اليمن ، كما أن الجنوب العربى تحول من مستعمرة بريطانية الى دولة عربية مستقلة .

ومنها - وهذا هو اهم الاعتبارات فى رأى - ان التغييرات المحتملة فى الجنوب يمكن أن تساعد على وضع استراتيجيه عربية تكفل سيادة عربية كاملة على البحر الاحمر ، واهميته الاستراتيجية لاتنكر كطريق مابين البحر الابيض والمحيط الهندى . وكانت سلامة

البحر الاحمر خطا استراتيجيا ثابتا في كل عصر من عصور القوة المصرية ، منذ امبراطورية تحتمس الثالث الفرعونية ، والى جمهورية جمال عبد الناصر العربية ، أكثر من ذلك فان الاستاذ هيكمل وضع الامور في وضعها الصحيح ، عندما كتب في أهرام ١٩٧٢/١٢/٢٢ : « يناير سنة ١٩٦٤ كانت الامة العربية منقسمة على نفسها ، بسبب التناقضات الاجتماعية ، ووصلت حلة هذه التناقضات الى حد الحرب الاهلية في اليمن ، ولم تكن الحرب في اليمن حربا اهلية يمنية ، وانما كانت في الحقيقة حربا اهلية عربية ، لأن الجمهورية الوليدة في اليمن كانت وقتها تمثل معنى اجتماعيا محددا ، كما أن النظام الملكي المنهار بأسرة حميد الدين في اليمن كان يمثل معنى اجتماعيا محددا ، وحددت كل القوى العربية مواقفها ، وكان الاختيار اجتماعيا بالدرجة الاولى ، وبصفة عامة فان الجمهوريات في العالم العربي وقفت وراء أسرة حميد الدين المنهارة ، بدرجات متفاوتة أيضا . . . ولعل أقول بأمانة وموضوعية أن مصر تتحمل جزءا من مسئولية التعثر والتوقف ، لأنها في ذلك الوقت حاولت أن تستعمل روح مؤتمرات القمة لانهاء الحرب في اليمن لصالح الجمهورية في صنعاء ، وكان ذلك أكثر مما تتحمله الظروف ، وأولها حقيقة قوة النظام الجمهوري في صنعاء ! »

وعلى أي حال فقد تولى الرئيس محمد أنور السادات بدوره - وهو الذي تابع قضية اليمن منذ البداية متابعة خاصة - مهمة حسم الأمر ، وتوضيح العلاقة بين محاولات المساس بسيادة مصر ، وثورة اليمن ، وعدوان ١٩٦٧ ، واعتبر كل ذلك حلقات في سلسلة الصدام الواسع مع الاستعمار الامريكى ، حيث قال في خطاب ١٩٧٢/٧/٢٤ : « أن حرب سنة ١٩٦٧ لم تبدأ في الحقيقة سنة ١٩٦٧ ، وانما بدأت قبل ذلك بسنوات ، ان معارك الايام الستة بدأت قبل ذلك بكثير بمعارك ساخنة ومعارك باردة ، وكانت هناك معركة اليمن مثلا ساخنة ، وفي نفس الوقت كانت هناك معركة باردة تدور في القاهرة ، حيث طلبت الولايات المتحدة الامريكية سنة ٦٣ حق التفتيش على مصانعنا الحربية بدعوى التأكد من وجود توازن في القوى المسلحة بيننا وبين اسرائيل ، ( الأهرام ٧٢/٧/٢٥ ) . »

صحيح أنه فيما يتعلق بثورة ٢٦ سبتمبر فان المقومات الذاتية والشروط الموضوعية وغيرها من العوامل الاجتماعية والسياسية الداخلية لم تكن قد أخذت فرصتها الطبيعية والضرورية للاختصار والنضج والاكتمال ، حتى تستغنى الثورة بقواها عن كل دعم خارجي



حاسم ، ولكن ذلك لا يمنع من القول بأنه بفضل دعم ثورة ٢٣ يوليو  
 العمال والقوى أمكن استكمال كثير من جوانب النقص في هذه  
 الثورة ، التي لم يكن تكالب الاستعمار وقوى التخلف ضدها الا  
 برهاناً على مدى اصالتها وخطورتها عليها ، والتي لم يكن انتكاسها  
 يدل فقط على ضعف مكوناتها الداخلية اللازمة ، وعدم كفاية وغناء  
 العوامل الخارجية المساعدة ، وانما دل أيضاً على انها كانت حركة  
 وطنية معادية للاستعمار والرجعية الاقطاعية والكهنتوتية . ولذلك  
 فانها رغم حرب التدخل الشرسة والطويلة التي شنت عليها ، ورغم  
 النكسة التي لحقتها ، ونجاح الثورة المضادة في الاحاطة بها ، فانها  
 تمكنت بفضل موقف الشجاعة والاستماتة الذي أظهرته القوى  
 الشعبية ، والجيش الحديث ، الذي ساعدت مصر في تكوينه من  
 الحفاظ على منجزاتها التقدمية ، وعلى رأسها النظام الجمهوري .

**تقييم عبد الناصر للثورة اليمنية :**

وليس هناك من هو أجدر بتقييم ثورة ٢٦ سبتمبر من  
 عبد الناصر نفسه ، الذي كانت له اليد الطولى في نشوبها وقيام  
 نظامها الجمهوري في صنعاء ، وفي تحقيق الاستقلال للجنوب  
 اليمني ، فبمثل هذه اللهجة القومية الواثقة والصادقة يتحدث عن  
 الثورة اليمنية ، وعلاقة مصر بها : « الشعب اليمني فرض الثورة ،  
 وبارادة التغيير قامت الثورة ، وحين ما طلب الينا أن نساند هذه  
 الثورة ، فقد ذهبنا قواتنا الى اليمن ، وهي تعتقد أنها تقوم بهذا  
 بواجب أصيل في ارادة التغيير العربية » ويؤكد بحزم اننا « صممنا  
 على أن نقوم بدورنا الطبيعي ، دورنا النضالي ، دورنا الثوري ،  
 وذهبنا الى اليمن لمساندة ثورة اليمن ضد الاستعمار والرجعية » وان  
 وقوفنا « وانتصارنا الى جانب الثورة اليمنية ، وتأيدنا لثورة الجنوب  
 العربي » استلزم مساعدة « القوى الوطنية في الجنوب المحتل بكل  
 امكانياتنا » (١٥) وانه « كما ذهبنا الى اليمن ، كنا نشعر أننا نؤدي  
 واجبا علينا ، تستدعيه المبادئ التي نادينا بها .. وحدة النضال  
 العربي » (١٦) .

### **الثورة اليمنية في مفهوم القوى الديمقراطية المصرية :**

وليس هناك ما هو اقرب الى الحقيقة في تقييم ثورة ٢٦ سبتمبر،  
 التي احبطت محاولات احتواء ومحاصرة وضرب ثورة ٢٣ يوليو ،  
 ودور مصر ازاها مما كتبه الاستاذ محمد عودة في هذا المجال : « وفي

سنة ١٩٦٢ وقع الحدث الذي قلب كل الخطط ، قامت الثورة حيث لا يتوقع احد ولا يخطر بباله ، في اليمن . وكانت دلالة على خصوصية وأصالة الثورة العربية ، وعلى امتداد جذورها في كل مكان ، وانها اذا انحصرت في الشرق ، انفجست في الغرب ، واذا حوصرت في الشمال ، انبثقت في الجنوب ، ولكن كانت (كان) لثورة اليمن مغزى أخطر ، وهي لم تقلب اشد المجتمعات تخلفا فحسب ، ولكنها نقلت الخطر الزاحف الى قلب مصر بعيدا جدا ، وعلى الطرف الآخر ، وهي حملت الثورة الى قلب الامبراطورية الامريكية ، امبراطورية البترول ، وهي القلعة واثمن ما تملك ، وارسلت الجمهورية العربية المتحدة الجيش المصري ، وكان الطريق الوحيد لحماية الثورة ، وكان التزاما تاريخيا ، تفرضه وحدة الثورة ، وكان عملا جديدا من نوعه ، أكد صدق المبادئ والقدرة على تحقيقها ، وتبصيرها . وقل هنري كيسنجر ان هذا هو اخطر ما حدث ، وانه يحسد كل شيء ، حتى آخر حدود ايران !» (١٧) ويستطرد الكاتب المصري في مكان آخر في شرح الابعاد الثورية لقيام هذا الحدث الفريد والاول من نوعه في جزيرة العرب ، وعلاقة وجود جيش الثورة العربية داخل هذه الجزيرة باشتداد شعار الامبريالية ، وجنون قوى التخلف المحلية قائلا : «في سنة ١٩٦٢ قامت ثورة اليمن ، في اشد البلاد العربية تخلفا وانغلاقا ، وسقط نظام عتيق ، بال ، واعلنت جمهورية ثورية . ولم يكن كل مغزى الثورة في اليمن أنها اطاحت بنظام شديد التخلف ، ولكن انها وقعت في قلب امبراطورية البترول ، ومحور كل المشاريع والمطامع الامبريالية الكبيرة ، وهذه مواقع جوهرية حصنتها وأمنتها الامبريالية بسلسلة من النظم الملائمة ، حتى تحشدتها جميعا الثورة الجديدة ، حينئذ « سارعت القوى الامبريالية للقضاء فورا على ثورة اليمن ، ولكن الثورة استنجدت بمصر ، وسارع الجيش المصري الى هناك ، حيث رد القوى المعادية ، واستطاع تثبيت وتأمين الثورة والجمهورية ، وكان مثلا تاريخيا للعمل الثوري العربي ، قدمه جيش مصر من أجل المبادئ والمثل ، وكان انتصار ثورة اليمن ، وقيام وجود عسكري مصري في قلب امبراطورية البترول حافزا للانتعاش وازدهار القوى الوطنية والثورية في كل المنطقة ».

وكانت قوى مقهورة مكبوتة ، ولكن عارمة ، واغوى مما تصور الجميع ، ولهذا فاض الحقد والحنق على مصر وعلى جيش مصر، (١٨) .  
وكم كانت جريدة الجمهورية القاهرية محقة وصائبة ، عندما

تصدت بالرد على القائلين بأن سياسة مصر خلال حياة عبد الناصر كانت تقوم فقط على إثارة المتاعب هنا وهناك ، دون أن يكون لها مردود ايجابي داخل مصر وخارجها ، فكتبت في عدد ١٩٧٢/٥/٢٢ « وليس من شك في أن هذه السياسة قد جرت على مصر كثيرا من المتاعب ، الا أن هذه المتاعب نفسها كانت دليلا واضحا على نجاح هذه السياسة ، وانها سببت للاستعمار متاعب أكثر فضلا عن ذلك فإن شعب مصر كان يحقق ذاته من خلال هذه السياسة ، فتاريخه ونضاله ودوره الحضاري لم يكن يتيح له موقفا غير هذا الموقف ، تعبيرا عن اخلاصه لمبادئه ، والتزاما بها . وذلك ما اعطى لحركة مصر فعالية كبيرة ، وجعل صوتها مسموعا في الساحة الدولية ، وحتى بعض الكتاب الليبراليين الذين ينطلقون من مفهوم « مصر أولا » و « مصر للمصريين » - كالاستاذ احسان عبد القدوس - فانه يرى أن تحريك الجيش المصري نحو اليمن لم يكن بدون هدف ثوري مشروع ، وهو الدفاع عن الثورة المصرية ذاتها ، حيث كتب في جريدة أخبار اليوم ، عدد ١٩٧٢/٧/٨ : « وقد مدت الثورة المصرية خطواتها الى كل العالم العربي وكان ايمانها في فترة من الفترات يقوم على ان نوع نظام الحكم داخل كل بلد عربي يشكل مركزا من مراكز الدفاع لذلك اشتركت الثورة في ثورة الجزائر ، وفي سوريا ، وفي لبنان ، ووصلت الى اليمن في حرب مع السعودية . . . و . . . وكل ذلك تحت الحاح الايمان بأن القوى الاستعمارية والقوة المضادة في أي بلد هي خطر على مصر » .

وعلى عكس ما يرى الذين يعتبرون الحرب التي دارت في اليمن من أسباب نكسة يونيو ١٩٦٧ فإن جريدة الجمهورية في مقالها الآنف الذكر تحلل قضية العدوان من اساسها من منظور تقدمي على النحو التالي : « ولو أننا نظرنا بالتحليل لعدوان ١٩٦٧ على مصر لوجدنا أن أحد اهدافه الرئيسية هو « إعادة مصر الى حجمها الطبيعي » وشغلها بقضيتها الخاصة عن إثارة المتاعب للاستعمار في العالم الثالث . وليس من شك في أننا لو استسلمنا لذلك لكننا نحقق للاستعمار هدفا مزدوجا هو هزيمتنا من ناحية ، والقضاء على حركة التحرر العالمي » كما أشار الاستاذ أحمد بهاء الدين في الاهرام عدد ١٩٧٢/٤/٣٠ الى أنه كان من اهداف الاستعمار واسرائيل بشن عدوان ١٩٦٧ على مصر هو تدمير قوتها العسكرية ونفوذها السياسي ، بعد أن جاوز حدودها الى بقاع من الوطن العربي « خصوصا وان امريكا

وجدت أن هناك حالات ذهبت فيها قواتنا العسكرية خارج مصر :  
في اليمن على نطاق واسع ، وفي العراق ، وفي الجزائر في بعض  
الظروف على نطاق محدود . كما وجدت أمريكا لهذه التحركات أثرها  
« المعنوي » الخطير في المنطقة ، جعلت مصر في بعض الظروف على  
قمة قيادة المنطقة ، شريكا يحسب حسابه في كل حركة يتحركها  
احد من المحيط الى الخليج » .

### تقييمات برجوازية صغيرة :

واذا كان هناك اليوم من يريد لصنعاء - التي لم تصنع  
جمهوريةها ، ولم تستخلص ثورتها ، الا بعملية جراحية تاريخية  
دائمة ، مزقت بها احشاء القرون الوسطى ، والا بعملية مواجهة  
قومية شاملة حازمة ، مادت لها جزيرة العرب ، وانشطر بها العالم  
العربي ، وكبحت بصدمتها قوى التخلف المحلية ، وهدمت مواقع  
الاستعمار - من يريد لها أن تعود الى مثل ما كانت عليه في عهد  
الامامة الكهنوتية المقيت ، عضوا اشل في الجسم العربي ، وبلدا  
معزولا عن الركب التحرري ، ومبتعدا عن قضايا النضال القومي ،  
ليس له رسالة ازاء أمته العربية ، التي ساهمت بدور رئيسي وحاسم  
في انتزاعه من كهوف التخلف ، وبرائن الجهالة التي كانت تطبق  
عليه والتي تواجه اليوم معركة حياتها ووجودها ومصيرها مع قوى  
الاستعمار والصهيونية - من يريد لهذا البلد سوى الانكفاء مرة أخرى  
على نفسه ، والاستغراق في النوم الطويل من جديد ، والتلذذ الابله  
بدفء مضاجعة « السادة » الجدد ، القادمين من خلف الحدود، وفتح  
الابواب على مصاريعها ، والاحضان على اتساعها ، « لدخول الحضارة  
الغربية » التي طال التطلع اليها ، والحرمان منها ، ومطارحة  
الامبريالية الغرام اللاهب ، اقول اذا كان هناك اليوم من لا يتصور  
لصنعاء مصيرا غير هذا المصير المشئوم ، ومن يدفعها اليه دفعا ، فإن  
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية تبقى - موضوعيا ، وايا كانت  
تحفظاتنا على سياسستها العامة - هي رمز حيوية الثورة اليمنية  
بافاقها الديمقراطية والتقدمية ، وهي تستطيع اذا ما حملت مسئوليتها  
في بناء حركة وطنية يمنية موحدة ان تحافظ وتنمي كل تقاليد  
شعبنا الثورية ، وكل منجزات الثورة العربية في اليمن ، وان تلعب  
دورها الوطني الكامل في توفير واستكمال الشروط اللازمة لبناء  
وقيام دولة اليمن الوطنية الموحدة .



ولذلك لا ينبغي ان نعضب كثيرا عندما نقرأ لغو الحديث عن الثورة اليمنية ، وعن دور مصر ازاءها ، كذلك اللغو الذي يصور امجاد شعبنا اليمني والمصري في اليمن على هذا النحو غير المقبول : « رحل الامام . قامت ثورة بالغلط ، نجحت بدون تخطيط ، جاء ٧٠ ألف عسكري مصري لدعم الثورة ، الوجود العسكري المصري ، نتيجة لغياب وجود الادارة اليمنية تسلم هو الحكم في اليمن ، كان هم الحكم المصري عسكري ( عسكريا ) ، ولذا فلم يعر الادارة أى اهتمام ، وبالتالي فقدت المشاركة الاساسية لليمنيين في الحكم ، استمرت الحرب ، واستمر معها الاستنزاف ، جاء عام ١٩٦٧ فانسحب الجيش المصري تاركا اليمن ، حيث انفسح المجال لايقاف و « انتهاء حرب الاستنزاف ، وقيام المصالحة » مع « جميع الملكيين كاخوة ومواطنين » وحيث « كان علينا من جهة أخرى ان نقنع اخواننا ايضا بمثل هذا الامر وهم الذين لثمانى سنوات خلت يقاتلون « محقونين » بالشعارات الثورية ، وان نواجه من حولنا ممن « هو صيني سوفياتى لينينى ماركسى ، ولذا فنحن بالنسبة اليه رجعيون متواطئون » وان ننبد شـعارات العرب القومية والثورية الفارغة المتمثلة في واقع اننا « نحن العرب عرب شعارات » وان نستبدل بها شعارا يمنيا واحدا يلخص كل مبادئنا وخط سيرنا ومجمل سياستنا الداخلية ، الا وهو « اننا يمنيون واعباء اليمن ومشاكلها وظروفها لا تسمح لنا بأن نكون غير ذلك ، أو أكثر من ذلك » (١٩) من الواضح أن مثل هذه التقييمات تعكس اقليمية وضيق أفق بعض فئات البورجوازية الصغيرة الرثة !

ومن الجدير بالملاحظة هنا ان امثال هذه التقييمات غير الموضوعية لثورة سبتمبر ودور مصر ازاءها ، لم تختلف - عمليا - قط عما ركزت عليه الدعاية الخارجية حتى الاسرائيلية التي كانت أسبق من غيرها في اعتبار ان مساعدة مصر للثورة اليمنية كانت أحد عوامل تدهور الاوضاع في مصر ، حيث « كانت حرب اليمن أحد هذه الاسباب » - كما نقلت اخبار اليوم القاهرية في ١٩٧٢/٢/٢٦ عن المصادر الاسرائيلية .

ان مما يدعو الى الدهشة أن مثل هذه التقييمات الذاتية لم تعد تجرؤ حتى السـنة الملكيين اليمنيين على النطق بها ، وهم الذين حاربوا الثورة منذ لحظة قيامها وحتى لحظة التصالح معهم في مارس ١٩٧٠ ، والذين لم يملك وزير خارجيتهم السابق احمد الشامي -

بعد ان اصبحت عضوا في المجلس الجمهورى بصنعاء قبل أن يعين سفيرا في لندن ثم باريس - أثناء حديثه عن الانجازات التي تحققت في ظل ثورة ٢٦ سبتمبر ، بفضل الدعم الاخوى والقوى لشورة ٢٣ يوليو الا أن يعترف بالحقيقة الساطعة التي حاول طمسها مثل هؤلاء الجمهوريين الذين يمثل هذه التقييمات بدوا كما لو كانوا قد أصبحوا « ملكيين أكثر من الملك » فقد قال الشامي في تصريح له نشرته الجمهورية القاهرية في ١١ / ٦ / ١٩٧٠ ، لقد تركت اليمن قرية مهجورة ، فعدت اليها بعد ان اصبحت دولة كاملة ! ولا شك أن الدور الذي قامت به الجمهورية العربية المتحدة في هذا المجال لن يمحي أو ينسى بل سيظل على الدوام علامة مشرفة لما قدمته الشقيقة الكبرى لليمن » .

لقد كانت حصيلة تعامل الثورة اليمنية - بشقيها - مع الواقع اليمني المتخلف والمعقد ، ونتيجة تفاعلها مع تيار الثورة العربية أن أصبحت هناك على المستوى الرسمي - رؤيتان ، رؤية أميل ما تكون الى « التقليدية » في شمال البلاد ، ورؤية أميل ما تكون الى « اليسارية » في جنوبها ، وان ما يهمنا هنا هو التعرف على ملامح الرؤية اليسارية .

### الرؤية اليسارية :

فانطلاقا من واقع « ان العصر الراهن من حيث جوهره التاريخي هو عصر الثورة الاشتراكية وانتصارها في أكثر من بلد ، عصر نهوض حركة التحرر الوطني ، وانهيار النظام الاستعماري عالميا ، ودخول معظم شعوب العالم مرحلة الثورة الاشتراكية على النطاق العالمي » فان الثورة في اليمن الديمقراطية الشعبية التي « تنطلق في سياستها الخارجية من طبيعة هذا العصر ، وموقعها فيه » تعتبر نفسها جزءا لا يتجزأ من القوى الثورية الاساسية الثلاث في عصرنا ، المعسكر الاشتراكي والحركات العمالية العالمية ، وحركة التحرر الوطني العربية والعالمية ، وهي لذلك تعمل من أجل تحقيق ترابط وحدة فصائل الثورة العربية ، و « اقامة الجبهة العربية التقدمية الديمقراطية لتوحيد نضالها المشترك ضد الامبريالية والرجعية العربية والصهيونية » ، ممثلة بقواعدها العسكرية واحتكاراتها الرأسمالية ، . وهي تؤيد « ١ » .

« كافة الجهود من اجل توحيد كافة القوى الوطنية الديمقراطية

من أجل النضال العادل ضد الاستعمار البريطاني وسيطرة الاحتكارات  
الامبريالية العالمية ، وضد كل الركائز العميلة ، وفي سبيل  
الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي .

« ب » حركة التحرر الوطني في الجزيرة العربية ضد القواعد  
العسكرية الامبريالية وسيطرة الاحتكارات . . . ولأن « اليمن  
الديمقراطية تعتبر المعسكر الاشتراكي هو الحليف الثوري لها ،  
وتحرص على خلق امتن العلاقات النضالية معه » فانها - شأن  
ما فعلته الثورة الام في مصر من قبل - تدعو الى « وحدة المعسكر  
الاشتراكي » وان لم تحدد مركز الثقل فيه ، باعتبار ان هذه الوحدة  
« ليست ضرورة من أجل تقوية النفوذ المتعظم للاشتراكية في العالم  
فحسب ، بل ضرورة لدعم الحركة العمالية واحزابها الطليعية ،  
وكذلك حركة التحرر الوطني العالمية ، من أجل تصعيد النضال ضد  
القوى الامبريالية ، وفي سبيل انتصار الاشتراكية في العالم  
بأسره » ( ٢٠ ) .

### تأثير الفكر الناصري في فكر القومية :

ان تأثير ثورة يوليو الواضح على فرع حركة القوميين العرب  
السابقة في اليمن - وفي الجبهة القومية بالذات - اذا ما استثنينا  
بعض نزعاتها اليسارية المتطرفة - التي أخذت تتلاشى الآن يتجلى -  
اضافة الى ما تقدم - في مسألة الموقف من « التنظيم السياسي » ،  
الذي تأثر فيه تنظيم الجبهة القومية أعظم التأثير بالفكر الناصري ،  
وفي مسألة ما ينبثق عنه من تنظيم طليعي ، ويتبناه من افكار  
اشتراكية .

فمنذ صدور الميثاق الوطني في ١٩٦٢ كانت ثورة يوليو  
الرائدة قد اعلنت تبنيها للمفهوم العلمي للاشتراكية باعتبار « ان  
الاشتراكية العلمية هي الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح  
للتقدم » ( ٢١ ) في نفس الوقت الذي شهد فيه عبد الناصر بالحاح  
وباستمرار - بقصد حسم الجدل الذي احتدم في المنطقة العربية حول  
مفهوم الاشتراكية العلمية والاشتراكية العربية - على القول : « انا  
رأيي تطبيق عربي للاشتراكية ، مش اشتراكية عربية ، اعتقد  
أن فيه اشتراكية واحدة ، وفيه مبادئ للاشتراكية » ( ٢٢ ) واعاد  
التأكيد غير مرة بأنه سبق أن « نص الميثاق على انها اشتراكية  
علمية ، ولا يمكن أن نجعلها بخلاف ما هو منصوص عليها في

الميثاق ، وليس هناك ما يوصم الاشتراكية العلمية بالكفر ، ( ٢٣ ) .  
كما أكد على ضرورة قيام تحالف وطنى ديمقراطى اسسمى  
« بالاتحاد الاشتراكى العربى » يضم قوى الشعب العاملة من العمال  
والفلاحين والمثقفين والبورجوازية الوطنية والجنود على شرط « تكوين  
حزب اشتراكى داخل الاتحاد الاشتراكى » - وهو « الذى عبرنا عنه  
فى الميثاق بأنه الجهاز السياسى » . ومعنى ذلك ان يكون عندنا  
تنظيمان ، التنظيم العام وهو الاتحاد الاشتراكى والتنظيم الخاص  
وهو الجهاز السياسى ، وفى تصورى ان الجهاز السياسى لابد ان يكون  
عبارة عن حزب اشتراكى . . . يجمع الصفوة من الاشتراكيين الذين  
يمكن ان يكونوا الدعاة الحقيقيين للاشتراكية ، والذين يعتبرون  
بمثابة العمود الفقرى للاشتراكية « وذلك قياسا على ما هو « موجود  
فى يوغسلافيا مثلا ، حيث يوجد اتحاد الشيوعيين ، والاتحاد  
الاشتراكى ، واتحاد الشيوعيين ، يضم عدا قليلا ، واستطاعوا بذلك  
ان يسيروا الاتحاد الاشتراكى ، ومن هنا أهمية التنظيم الاشتراكى  
الطليعى الذى ينبثق من داخل الاتحاد الاشتراكى ، والذى يقود مرحلة  
الانتقال الى الاشتراكية ، مرورا بمرحلة التطور غير الرأسمالية ،  
وبدون هذا الجهاز لسياسى ، والذى اسميه الحزب الاشتراكى فلن  
نستطيع أن نقود الجماهير أو نتصدى للقوى المضادة » ( ٢٤ ) .

### أخذ الجبهة القومية بالصيغة التحالفية والحزبية الناصرية :

ومن جهة أخرى ، وكصلى طبيعى لتأثير تجربة ٢٣ يوليو  
الثورية واندفاعها الثورى فان الجبهة القومية لم تنشأ وتنطلق الا فى  
ظل الوجود المصرى القومى فى اليمن ، وبمساعده ، وتحت جاذبية  
المفاهيم الناصرية ، وبانخراط المجاميع الناصرية فيها ، اضافة الى  
مجاميع حركة القوميين العرب فى اليمن ، التى كانت هى الاخرى  
متأثرة بالفكر الناصرى حتى النخاع ، حيث « مكنت علاقاتها الحسنة  
بالناصرية من ازدياد نفوذها وقوتها » كما جاء فى التقرير السياسى  
الذى القاه عبد الفتاح اسماعيل ، الامين العام للجبهة القومية ، فى  
المؤتمر العام الخامس للجبهة القومية فى ٢ / ٣ / ١٩٧٢ ( ص ٢٩ )  
وحيث كانت « تعيش الحركة مدا فى ظل امتداد التيار الناصرى ،  
كما كتب عبد الله الخامرى ، عضو اللجنة المركزية للجبهة القومية  
فى جريدة الثورى العدنية ، عدد ٢٩ / ٦ / ١٩٧٢ .  
وقد ظل تأثير الفكر الناصرى فى الجبهة القومية مستمرا وقائما



حتى الآن ، سواء من ناحية التمسك بالاختيار الناصري فيما يتعلق باقامه « التنظيم السياسي » الواحد الذي يجمع قوى التحالف الوطنية الديمقراطية والذي كانت وظلت « الجبهة القومية » هي التعبير التنظيمي له ، أو من ناحية اعتماد الصيغة الناصرية في ضرورة انبثاق حزب اشتراكي من ضمن التحالف الديمقراطي ( الجبهة القومية ) ، يتبنى الاشتراكية العلمية ، ويقوم بتطبيقها في ضوء الواقع في اليمن الديمقراطية ، حيث ينص برنامج الجبهة القومية ( ص ٣٨ - ٤٠ ) على أن « التنظيم السياسي للجبهة القومية في بلادنا هو أداة مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، باعتبارها الإطار العريض للتحالف الواسع بين كل القوى الديمقراطية ، صاحبة المصلحة الحقيقية في الثورة الوطنية الديمقراطية من عمال وفلاحين ، وجنود ، ومثقفين ، ثوريين ، وبرجوازية صغيرة » . وحيث يشير الى ان كل التجارب الثورية قد أكدت بقوة « الاهمية التاريخية لدور الحزب الطليعي في قيادة الثورة ، ومدى المخاطر الجسيمة التي يمكن ان تتعرض لها أي ثورة في ظل غياب الحزب الطليعي ، وان الثورة في بلادنا تؤمن أكثر من أي وقت مضى بأن الحزب الطليعي هو الضمان الوحيد لتحقيق قدرتها على قيادة الثورة ، وانجاز المهام المرحلية والتاريخية لها ، ولذلك فان العمل من اجل قيام الحزب الطليعي من داخل اطار التنظيم السياسي - الجبهة القومية - وفي سبيل قيام الحزب الطليعي اليمني الموحد ، قضية استراتيجية ضرورية . أنه القيادة المسلحة بأيدولوجية الاشتراكية العلمية . القيادة المنظمة والواعية والقادرة على تحقيق المهام المرحلية المرتبطة بالمهام الاستراتيجية للثورة اليمنية » .

وفي ضوء هذا المنهج حل كل من « الاتحاد الشعبي الديمقراطي - تجمع شيوعي - و « حزب الطليعة الشعبية » - تجمع ماركسي - نفسيهما - كما حدث في مصر تماما - ودخلا في اطار التنظيم السياسي الموحد - الجبهة القومية ، تمهيدا لقيام حزب طليعي من داخل الجبهة خاص بجمهورية اليمن الديمقراطية .

### **بصمات الميثاق الوطني على برنامج الجبهة القومية :**

وعن العلاقة بين النظرية الاشتراكية العلمية والتطبيق المحلي لها في ضوء ظروف وخصائص المجتمع في اليمن الديمقراطية يتحدث برنامج الجبهة القومية ( ص ١٨ - ١٩ ) قائلا : « فالفكر الاشتراكي

العلمى لا يمكن أن يؤخذ بشكل مجرد عن الواقع . والتجارب  
الاشتراكية لا يمكن النظر اليها كقوالب آلية يمكن استيرادها  
أو نسخها . ان ثورتنا مع الاستفادة من ايجابيات كل التجارب  
الاشتراكية يجب ان تناضل من أجل تطبيق الفكر الاشتراكى العلمى  
بصورة صحيحة وخلقة على واقعنا اليمنى ، لنتمكن من صنع تجربة  
يمنية تقدمية ، ولنتمكن من اعادة بناء المجتمع اليمنى الجديد ، ومن  
أجل خلق أفضل العلاقات الايجابية مع حركة الثورة العربية  
والعالمية .

ترى هل هناك فارق جوهري فى المغزى العام بين مثل هذه  
الفقرة وبين ما نص عليه الميثاق المصرى بقوله : « ان التجارب  
الاجتماعية لا تعيش فى عزلة عن بعضها ، وانما التجارب الاجتماعية  
- كجزء من الحضارة الانسانية - تعيش بالانتقال الحصب وبالتفاعل  
الخلق ، ان مشعل الحضارة انتقل من بلد الى بلد ، ولكنه فى كل  
بلد كان يحصل على زيت جديد يقوى به ضوءه على امتداد الزمان ،  
انها قابلة للانتقال ، ولكنها ليست قابلة لمجرد النقل ، قابلة  
للدراسة المفيدة ، ولكنها ليست قابلة لمجرد الحفظ عن طريق  
التكرار » ( ص ١٩ ) وما ذكره الميثاق ايضا عن ضرورة ان يكون  
لدى المواطن « فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية يأخذ منها  
ويعطيها ، لا يبعدها عنه بالتعصب ولا يصد نفسه عنها بالعقد »  
( ص ١٠ ) وما ركز عليه « عن عمومية المبادئ والقوانين العامة  
« وخصوصية الاساليب المناسبة لتطبيقها بقوله : « وليس معنى  
ذلك ان النضال الوطنى للشعوب وللأمم مطالب اليوم بأن يخترع  
مفاهيم جديدة لاهدافه الكبرى ، ولكن معناه أنه مطالب بأن يجد  
الاساليب المسايمة لاتجاه التطور العام ، والمتفقة مع طبيعة العالم  
المتغيرة » ( ص ١٦ ) وهو ما اوضحه كذلك عبد الناصر شخصيا  
عندما رد على الذين يريدون « ان يكون نظامنا وسطا بين الشيوعية  
والرأسمالية » مؤكدا بأن « اتخاذ موقف وسط فى مجال العقائد  
الاجتماعية أمر مستحيل » وان لم تكن هناك « بابوية فى الاشتراكية »  
حيث انه لا توجد « نصوص جامدة ، ولا نصوص ناشفة »  
( الناصرية - عبد الله امام ، ص ١١٢ - ١١٣ ) .

من ذلك كله يتضح أن ما أخذه الزعيم الليبى العقيد معمر  
القذافى على بعض ثوار اليمن لقولهم بأن « الاشتراكية واحدة ،  
وتطبيقاتها تختلف » مثلما يقول « عبد الفتاح اسماعيل » فى اليمن

التشعبية لم يكونوا فيه مبتدعين ، وانما متبعين لعبد الناصر والميثاق ، وذلك ما أشار اليه عبد الفتاح اسماعيل عندما قال : « فاذا كنا قد اعلنا الاشتراكية العلمية في المؤتمر الخامس فقد اعلنتها الجمهورية العربية المتحدة قبل خمس سنوات » ، ( الثورى العدنية ٢٦ / ١٠ / ١٩٧٢ ) .

### انعكاس النظرة الناصرية العامة في وثائق الجبهة القومية :

وكما اشار عبد الناصر في الجلسة الافتتاحية لمجلس الامة يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٤ - بقوة وحسم - الى الدور السياسى الخاص الذى تلعبه الطبقة العاملة فى طليعة قوى التحالف الوطنى والشعبى فى مرحله بناء الاشتراكية قائلا « وهذه الطبقة العاملة تمثل فى النظام الاشتراكى المركز القيادى » ( ٢٥ ) فان برنامج الجبهة القومية يتحدث فى ( ص ٢٨ - ٣٩ ) عن الاهمية الخاصة للطبقة العاملة فى قيادة التحالف الثورى عبر المرحلة الديمقراطية والاشتراكية معا بمثل هذه العبارة : « أن المرحلة الراهنة فى بلادنا تستوجب تعزيز التحالفات الوطنية ، الا أن هذا يجب أن يتم فى ظل تحالف القوى الأساسية للعمال والفلاحين الفقراء مع صعود وتناسى دور الطبقة العاملة وظليعتها لتتمكن من انتقدم نحو تحقيق التغيرات الضرورية فى بنى المجتمع التحتية ، والتي لايمكن أن تحقق بالممارسة العفوية والتجريبية أو بمجرد الاخلاص الذى لايدرك حقائق العالم الموضوعى ، ودرجة نمو الشروط الذاتية ، والمنفصل عن الالمام بالمهام اليومية والتاريخية للثورة » وتتضح تأثيرات « الميثاق » على فكر الجبهة القومية فى اكثر من صياغة وأكثر من ميدان ، واذا كان الميثاق يتحدث عن « ابرز التغيرات التى طرأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية » والتي بتفاعلها « مع الارادة الثورية الوطنية لم يعد أسلوب المصالحة مع الاستعمار ومساومته هو طريق الحرية » ، والتي كان من أعظمها « ظهور المعسكر الشيوعى كقوة كبيرة يتزايد وزنها المادى والمعنوى يوما بعد يوم فى مواجهة المعسكر الرأسمالى » ( ص ١٦ - ١٨ ) فان برنامج التنظيم السياسى - الجبهة القومية - يتحدث عن نفس المقولة بصيغة مشابهة مؤكدا أن « انتصار الاشتراكية فى فى العديد من انحاء العالم قد وفر شرطا عالميا جديدا لتطوير نضال الشعوب فى مختلف القارات ضد الرأسمالية والاستعمار العالمى بشتى أشكاله ، ونحو تقدم هذه الشعوب وتطورها فى اتجاه انهاء استغلال الانسان للانسان » ( ص ٢١ ) .

ولقد عبرت جريدة صوت العمال العدنية في عدد ٧١/١/٣ بأمانة وعلمية عن المكانة التاريخية الفذة للمناضل الخالد عبد الناصر وعن الدور الريادي والطليعي الذي مثلته التجربة الثورية الناصرية بين تجارب حركات التحرر الوطني والاجتماعي العربية والعالمية ، بتأكيد ما أنه - إضافة - الى تصديه الجرح والشجاع ، وعلى مختلف المستويات لقوى الاستعمار ، مهما كانت ضراوتها - فقد « كان عبد الناصر أول من وجه ضربة للاقطاع في الوطن العربي ، وأول من بدأ يتوجه نحو الاشتراكية ، ويوثق العلاقات مع المعسكر الاشتراكي » .

### علاقة الثورة اليمنية بثورة ٢٣ يوليو الرائدة :

وقد زاد الأمين العام للجبهة القومية عبد الفتاح اسماعيل الأمر وضوحاً عندما وضع الثورة اليمنية - من الناحية النظرية - في إطارها الطبيعي ضمن حركة الثورة العربية الشاملة التي تمثل ثورة ٢٣ يوليو مركز الثقل القومي فيها بقوله : « ان الثورة اليمنية ، هي في الواقع جزء من الثورة العربية ، وهي بذلك تؤكد أصالة انتمائها الى الوطن العربي الكبير » ، وعندما أشار الى العلاقة القومية والثورية الخاصة التي تربط بين الثورة اليمنية والثورة الأم في مصر « ونحن في علاقتنا بمصر الشقيقة نصدر من هذا المنطلق وباعتبارها القوة الرئيسية في حركة الثورة العربية ، ولبلادنا علاقات تاريخية لا يمكن أن ينسبها شعبنا اليمني على الإطلاق ، فنحن لن ننسى شهداءنا المصريين في الشمال ، ولن ننسى المساعدات السخية من مصر لابناء الجنوب ، وهم يخوضون نضالهم ضد الاستعمار ، ونحن نعمل باستمرار على تطوير وتوطيد علاقتنا بمصر الشقيقة رسمياً وشعبياً لمصلحة النضال المشترك ، والمصير الواحد » (٢٦) .

### ثورة ٢٣ يوليو أفق ثوري لكل النجوم الثورية :

على أنه ينبغي التأكيد في نهاية هذا الحديث الى أن فكر « الميثاق » المصري لم يؤثر في الجبهة القومية فحسب ، وإنما أثر في كل الحركات الوطنية ، والتنظيمات القومية العربية ، كما ألقى بإشعاعاته على ساحة ما يسمى « بالعالم الثالث » الواسع الأرجاء . وما يهمنا التشديد عليه هنا بصورة خاصة هو أن ثورة ٢٣ يوليو -



ولا سيما منذ أخذت تسير وفق منهج نظري ، وتنتقل بذلك من المرحلة التجريبية ، الى المرحلة التي يقودها عبرها دليل فكري ممثل في « الميثاق » الذي رفع شعار الاشتراكية العلمية لأول مرة في تاريخ التنظيمات القومية العربية - غدت تمثل باصالة وعن جدارة الافق الثوري المضى الذي يحتضن الارض العربية من جميع أقطارها ، والفلك الوطني والقومي والاجتماعي ، الذي تقتبس الشعاع منه كل النجوم الثورية الصاعدة والسائرة في سماء الوطن العربي ، ابتداء من حركة القوميين العرب ، الى حزب البعث ، وانتهاء بغيرها من التنظيمات الوطنية الصغيرة ذات الطابع القومي .

وتبقى بعد ذلك كله ملاحظة أخيرة ، وهي أنه - كما ان لكل بلد خصوصية سياسية نابعة من طبيعة أوضاعه الداخلية ، حتى ولو كان ينتمى الى نفس الامة الواحدة ، وكما أن لحركة القوميين العرب خصوصيات ، بعد أن تطورت واصبحت عدة أحزاب وتنظيمات قطرية ، وكما أن لحزب البعث خصوصيات أيضا ، بعد أن أصبح عدة أحزاب قومية وقطرية ، فإنه كانت للجبهة القومية سمات خاصة متميزة أيضا - ومنها سمات سلبية ، انفردت بها وكادت تعزلها عن التفاعل الخصب والخلاق والحيوي مع جميع اطراف الحركة الثورية والتقدمية اليمنية والعربية العالمية ، وكادت - بالتالي - تبعدها عن مجراها العام والرئيسي ، وتدفع بها الى دروب فرعية ومسدودة الا انها بفعل حصاد التجربة المريرة والنقد الموضوعي والرفاقى من القوى والعناصر الحليفة قد أخذت تصحح مسار حركتها الثورية .

فهى - على سبيل المثال كانت تدرك أنه لانجاح للثورة اليمنية فى جزء من اليمن دون آخر ، ومع ذلك فانها لم تظهر - فى البداية - من الحماس الوطنى والاهتمام الفعلى بالساحة اليمنية كلها ما يبرهن على سلامة ادراكها هذا ، وهى كانت تؤكد أن المرحلة مرحلة تحرر وطنى ديمقراطى فى اليمن الشعبىة ، ومع ذلك فانها اتخذت - فى بعض الحالات - اجراءات بالغلة اليسارية والتطرف تجاوزت بها طبيعة وامكانية وطاقاة المرحلة ، وكانت لها - غالبا - نتائج غير ايجابية سواء على النطاق الوطنى العام ، أو حتى لدى أطراف الحركة الوطنية اليمنية فى شمال البلاد وجنوبها ، اجراءات كان مردودها المباشر توسيع الهوة بين الوضع فى شمال البلاد وجنوبها ، واقامة جدار عازل بين شطريها - ولو لم يقصد ذلك أحد - وتصعب امكانيات تحقيق الوحدة اليمنية ، حتى نظر قطاع واسع من المثقفين

التوريين اليمنيين الى هذه الاجراءات بانها لاتعدو أن تكون محاولات « هروبية » من الوحدة الوطنية اليمنية ، أكثر منها اجراءات اجتماعية مدروسة ومتفق عليها مع فصائل الثورة اليمنية .<sup>١٠</sup> وهي بينما كانت تقبل بعقد ( اتفاقيات ) للوحدة اليمنية مع الجهات الرسمية في شمال البلاد ، فانها لم تعمل - شعبياً - على خلق وحدة وطنية وثورية مع فصائل العمل الوطني في شمال البلاد ، تقرب بها يسوم الوحدة اليمنية ، وتجعله ممكناً بالفعل ، وهي بينما كانت تدعو على النطاق العربي - الى جبهة عربية تقدمية - فانها لم تتقبل أو تتحمس حتى الآن على الاقل لفكرة اقامة جبهة وطنية ديمقراطية على نطاق اليمن كلها ، تقود عملية توحيد اليمن ، وعملية تقدمها الاجتماعي ، وبدلاً من أن تلعب دورها الوطني والتوحيدي القيادي المفترض على امتداد القطر اليمني ، وعلى مستوى جميع منظماته وقواه الوطنية ، فانها ركزت جهدها على ادماج المنظمات السياسية في جنوب البلاد في اطارها حتى تحقق لها ذلك ، ولم تبذل حتى الآن ذات القدر من الجهد في اتجاه توحيد القوى الاشتراكية اليمنية في حزب اشتراكي طليعي واحد ، وفي عزل العناصر « الانعزالية » ، والتيسارات الاقليمية في صفوفها وخارجها حتى يتيسر حسم هذه القضية الوطنية اليمنية بالذات .

### ضرورة قيام جبهة وطنية يمنية عريضة :

واذا كانت مصر تعيد النظر في النظام الداخلي للاتحاد الاشتراكي وتقيم التنظيمات السياسية داخله بحيث يتسع لجميع القوى الوطنية على اختلاف منابعا الاجتماعية ومواقعها الفكرية وبحيث يقترب الاتحاد الاشتراكي باعادة ترتيب مواقع القيادة من صيغة تحالف وطني حقيقي ، وحتى لا يتاح - حسب تعبير الرئيس السادات في اجتماعه بمجلس الوزراء في ١١/٥/١٩٧٤ -

« لقوة من قوى التحالف الخمس أن تفرض رأيها منفردة على بقية قوى التحالف ، حتى يسير العمل في توافق وانسجام ، وحتى يكون « سبيلنا هو الحوار والمناقشة وتبادل الرأي داخل اطار التحالف » ، واذا كانت تقوم في العراق وسوريا ولبنان جهات وطنية تقدمية ، واذا كان منحى التطور كله يسير في هذا الاتجاه الطبيعي والحتمي - الذي من داخله وعبر النضال المشترك يمكن انبثاق الحزب الطليعي - فان الجبهة القومية مطالبة اليوم بالعمل

على اقامة مثل هذا التحالف الديمقراطي أو الجبهة الوطنية على نطاق القطر اليمني وقيادة عملية توحيد القوى الاشتراكية في حزب طليعي واحد ، من حيث انها تمثل الفصيل الثوري الرئيسي والاساسي بين جماع قوى الحركة الوطنية اليمنية ، وعليها تعلق آمال كبيرة فيما لو وعت دورها التاريخي هذا جيدا ، ونهضت بواجبها الوطني والقومي والاممي على أفضل وجه ، وربطت نفسها - باديء ذي بدء ومن أجل تحقيق ذلك كله ربطا محكمة بالحركة الثورية اليمنية كلها ، وعملت على توحيدها ، ومضت بها ومعها نحو احباط مخططات الاستيعاب لشمال اليمن والأحتواء لجنوبه ، ونحو اقامة دولة اليمن الوطنية الديمقراطية ، المركزية الموحدة ، التي تشكل لبنة اساسية في صرح الوحدة العربية الديمقراطية الشاملة .

- 
- (١) اخبار اليوم القاهرية ١٩٧٠/١٠/٣ ، ذكرياتي مع عبدالناصر ، عبدالله السلال .  
 (٢) الاهرام ١٩٦٨/٩/٢٠ .  
 (٣) الاهرام ١٩٧٢/٥/٢٩ عودة الربيع الى حركة التحرر العربية ، لطفى الخولي  
 (٤) الاهرام ١٩٧٢/٦/٤ خواطر ليلة ٥ يونية ، أحمد بهاء الدين .  
 (٥) الجمهورية القاهرية ١٩٧٢/٦/٨ ، البترول العربي امضى سلاح في المعركة ، مصطفى كمال .  
 (٦) الجمهورية ١٩٧٢/٦/١٠  
 (٧) الاهرام في ١٦/٤/١٩٧٢ ، قضايا ليبية ، فهمي هويدي .  
 (٨) من بيان ١٩٧٢/٣/٢٨ لمحسن العيني رئيس حكومة صنعاء السابق .  
 (٩) عبد الناصر والعالم ، محمد حسنين هيكل ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٢٩٦/٢٩٧  
 (١٠) المصدر السابق .  
 (١١) جريدة ١٤ أكتوبر الصديقية ، ١٩٧١/٩/٢٩ .  
 (١٢) روز اليوسف ١٩٧١/٥/٨ .  
 (١٣) الاهرام ١٩٧١/٩/٢١  
 (١٤) الاهرام ١٩٦٩/١٢/٥ ، ١٩٧٠/١/٩ ، ١٩٧٠/١/٩ ، ١٩٧٠/٩/٤ ، ١٩٧٠/١١/٢ ، ١٩٧١/٢/١٩ ، ١٩٧١/٧/٧ ، ١٩٧١/١٠/٢٢ ، ١٩٧٢/١/١٤ ، عبد الناصر والعالم ، محمد حسنين هيكل ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٤٩ .

- 
- (١٥) عبد الناصر والثورة ، من اقوال الزعيم الخالد ، يوليو ١٩٥٢ ، سبتمبر ١٩٧٠ ، ص ٢٨٧/٢٨٨ .
- (١٦) الناصريه ، دراسة في فكر جمال عبد الناصر ، عبد الله امام ، القاهرة ص ٤٣٥ .
- (١٧) الجمهورية القاهرة ١٩٧٢/٣/٢ .
- (١٨) الجمهورية ١٩٧٢/٦/١٥ .
- (١٨) الجمهورية ١٩٧٢/٦/١٥ ، عدوان لم ينته ، محمد عودة .
- (١٩) مجلة الاسبوع العربي البيروتية ، ١٩٧٢/٤/٣ ، من حديث لمحسن العيني رئيس حكومة صنعاء السابق . مهما كانت ملا حظاتنا على سياسة الاخ العيني وهو لى السلطة فانه وهو الان خارجها يستطيع ان يلعب دورا سياسيا مفيدا ، وان يركز على قضية تنفيذ اتفاقية الوحدة التى كان طرفائى عقدها اثناء تولية مسئولية الحكومة .
- (٢٠) برنامج التنظيم السياسى ، الجبهة القومية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية عدن ، مارس ١٩٧٢ ص ١١٧ فما بعد .
- (٢١) الميثاق ، ٣٠ من يونية سنة ١٩٦٢ ، القاهرة ص ٦١ .
- (٢٢) عبد الناصر والثورة ، ص ١٦٩ .
- (٢٣) الناصرية عبد الله امام ص ٣٧ .
- (٢٤) الناصرية عبد الله امام ، القاهرة ١٩٧١ ص ٤٧٤ ( من حديث لعبد الناصر امام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ص ١٧٤ .
- (٢٥) الطلبة يوليو ١٩٧١ ( القاهرة وموقعها من النضال العربى ) د . محمد على الشهاوى .
- (٢٦) الامرام ١٩٧٢/٤/٢٨ .
- (٢٧) جريدة ١٤ اكتوبر العنينة ، ١٩٧٢/٤/٣٠ .



## عبد الناصر وكسر الحلقة الضعيفة في اليمن

ليست هناك ثورة عربية جمعت الخاص والعام ، والجزئي والكل ، والقطري والقومي ، في ذاتها كما جمعت ذلك كله ثورة اليمن . وبتعبير آخر ، ليست هناك ثورة عربية في أي قطر عربي ، أكدت « وحدة » الثورة العربية ، و « قومية » المعركة العربية ، كما أكدت ذلك ثورة اليمن !

ففي الوقت الذي كانت فيه قوى الاستعمار والرجعية تطبق بكلتا اليدين على المركز القيادي للثورة العربية — مصر — بعد نكسة انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة — نواة دولة الوحدة العربية الأولى في تاريخ العرب المعاصر — وبعد مؤتمر شتورة الذي تحولت به جميع الدول العربية تقريبا إلى طسوق حديدي محكم يكاد يخنق عنق طليعة وقائدة النضال العربي — القاهرة — في هذا الوقت الدقيق والخرج بالذات انفجرت — بدعم حاسم وقوى من القاهرة ذاتها — ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ في صنعاء ، من حيث لم تحتسب كل قوى الرجعية والاستعمار ، وانفجر في العام التالي مباشرة امتدادها الثوري والحيوي ثورة ١٤ أكتوبر في جنوب البلاد ، وانتقلت ثورة يوليو المناضلة والثورة والقومية العربية معها بذلك كله وعلى الفور من مركز الدفاع إلى مركز لهجوم .

وعبر الخمس سنوات الأولى من عمر الثورة واليمن — من صعه في أقصى الشمال إلى عدن في أقصى الجنوب — ساحة صراع لاهب وضار وغير مسبوق في تاريخ المنطقة العربية الحديث بين قوى الاستعمار القديم والجديد والرجعية ، وبين قوى التحرير والتقدم العربية ، المسنودة كذلك بدعم المعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي .

ومنذ حملة محمد على الكبير — وإلى مصر — في القرن التاسع عشر لم تعرف الجزيرة العربية حدثا كهذا الحدث القومي الذي اهتز له كيائها كله ، بل واهتزت به المنطقة العربية كلها ، واضطرعت على ساحته قوى محلية وعربية ودولية شديدة متباينة المصالح والرؤية ، وتعلق به مسار الثورة العربية ، بل والمصير العربي ، ومسير دور القاهرة بالذات ازاء المنطقة العربية كلها . . . وكما راهنت القوى الاوربية كلها على دحر الجيش المصري من اليمن وكل جزيرة العرب أيام محمد على ، وقتل هذا التحسرك « القومي » المبكر الذي شرعت القاهرة في قيادته منذ هذا الوقت ، وارجاع مصر الى حدودها الاقليمية ، والحيلولة بالتالي دون نموها الطبيعي وامتداد قدامتها التاريخية ، فان كل القوى الاوربية — مضافة الى الامبريالية الامريكية ، وكل الاحلاف الاستعمارية ، وكل الدول الرجعية قد اجتمعت امرها في عهد عبد الناصر على أن تجعل اليمن « مقبرة » القومية العربية ، ومقتل الناصرية ، ومكان هزيمة مصر ، ونقطة ارتداد مداهم الثوري الى الخلف وانطوائها — من ثم — على نفسها وانكفائها على مداواة كلومها ولعق جراحها ، وانتهاء دورها التاريخي والقومي العربي نهائيا وإلى الابد !

ومع ذلك فقد تحطم هذا المخطط الامبريالي الرجعي الواسع المدى على صخرة المقاومة الضارية والباسلة التي اظهرتها الثورة اليمنية والعربية بقيادة القاهرة ، وبفضل استراتيجية النفس الطويل التي اعلنتها عبد الناصر والتي اكد فيها العزم القاطع على البقاء في ساحة الصراع القومي في اليمن لعشرين سنة قادمة « حتى نقطع نفوسهم » جميعا !

من هنا كان وضع الخطة الاستعمارية الصهيونية الرجعية الجديدة القاضية بضرب مركز وقلب الحركة الثورية والقومية العربية — مصر — حتى يصاب بالتوقف أو الخلل ، أو حتى تضطر قاعدة الثورة العربية ليس الى سحب قواها الطبيعية من اليمن ومن منطقة المصالح الاستراتيجية والبتروولية الفريدة على امتداد الخليج العربي التي كانت قد غدت تحت التهديد المباشر لهذه الثورة الجائحة وانما أيضا « للخروج » من القضية القومية نهائيا ، كما خرج منها من قبل محمد على باشا !

نعم : لقد هزمت مصر عسكريا في حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ الصهيونية الامبريالية الفادرة ، واضطرت بالتالي الى الخروج من

اليمن ، ولكن لم تسقط القاعدة ولا توقف نبضها القومي والثوري ، ولم تخرج مصر من دورها العربي ، ولا من مسئوليتها التاريخية ، كما أن آثار ما قدمته لكل قطر عربي ظل محفورا في كل أرض ، ومنقوشا على كل وجدان .

ومن هنا خطأ مثل تلك التقييمات القاصرة والجاهلة والمفرضة التي تصور دور مصر في اليمن وفي المنطقة العربية كلها بأنه لم يكن سوى عبث في عبث !

وليس هناك ما هو أبلغ في تقييم دور ثورة يوليو القومي والتاريخي في اليمن وفي الوطن العربي كله ، وفي الرد على أمثال هؤلاء المتطاولين على أمجاد وانجازات الثورة العربية المعاصرة والمشوهين لجلال هذا الدور المصري القيادي فيها من تلك الكلمات المحددة والحاسمة التي تضمنها خطاب الرئيس العربي أنور السادات في الذكرى الرابعة لرحيل الزعيم الخالد جمال عبد الناصر والتي جاء فيها :

« عندما تبينت الثورة الهوية العربية لمصر ، وحين نقلت هذا الانتماء من مجرد اجتماع الحكام الى حركة شعبية واسعة للقومية العربية ، تربي عليها جيل بأكمله من المحيط الى الخليج . . . لقد كلفنا هذا أيضا معارك كثيرة ، ومنا من يضع قوائم حساب لما قدمناه وما بذلناه في هذا المجال ، ولكن فوق ان هذه القضايا المصرية لا توضع لها قوائم حساب ، الا أن نضالنا على هذا المستوى كان له دور بارز في المكانة التي تحتلها الامة العربية اليوم » .

وفوق ذلك كله فانه سقط بالنسبة لليمن والى الأبد نظام كهنوتي اقطاعي رجعي ظل يحكم اليمن — أو بعضا منها — لأكثر من ألف عام ، وخرج من جنوب البلاد نظام استعماري ظل يهيمن عليه لأكثر من قرن وربع قرن ، وقامت هنا وهناك جمهوريتان وطنيتان ، بقطع النظر عن أي انحصار ثوري مؤقت وزائل في هذا الموقع أو ذاك ، وغدا جنوب البحر الأحمر ذو الموقع الاستراتيجي الفريد والعالمي الأهمية — شأنه شأن شماله — في قبضة الثورة اليمنية والعربية التي لا تتراخى ولا تتزعزع ! .

حقا أنه أصاب الثورة اليمنية من النكسات والهزائم ما يفوق تلك النكسات والهزائم التي تعرضت لها الثورة العربية وأنظمتها الوطنية ، ولا سيما بعد اختلال توازن القوى نتيجة انسحاب مصر من اليمن ، وحقا أن ثورة يوليو الرائدة والمجاهدة لم توفق قبل خروج

جيشها الشجاع من هناك من الاسهام الجاد والباقي في وضع تلك الصيغة التنظيمية والسياسية الملائمة والمرتجاة التي يلتزم بمثلها شمل فصائل الحركة الوطنية اليمنية ، والتي تتمكن بها من ملء الفراغ الثوري الذي تركه خروج مصر من ساحة اليمن ، ومن المضي بالثورة اليمنية قدما الى الامام في اتجاه تحقيق مهامها التاريخية والجليلة المتمثلة في تحقيق وحدة اليمن السياسية ، واستكمال تحريرها الوطني ، والسير بها في طريق التقدم الاجتماعي ، والنهضة الحضارية الشاملة .

وحقا ان تلك القوى الاقطاعية والكومبرادورية المفككة والمهترئة التي كانت قد تراخت قبضتها ، وانخلعت جذورها الطبقية من باطن التربة اليمنية ، بسبب ارتباطها وعمالقتها المكشوفة للاستعمار البريطاني ، وتحولها الى ظل باهت وخادم ذليل له ، منذ عقدت معه معاهدات الحماية والاستشارة الشهيرة والمخجلة ، وباعت نفسها ولوطن معها بأبخس الأثمان ، قد امكن - نتيجة لذلك كله - دحرها بسهولة ويسر من جنوب البلاد ، مع اندحار الاستعمار الانجليزي ، فاختفت معه - بالتالي - كما يختفي الشيء وظله ، بينما بقيت على الناحية الاخرى من اليمن تلك القوى الاقطاعية الاخرى الضاربة جنورها في باطن التاريخ والقبلية اليمنية العتيقة والمتعاسكة والمتكلسة، وغدت حصنا حصينا تحتمي به كل فلول الاقطاع والكومبرادورية في طول اليمن وعرضها .

ولكن هذا « الاقطاع القبلي » العتيق والطامح الى تطوير وتمتين اوضاعه الطبقية والاقتصادية ، والظاميء الى السلطة السياسية التي استأثرت بها عنه طيلة عدة قرون فئة محدودة من الكهنوت الاقطاعي الامامي ، وذلك الطراز من « الاقطاع الزراعي » المحروم - منذ سقطت آخر دويلة له تحت سنانك الغزوة التركية الاولى - من كل شيء ، والمتحلب بالتالي لعابه الى كل شيء ، وتلك الشريحة الهشة من البرجوازية الكومبرادورية الذيلية المتلهفة الى أي فتات متساقط من موائد الاقطاع والاستعمار معا ، ان هذه القوى المتخلفة المسنودة بجهة واسعة من الرجعية والاستعمار ما كان لها جميعا - مهما بلغت قوتها ووحدتها ، ومهما اتسع حلفاؤها - ان تستطيع استعادة زمام الامور تماما ، لو ان قوى الثورة اليمنية نفسها قد وعت مهمتها النضالية والتاريخية وعيا وطنيا ناضجا وسليما ، ولو أنها قد بادرت فور انسحاب الجيش



المصري من اليمن الى سد المكان الشاغر الذي تركه باعلان وحدتها الوطنية ، وبتشكيل جبهة نضال وطنى عريضة موحدة بامتداد الارض اليمنية ، ورص وتوحيد جماهير الشعب اليمنى وجرها خلفها وتقدم مسيرتها الكفاحية ، ولوانها قد وضعت منذ استقلال عدن بالذات « استراتيجة وطنية » واحدة تجتمع عليها كلمتها ، وتتحول بها ثورة ٢٦ سبتمبر و ١٤ اكتوبر الى ثورة يمنية واحدة ، وتفسدو بها اليمن كلها ساحة نضال مشتركة ، وتناضل تحت لوائها الحركة الوطنية اليمنية الموحدة من أجل اقامة دولة اليمن الحديثة الموحدة الوطنية الديمقراطية الناهضة المتقدمة .

ولو ان شيئاً ما من هذا القبيل قد حدث ، لما توقف سير الزمن والكفاح عند قيام جمهورية يمنية هنا ، واخرى هناك ، يقوم بينهما من الخلاف الاجتماعى والنزاع السياسى ما لو بقى واستمر لتحول الى خطر داهم ، لا يهدد كل اثر لثورة سبتمبر ، وكل منجز لثورة اكتوبر فقط ، وانما يهدد ايضا الكيان الوطنى والهيكل الاجتماعى والوحدة الشعبىة للقطر والشعب اليمنى !

ولو ان شيئاً مامن ذلك قد حدث ، لما بقى الوطن اليمنى المقسم — والضعيف بالتالى — مطمعا سهلا لكل طامح وطامع من خارج البلاد ، ولما بقيت كل منظمة وطنية يمنية منقسمة الى منظمتين ، فزادت البلاد بذلك ضعفا على ضعف ، لما تحول — على سبيل المثال — « فرع » حركة القوميين العرب فى اليمن الى « فرعين » دون أن ينتهى اثر ذلك حتى اليوم رغم تحول وتطور هذه الحركة واختفاء اسمها من الاساس و « فرع » البعث فيها الى « فرعين » آخرين ، وفق نفس التجزئة الاقليمية ، والاتحاد الشعبى الديمقراطى ذو الاتجاه الماركسى المبكر الى منظمتين « اقليميتين » ولما ظلت الحزازات والحساسيات الموروثة منذ الخمسينيات — أيام التخاصم والتقاتل بين هذه القوى فى الساحة العربية — تقيد وتشل أطراف هذه الحركة الوطنية اليمنية الممزقة المفتتة وحتى الساعة عن الاتفاق والاتحاد ، او حتى عن العمل الوطنى المشترك ضد نفس الاعداء ولنفس الغايات الثورية العظيمة ، ولما ظلت — نتيجة لذلك كله — عاجزة عن تجسيد انتمائها الوطنى الواحد الى ذات الشعب والقطر اليمنى الواحد !

لقد تقدم وعى المنظمات الثورية اليمنية « الاممى » وغدت تتجادل — وبالصوت العالى — فيما بينها حول مدى انتماء كل منها

الى « الدولية الثالثة » او « الدولية الرابعة » او المساوية ، او الجيفارية ، او الماركوسية « من هيرت ماركوس » وغيرها من مدارس اليسار الجديد ، ولم يبق الا أن نسمع — حتى بعد ذلك كله — عن مدى انتماء كل منظمة منها الى قضية اليمن الاولى والبسيطة والبديهية ، والتي لا تحتاج الى قسراءة مطولات ولا موسوعات ولا حواشي او شروح معقدة لفهمها واستيعابها والنضال من أجلها : قضية وحدة اليمن الثورية والوطنية والسياسية !  
ان ألف باء هذه القضية هو « الوحدة الوطنية » لقوى الثورة اليمنية ذاتها ، وصولا — فيما بعد — الى « وحدة » اليمن القطرية والسياسية ، ثم الى « وحدة » العرب القومية ، ومن ثم الى « وحدة » الانسانية .

وهل من حاجة الى القول بأن التغلب على التخلف المريع في اليمن ، وانجاز الثورة الوطنية الديمقراطية فيها بنجاح واقتدار ، وتفويت الفرص على القوى المشبوهة من الاستمرار في اللعب على التناقضات الثانوية بين قوى الثورة ، وقطع الطريق على التيارات الرجعية المختلفة من الامعان في المزايدة والمناورة على القوى الوطنية بقضية الوحدة اليمنية وضرب سياسة الاستيعاب والاحتواء المرجعية العربية وان تحقيق نهوض اجتماعي واقتصادي وثقافي وحضاري شامل لليمن ، ان كل ذلك متوقف على وحدة القوى الوطنية والشعبية في اليمن ، على تحول ثورة ٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر الى ثورة وطنية يمنية واحدة ، وعلى تحقيق دولة اليمن الحديثة الموحدة ، الوطنية الديمقراطية ، الناهضة المتقدمة !

تلك هي — في الواقع عبرة التاريخ ، وذلك هو درس الثورة الاول ، وهو منطق الوطنية اليمنية الصامية ، وقانون الحقيقة الموضوعية الراهنة ، وحتمية المستقبل كله .

وذلك هو ايضا خير جزاء ثوري تقدمه اليمن ويقدمه ثوارها لثورة ٢٣ يوليو الرائدة وللثورة العربية كلها ، مقابل ما قدمته من دعم قومي شامل من أجل بقاء وانتصار الثورة اليمنية ، وهو افضل وأرشد خطوة تتخذ في اتجاه تعزيز مواقع الحركة الوطنية العربية ، وتوحيد الامة العربية ، وفي اتجاه تمتين وحدة الكفاح لكل قوى الثورة العالمية !

## انسحاب الجيش من اليمن ولم ينسحب عبد الناصر

عندما نجحت قوى الرجعية والاستعمار في فك وحدة مصر وسوريا ، ووجهت بذلك ضربة خطيرة الى حركة التوحيد القومي وانحسرت من جرائها موجة المد الثوري العربي ، وبدأ أن قاعدة وقائدة حركة التحرر الوطني ، والقوى ، والاجتماعي — مصر — قد وقعت هي نفسها تحت الحصار ، وأوشكت على الاختناق كانت اليمن هي الرئة التي تنفست منها القلعة المحاصرة ، والثورة العربية المنحسرة ، وكانت الميدان الذي دارت فيه جولة أخرى بين قوى السيطرة الاستعمارية والرجعية ، وقوى التحرير القومية .

هكذا كان ميلاد ثورة ٢٦ سبتمبر في صنعاء ، وتلك كانت أبعادها منذ البداية ، فلم تكن ثورة اقليمية تستهدف خلع عرش الأسرة العتيقة الاثرية من بيت حميد الدين ، بقدر ما كانت تحركا قوميا شاملا ضد جبهة الرجعية العربية والاستعمار التي كانت تمتد من سوريا عبر الرياض الى صنعاء فعدن ، كانت ثورة سبتمبر اختراقا ثوريا وجريئا لهذه الجبهة، العريضة والمعادية ، وتحطيمًا شديدًا لأكثر حلقاتها انغلاقًا وجهنمية وكانت عملية هز قوية ، وخلخلت عنيقة للجبهة كلها ، بكل حلقاتها ، وعلى طول امتدادها ، كانت ثورة سبتمبر هي الرد الثوري والفوري، الحازم والقوى على الدوائر الاحتكارية، والاقطاعية التي ظننت انه باخراج مصر من سوريا يكون وجه المشرق العربي قد خلا الا منها، وتكون ساحته قد صفيت وصفت لها، وتكون حركة البعث ، والتوحيد ، والتحرير القومي التي تصدى المناضل الهمام عبد الناصر لقيادتها قد دمرت ، أو أصيبت بنكسة مميتة . كانت وثبة سبتمبر — اذن — انقضاضة قومية بأسلة على حصص الاستعمار في جزيرة العرب ، وهجمة وطنية مظفرة على قلاع الرجعية فيها ، كانت عملية اقتحام شجاعة وغير مسبقة لغاية الوحوش الضارية التي لم يستطع أو يجرؤ أحد قبل عبد الناصر حتى

على الاقتراب منها . قبل سبتمبر كانت اليمن والجزيرة العربية كلها غارقة في بحار من الظلام الدامس ، ومن الظلم المهيمن ، ورازحة تحت حكم استعماري — استبدادي قاهر غشوم . قبل سبتمبر كانت اليمن والجزيرة منطقة نفوذ امبريالي مغلقة ، ودائرة تحكم اقطاعي مغلقة — ولذلك فانه ليس من المبالغة في شيء القول بأنه بثورة سبتمبر سددت طعنة نجلاء الى مجمل النظام الاستعماري — الاستبدادي الذي كان مخيما على مختلف انحاء الجزيرة ، فبهذه الثورة كسرت دائرة من اخطر دوائر التحكم الاقطاعي ، وبها زلزلت دوائر ومناطق نفوذ وتحكم أخرى .

ولقد كانت اليمن بذلك هي نقطة البدء الجديدة لمسيرة النضال العربي بعد أن سدت طرقها ، أو بدا انها قد سدت بنكسة الانفصال في سوريا ، وكانت منطلق الحركة القومية والثورية العربية كلها نحو استعادة زمام المبادرة والمبادرة والفعل ، وميدان الالتحام الحقيقي والصادق مع قوى الرجعية العربية والاستعمار ، وموطن الميلاد الثوري ، والتجلى التاريخي ، والظهور العلني لحركة القومية العربية ، باعتبارها — على عكس ما كان يروج من قبل — حركة ثورية تقدمية مناضلة ، تستهدف تخليص الوطن العربي من هيمنة الاحتكارات الامبريالية ، ومن سطوة الانظمة الاقطاعية — القبلية الدائرة في فلكها ، وتتجه نحو ضرب التجزئة الاقليمية المفروضة بحراب الاستعمار والاقطاع، وضرب الرأسمالية الكومبرادوية وتتطلع الى اقامة دولة قومية كبرى موحدة ، متحررة متقدمة ، ديمقراطية ثورية .

في هذه العملية الثورية كانت اليمن هي الشاهد الحق على هذه المواجهة التاريخية لحركة القومية العربية ، ومحك الاختبار على مدى ثورتها ، وصدقها الموضوعي ، وأصالة ما تمثله ، وتعبر عنه .

وفي هذه العملية الثورية كان عبد الناصر هو الرائد المبصر لحقيقتها ، المستشف لجوهرها ، وكان هو القائد المؤهل لادارتها ، وخوض مجاهلها ، وكان هو الفارس المغوار الذي لا يتراجع أمام ضراوة العدو ، والذي يعلن على الملأ ولكل قوى الاستعمار والرجعية التي تكالبت عليه ، وأرادت استنزافه ، وافشال دعوته وحركته القومية في اليمن ، بأنه لن يلقى سلاحه المسلول المشتبك في معركة



الامة العربية الدائرة على ارض اليمن ، حتى ولو ظلت محتدمة  
الاوار لعشرين حولا اخرى .

بثورة اليمن ، وبالمعارك الساخنة التى دارت على ارضها ،  
وبالدماء اليمنية والعربية الغزيرة التى اختلطت على ترابها ،  
وبالمواجهة الشاملة والكاملة التى ارتبط فيها مصير الثورة القومية  
الام فى مصر بمصير هذه الثورة الوطنية فى اليمن فان مجرى جديدا  
للنضال القومى شق وحفر ، وثورة عربية حققة ولدت وشمخت ،  
وقيادة قومية تاريخية تجلت وسطعت .

فى ذلك كله برهنت القاهرة — كما لم تبرهن من قبل — على  
انها عن حق وعن جدارة مركز الثقل التاريخى والقومى والحضارى  
والثورى لحركة البعث والنهوض العربى المعاصرة ، ولحركة  
التحرر الوطنى والقومى العربية الفتية ، وفى ذلك كله لم يظهر  
عبد الناصر كبطل قومى لامع فحسب ، وانما كان اضافة الى ذلك  
— بالنسبة للجزيرة العربية بالذات التى كانت واقعة فى قبضة  
الاستعمار والاستبداد الحديدية — « فاتحا قوميا وثوريا » لا يشق  
له غبار ، « ورسول انقاذ » ليس له نظير « وداعية بعث » لا ينازع  
« وسينف » تحرير لايفل « ورمز » امة حية اصيلة ، أدركت بوعيتها  
الثورى والتاريخى والحضارى مقومات وجودها ووحدتها ونهضتها  
ومكانتها بين الامم ، ودورها فى حياة عصرها ، فسعت الى تحقيق  
ذلك كله والنهوض به عبر خلق وتجسيد كيان قومى دولى متكامل  
سامق ، وعبر اشعال ثورة وطنية وقومية واجتماعية لاهبة ،  
شاملة عارمة .

يقولون : فكيف انتكست ثورة اليمن ، ولم انسحب عبدالناصر  
منها مهزوما ؟

ونقول : لم تنتكس ثورة اليمن ، ولن تنتكس ، ولم ينسحب  
منها عبد الناصر ولن ينسحب !

فما كانت ثورة اليمن مجرد حكومة وطنية فى صنعاء ، ولا كان  
عبد الناصر مجرد جيش رابط هناك . . كانت ثورة اليمن تيار عصر  
وحركة تاريخ ، وروح شعب ، ويقظة وعى ، وصحوة وجدان ،  
وهبة فؤاد ، وتلك كلها باقية ، بل واخذة فى النمو والتوسع  
والاطراد . . وكان عبد الناصر فجر امة ، وصيحة ثورة ، واطلالة  
مستقبل ، وبشارة فال ، واشراقة حقيقة ، وطلعة الهام ، وكل

أولئك باق في اليمن ، بل وأخذ في الاتساع ، والامتداد طولا وعرضا .  
وللذين لا يرون من سبتمبر الا الردة الانتقالية السوداء التي  
وقعت ضده في نوفمبر ١٩٦٧ ، والا الرموز الاقطاعية الكالحة التي  
جاءت بها ، والتي حاولت محاكمة تاريخ الثورة ، ومحاكمة عبدالناصر  
في قبره معها ، واعتبرت مضيها في الخط الوطني الناصري خروجاً  
على تقاليد اليمن واعرافها ، وانحرافاً عن مسار ماضيها الاقطاعي  
« المجيدة » والتي اعتبرت خروج عبد الناصر الى اليمن عملاً  
من أعمال الاستعمار ، افضل منه وأولى اباحة البلاد للاستعمار  
الامريكي والرجعية السعودية ، والتي تعطل حركتها الرجعية التي  
قامت بها مع يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٧ المشؤم ، وامسكت ولسوت بها  
عنق الثورة ، وفرضت بها دكتاتوريتها الطبقية الفاشية الحقةاء  
بأنها عودة الى ماضي السلف الصالح ، لهؤلاء نقول : ان النكسات  
المؤقتة والعبارة في تاريخ الثورات أمر اعتيادي لا غرابة فيه ، مهما  
صاحبها من عمليات قمع وبطش بالثوار وسال خلالها من دماء ،  
وانتهكت أثناءها من كرامات ، فالنكسات لا تعدو أن تكون جملاً  
اعتراضية في كتاب الثورات ، وفواصل في جملها ، وذبذبات مرتعشة  
زائلة في تيارها الهادر المتدفق الكاسح ، ولا تعدو في آخر الامر أن  
تكون محاولات رعناء عابثة لاتوقف حركة ، ولا تعطل مسيرة ،  
ولا تدفع بالتاريخ خارج مجراه الطبيعي والحتمي .

فكل حركات الردة التي قادتها قوى الاقطاع الاوربي ضد  
الثورة البرجوازية الفرنسية — على سبيل المثال — ذهبت ادراج  
الرياح ، وبقيت الثورة الفرنسية علامة مضيئة من علامات التاريخ  
الفرنسي والاوربي والعالمي معا .

وذلك هو حال كل ثورة مضادة على الاطلاق ، من قبل ومن  
بعد . فالثورة المضادة غير قادرة على البقاء والاستمرار والنماء  
مهما امتلكت من وسائل القهر والفتك ، لانها مضادة لحركة التاريخ ،  
ولانها تعترض سياقة الطبيعي ، ولانها تريد أن تكون تلا من الرمل  
في وجه نهر الحياة الفياض المنسدف ، نهر التجديد ، والتطوير ،  
والثورة .

وللذين لا يرون الا الاعلام السوداء التي رفعت مع نوفمبر ١٩٦٧  
على صواري صنعاء ، ولا يمدون نظرهم الى أبعد وأكثر من ذلك ،  
فيبصرون حركة الجماهير الشعبية هناك ، ولا يتحسسون دبيب  
الثورة الذي لا يتوقف ولا يتجمد ، لهؤلاء نقول : فلتديروا النظر نحو

عدن ، حيث اعلام الثورة الخفاقة الشامخة ، اعلام ثورة ١٤ اكتوبر  
التي لم تستطع اسقاطها كل رياح الحرب الاقطاعية الاستعمارية  
الساخنة .. الجامعة التي هبت ضدها والتي ماتزال تهب عليها  
وبأشكال مختلفة حتى الساعة .

فثورة ١٤ اكتوبر التي انحدرت من صلب الثورة الام السبتمبرية  
والتي تمخضت بها الحركة الوطنية اليمنية طويلا ، والتي كانت في  
نفس الوقت ماثرة خالدة من مآثر الفتح الناصري الثوري ليمن  
الاستبداد والاستعمار ، والتي تمثلت تجارب النضال العربي ،  
واحتكت بمختلف تياراته ، وارتوت من شتى ينابيعه ، والتي هضمت  
ذلك كله واعتصرته ، وادارته في كيانها ، وتخلقت به ، وخرجت منه  
ظاهرة ثورية جديدة آخذة في النمو والتبلور والامتداد ، هذه الثورة  
اليمنية التي تدمم بها اليوم عدن هي اجابتنا ، اجابة اليمن كلها  
على المتسائلين عن مصير الثورة والثورية في جزيرة العرب ،  
واجابتنا على المشفقين والمتباكين على مال ثورة اليمن ، وعلى  
الجهد العربي « الضائع » الذي بذل في سبيلها !

لعلنا نقول — بعيدا عن كل ادعاء اجوف ، وفخار عقيم — ان  
الثورة العربية تحت قيادتها الناصرية الشجاعة لم تؤثر في بلد  
عربي كما اثرت هنا في اليمن ، ولم تثمر في قطر ، كما اثرت في  
العربية السعيدة ، ولعلنا نقول ايضا ان الثورة العربية بتياراتها  
اليسارية المختلفة لم تنعكس وتتبلور وتتمحور في منحى ثوري  
تقدمي ديمقراطي ثابت ورصين ، كما انعكست وتبلورت وتمحورت  
هنا في اليمن .

وهل هناك من حاجة الى الرجوع الى ما جرى ويجري اليوم في  
اليمن للاستشهاد به على صحة هذا القول .  
لقد خرج الجيش المصري من اليمن تحت تأثير النكسة العربية  
العامة ، وكان في تقدير الرجعية العربية والاستعمار ان الثورة  
« الناصرية المصدرة » و « المفروضة » كما قيل دائما — ستخرج  
من حياة هذا البلد خروج الجيش المصري منها .

واذا كانت هذه التقديرات قد صحت — نسبيا — بالنسبة  
لشمال البلاد ، حيث تراخت الثورة اليمنية والعربية معا خلال  
الخمس السنوات الاولى من عمرها عن مواجهة اعدائها الطبقيين  
في الداخل ، وتركهم ينمون في ظلها ، حتى غدوا اكبر منها ، او اكبر

من جهازها الرسمي ، فان ثورة ١٤ اكتوبر التى استخلصت عبر ذلك كله ، وعبر الثورة العربية كلها ، لم تترك أعداءها الطبقيين ينمون ، بل لم تتح لهم حتى حق الوجود السياسى الشكلى ، وانما باغتتهم فى عقر دارهم ، وانتزعت منهم حصونهم ، وجردتهم من أسلحتهم الاقتصادية ، وسحبت الارض من تحت أقدامهم ، وتركتهم فى العراء ، ليتحولوا الى مرتزقة رخيصين ، وخدم تافهين لدى الرجعية العربية والاستعمار .

بذلك أجرت ثورة ١٤ اكتوبر عملية جراحية استأصلت بها الديدان الاجتماعية الفاسدة والضرارة التى كانت تمتص رحيق الحياة فى جسم الشعب ، فاسترد الشعب بذلك عافيته ، واستعاد شبابه واكملت قدراته على الصراع مع أعدائه الداخليين والخارجيين معا .

وذلك هو سر الاسرار فى ان ثورة ١٤ اكتوبر لم تنتكس ، وان الثورة اليمنية بها ومن خلالها لم ولن تنتكس . . . ولقد غدت ثورة ١٤ اكتوبر راية النضال المسحورة والظاهرة التى يستظل بها ، ويتحرك تحتها كل المكافحين اليمنيين ، بل وكل المكافحين فى جزيرة العرب .

فمنذ أعملت هذه الثورة سيف الاصلاح الزراعى ، والتأميم الاقتصادى ، وخلعت الطبقة الاقطاعية ، والارستقراطية الريفية ، والبرجوازية الاجنبية ، والكومبرادورية من مواقعها ، وطهرت الجيش ، والامن ، والادارة من عملاء وايتام الاستعمار البريطانى ، واقتلت الطريق بذلك على الاستعمار الجديد وعملائه ، ومنذ ثارت الجبهة القومية على نفسها ، وأحدثت بذلك ثورة فى الثورة ، ومنذ حققت الاستقلال الوطنى الناجز ، والسيادة القومية الحقة ، ومنذ ان انتهجت طريق التنمية غير الرأسمالى ، وطريق التطور الاقتصادى المستقل ، والتقدم الاجتماعى الحقيقى ، والثورة الديموقراطية الوطنية ، ومنذ سلكت سبيل العداء الصريح والمبرر للإمبريالية العالمية والرجعية العربية ، وسبيل التعاون الصادق والمخلص مع الثورة والانظمة العربية التحررية ، وحركات التحرير الوطنى العالمية ، والمعسكر الاشتراكى ، منذ فعلت ذلك كله ، والدوائر الامبريالية والرجعية لا يقر لها قرار ، ولا يهدأ لها بال ، ولا تستقر على حال .



لقد فوجئت انها أمام ثورة لاتعنو لها جبهة ، ولا يطاطىء لها رأس ، ولا يتقوس لها ظهر ، ثورة منصوبة القامة ، مرفوعة الهامة ، شامخة الانف ، شديدة الاعتزاز بكبريائها الثورى والوطنى ، ثورة هى الى التحدى والاستفزاز اقرب منها الى الثورة ، او هى ثورة استفزازية ، متحدية ، بل وممعة فى استفزازها ، وتحديها أشد الامعان بحيث لا سبيل الى مهادنتها ، او احتوائها ، او الالتفاف عليها ، ثورة لا بديل عن مبارزتها فى ميدان مكشوف ، وبأسلحة عارية ، ولا بديل عن أن يكون الصدام معها رأسا برأس وفى وضوح النهار .

وهكذا اتحدت كل قوى الاقطاع ، والارستقراطية القبلية ، والكهنونية فى جزيرة الملوك والسلاطين التابعين ، والاستعمار المتآله فى جبهة واحدة ضد جمهورية ١٤ أكتوبر الفتية الباسلة ، وانتدبت الاقطاع اليمنى ليكون فرقته الصدامية المتقدمة ، وجعلت من شعار الوحدة اليمنية راية لهذه الحرب الاقطاعية — القبلية الاستعمارية الرجعية التى شنت فى ٢٦ سبتمبر ١٩٧٢ ولمدة شهر تقريبا ضد النظام الوطنى الديمقراطى فى اليمن الشعبية .

وبذلك دخلت قوى البطش والطغيان الامبريالية والاقطاعية فى معركة حياة أو موت مع حصن الثورة اليمنية فى عدن ، ولم يعد هناك مجال لحلول وسطى ، ولم تعد اليمن تتسع لنظام رجعى ، وآخر تقامى ، ولم تعد جزيرة الاستعمار والاقطاع تحتتمل وجود جزيرة ثورية على ظهرها ، او فى أحد أركانها ، ولم يعد هناك سبيل لتحقيق الوحدة اليمنية الا على جماجم رؤساء القسوى الاقطاعية والكومبرادورية ، وتحرير اليمن كلها من النفوذ الرجعى الخارجى الاستعمارى .

لقد عزمت نفس القوى الظلامية التى — حفاظا على مصالحها الاحتكارية الهائلة فى جزيرة الذهب الاسود ، وعلى عروش ملوكها وسلطينها الخاوية فيها — جاهدت حتى اطبقت بقبضتها الفادرة على عنق الثورة العربية فى القاهرة وحتى تمكنت بحركة الالتفاف الفادرة هذه من اخراج الجيش المصرى من مواقعه الحساسة التى كان قد احتلها بالقرب من منابع البترول الاسطورية فى الجزيرة ، وحتى دفعت بقوى الاقطاع اليمنى الى مراكز السلطة فى صنعاء من خلال حركة ٥ نوفمبر الانتقالية الرجعية — وأجهضت بذلك ثورة ٢٦

سبتمبر الوطنية اقول عزمت هذه القوى على ان تستكمل مهمتها غير المقدسة هذه بتصفية اليمن من اى حركة تحريرية ماتزال فيها ، وقطف اى زهرة حرية نبتت على ظهرها ، واستتصال اى جذر تورى مغروز تحت أرضها ، وتطهيرها تطهيرا تاما وشاملا ، أفقيا ورأسيا، من اى خطر تقدمى يهدد مصالحها الخاصة فيها ، وارجاعها الى حظيرة التبعية الامبريالية الكاملة ، وبسط سيادة قوى الاقطاع الهمجية عليها كلها من جديد ، وتمكين سيف الاستبداد والبربرية للرجعية العربية المسلط عليها من حولها والذي غدا يتحكم فى رقاب جماهيرنا فى شمال اليمن ، من أن يمتد بنصله الغادر والاجير الذى يقطر بدماء شعبنا اليمنى والمصرى ، الى عدن أيضا ليزبح ثورة الشعب البطل هناك ويزبح ثواره المغاوير معها فى نفس الوقت .

وفات الرجعية العربية والاستعمار ان الثورات الشعبية الحققة لا تهزم قط ، ولو اجتمعت عليها كل قوى الاعداء . . وفاتها أن ثورة ١٤ اكتوبر واحدة من هذه الثورات التى لم تبدأ بحركة انقلابية من أعلى ، وانما بدأت بثورة شعبية مسلحة مدممة من أسفل ، وانها فى اللهب شبت وترعرعت ، وبه كويت وصهرت ، ومن حمه صيغت وصنعت ، وان فرض الحرب الاهلية الاستعمارية عليها كلها من جديد ، وتمكين سيف الاستبداد والبربرية الرجعية العربية الشعبية الثورية الطويلة الامد ، وتجيد ممارستها ، وتصبر عليها وتقدر على ادارتها وحمل أعبائها ، والتصدى بها للحرب الاهلية الرجعية الاقطاعية القبلية الاستعمارية التى يراد اغراقها فيها ، والقضاء عليها بها .

لقد ثبت ان ثورة واجهت جحافل الامبراطورية البريطانية، ودخلت معها فى معارك متصلة مجيدة ، حتى أجلت جيوشها ، وحررت البلاد من رجسها ، لقادرة - وقد غدت دولة ثورية يعترف العالم كله بها ، وتمتلك علاقات ثورية متنوعة مع القوى الشعبية والانظمة التحررية العربية ، ومع حركة التحرر الوطنى العالمية ، ومع القوى والدول الاشتراكية فى العالم كله - لقادرة على خوض المعارك تلو المعارك ضد جيوش الاقطاع والقبلية المتهاوية ، وفرق المرتزقة المتساقطة ، وتكبيدها مجتمعة مصيرا أسوأ من ذلك المصير الذى لقيه جيش الامبراطورية التى لم تكن تغرب عنها الشمس . وكما تمكنت من دحر الاستعمار القديم من جنوب البلاد ،

واقامة دولة وطنية ديمقراطية متحررة فيه ، تحظى بمؤازرة واحترام كل قوى التقدم في العالم ، فانها لقادرة بتحويل اليمن كلها الى ساحة حرب شعبية ثورية ، تنخرط فيها حركة التحرر الوطني اليمنية بمجملها ، وبكل قواها الثورية والتقدمية ، ضمن جبهة وطنية ديمقراطية عريضة على اتساع اليمن كلها ، متعاونة ومتظافرة مع كل قوى الثورة في الجزيرة العربية والوطن العربي والعالم اجمع — لقادرة ليس فقط على دك حصون وأوكار التخلف والظلام التي تنطلق منها حركات الردة ، تحت قيادة الرجعية القبلية والاقطاعية ، المتحالفة مع البرجوازية الكومبرادرية الذيلية ، والتي طالما أشقت شعبنا وجرعته الامرين ، وليس فحسب على حرمانها من مجدها التافه والضائع الذي تتشبث وتحلم باقامته في لحظة غروبها واحتضارها بمساعدة الرجعية العربية والاستعمار العالمي ، وانما ايضا على تحطيم سياسة الاستيعاب والاحتواء الخارجية وعلى ضعضة مواقع الرجعية الاقطاعية في طول الجزيرة وعرضها وتهديد الامبراطورية الاحتكارية الاستعمارية فيها ، واحب طمخطات الامبريالية القديمة والحديثة المسعورة بها ، ودحر موجة الثورة المضادة المجنونة التي تعريد اليوم فيها ، بل وقادرة قبل ذلك وفوق ذلك على المضي قدما في طريق التصفية الجذرية والكلية ، للاسس المادية والمعنوية ، التطبيقية والايولوجية ، التاريخية والاجتماعية للثورة المضادة المتحركة اليوم في شمال وطننا ، والمهيمنة على اقدار صنعاء ، والتقدم حثيثا في طريق اقامة وحدة يمنية اصيلة وسليمة وتأسيس جمهورية يمنية موحدة ، متحررة مستقلة ، وطنية ديمقراطية ، تكون بحق واقتدار خطوة ثورية عملاقة ، وانطلاقة وحدوية جبارة في اتجاه بعث وتحقيق وحدة عربية شاملة ، شامخة متقدمة ، ديمقراطية تقدمية .

ولن تنجح قوى الاستعمار والرجعية حتى بعد التصالح والتعايش مع الانظمة التقليدية في المنطقة — في اخراج عدن واليمن عموما عن هذا المجرى الوطني التقدمي ، وعن هذا المسار التاريخي والحتمي ولن تتمكن من استيعابها واحتوائها ولن تعزل اليمن عن حركة التحرر العربي ، وقاعدة النضال القومي ، مصر . أن مضى اليمن على درب الثورة الوطنية الشاملة والتحامها بركبت الثورة القومية العامة ، هو المكافأة التي لم يكن ينتظر غيرها المناضل الراحل عبد الناصر بدعمه لثورة اليمن

## ثورة اليمن باقية بقاء دور عبد الناصر فيها

ليست هناك ثورة او حدث ثورى أثار من التساؤلات والخلافات مثل ماأثاره ذلك الحدث الثورى الذى فوجئ به العالم ينطلق من صنعاء فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، والذى لم تكف اذاعة أو وسيلة اعلام فى الدنيا عن تسميته باسمه الصحيح ، باعتباره ثورة وطنية ، ولم تخطئ فى تقييمه على هذا النحو طيلة الفترة التى كانت فيها اليمن مركز الاحداث العربية والتى تحولت خلالها الى ساحة صراع لاهب بين حركة التحرير الوطنى اليمنية والعربية ، وبين حركة الردة والثورة المضادة التى قادتها قوى الرجعية والاستعمار ضدها ، والتى امتدت زمنيا الى لحظة عودة الجيش المصرى الباسل الذى جاء لنجدتها ونصرتها ، عودته من اليمن فى اكتوبر ١٩٧٣ - تحت تأثير نكسة يونيو ١٩٦٧ - الى القاهرة ، لحماية قاعدة الثورة العربية هناك ، والى لحظة حدوث انقلاب ٥ نوفمبر الرجعى بعيد ذلك مباشرة ، بفعل اختلال توازن القوى بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة فى اليمن والجزيرة بعد انسحاب الجيش المصرى وبعد وقوع نكسة يونيو القومية التى ألقت ظلالها القاتمة على هذه الساحة النضالية فى اليمن .

لقد اتسعت علامات الاستفهام واستعر الخلاف أكثر حول هذا الحدث الثورى ، وحول مدى علمية ومنطقية تسميته بالثورة ، بعد سقوطه وسقوط صنعاء معه - فور خروج الجيش المصرى - ففى يد تحالف اقطاعى - قبلى ضارب ، مدعم بخلفية رجعية واستعمارية عريضة ، تحالف اتسع نطاقه فيما بعد - بمقتضى ماسمى (بالتصالح الوطنى ) بين القوى الجمهورية والملكية - باستثناء بيت حميد الدين - الذى تم فى نهاية مارس ١٩٧٠ - وضم ممثلى الرجعية القديمة والجديدة معا .

ان هذا المنحنى المنحدر الذى سارت فيه الثورة اليمنية - بعد



انتهاء الوجود القومى المباشر فى اليمن - هو ما جعل البعض يعتبر أن مقام به عبد الناصر فيها باسم دعم ثورتها لا يعدو أن يكون عملا محبطا من أعمال (تصدير الثورة) ولا يعدو أن يكون - فى أحسن الاحوال - تكرارا - بدونما اعتبار بأحداث التاريخ - لحملة محمد على الفاشلة فيها فى القرن التاسع عشر !

وكما شوهت هبة مصر القومية (المبكرة) تحت قيادة محمد على وإبراهيم باشا ، والتي استهدفت - تاريخيا ، ولو بدون وعى كامل منهما - إقامة دولة عربية موحدة ومتحررة من النير العثماني ، وصورت بأنها ليست سوى نمط نموذجي لطموح الزعامة الفردية الذى غالبا ماتقع الشعوب ضحية له وتدفع ثمنه . فقد اعتبرت انتفاضة مصر القومية الحديثة - بفضل قيام ثورة ٢٣ يوليو ومضيتها تحت قيادتها الناصرية فى حمل راية التحرير الوطنى ، والتوحيد القومى ، وفى مطاردة قوى الاستعمار ، واقتلاع ركائز الرجعية من كل ركن من أركان الوطن العربى - اعتبرت مجرد شكل آخر من أشكال (جنون العظمة) والبحث عن (المجد الشخصى) الذى عانى منه الشعب المصرى ما عانى من المتاعب والآلام ، والذى لم يفض مع ذلك - قوميا - إلا إلى البوار والخسران المبين !

والغريب - أكثر من ذلك - أن دور مصر فى اليمن - فاهيكا عن الثورة اليمنية ذاتها وما تمثله - لم يتعرض لسوء الفهم ، وأحيانا التجريح ، من قبل القوى اليمينية والوسطية العربية فحسب ، وإنما أيضا من بعض القوى اليسارية ، بل وبعض القوى التى كانت مقربة من عبد الناصر ، ومحسوبة على الناصرية !

ولا محيص هنا من إيراد بعض أقوال هذه الأطراف التى تبين إلى أى مدى غدا دور مصر القومى ودور الزعامة الناصرية - من وجهة نظرها - ولا سيما فى اليمن - يصنف ضمن قائمة الأعمال الفاشلة والخاسرة وليس - كما تؤكد الحقيقة الموضوعية والتاريخية - صفحة من أنصع صفحات المنجزات والأمجاد الثورية التى حققتها ثورة ٢٣ يوليو ، أيا كانت السلبيات التى صاحبت هذا الدور !

فتعبيرا عن وجهة نظر القوى اليمينية والرجعية المصرية والعربية يقول مصطفى أمين فى عدد ١٣/٩/١٩٧٥ من أخبار اليوم: «ولقد عشنا سنوات طويلة نتبادل التهم ، ونهاجم الملك فيصل ، ونتآمر على عدد من الدول العربية ، ونقسم العرب إلى تقدميين ورجعيين ، وانتهزت إسرائيل هذا الخلاف ، وحرب اليمن التى كان

العرب يقاتلون فيها العرب ، وأنزلت بنا هزيمة ٥ يونيو ، ولولا هذا الخلاف لما حدثت هذه الحرب ، ولما جرّوت الولايات المتحدة أن تساعد إسرائيل هذه المساعدة العسكرية الهائلة ، وعندما حدثت الهزيمة المروعة فوجئنا بأن الملك فيصل هو أول من يمد يده إلينا في هذه المحنة ، ولم يقدم لنا التقدميون سوى الكلمات والنصائح والخطط وعبارات التوبيخ! ويختم توأمه على أمين في عدد ٩/١٤/ ١٩٧٥ من الاخبار هذا الهراء الرجعى - وبلهجة أكثر غوغائية وسوقية وأكثر اسفافا وتطاولا على الزعيم الخالد عبد الناصر ، بقوله ان هذا العهد - على أى حال - قد ذهب ، وذهب معه ذلك «المصرى القبيح الذى يشتم كل الناس ، الذى يهدد ويتوعد ولا يقول شيئا ، الذى يريد أن يقلب الحكومات ، ويتدخل فى الشئون الداخلية للبلاد الاخرى ».

ان ماجاء فى كتاب (عودة الوعى) لتوفيق الحكيم من أحكام خاطئة عن الثورة اليمنية ، ودور عبد الناصر فيها ، هو تعبير نمطى لرؤية القوى الوسطية الليبرالية فى مصر والوطن العربى للقضية اقليمية وتحفظها المفهوم ازاءها وازاء ما قامت به ثورة ٢٣ يوليو بقيادتها الناصرية حيالها !

على أن مايستثير العجب هو ذلك التقييم غير المدروس للحقبة الناصرية وانجازاتها القومية الذى تسرعت الى طرحه بعض القوى اليسارية القومية ، كما هو الحال مثلا بالنسبة للقيادة القومية لحزب البعث العربى الاشتراكى - المركز العراقى - التى جاء فى بيانها الشهر الصادر فى ٣/٩/١٩٧٥ : «ان المحصلة المباشرة لتعامل النظام المصرى من خلال العشرين سنة الماضية مع المحيط القومى والقضايا القومية هى الاخفاق والخسائر - فهناك تجربة الانفصال - وتجربة اليمن - وهزيمة يونيو (حزيران) وغيرها من التجارب » (بيان القيادة القومية لحزب البعث العربى الاشتراكى (واع)

كما ان العجب لاينقضى عندما نقرأ للاستاذ محمد حسنين هيكل الذى عرف بقربه من عبد الناصر والذى كان وما يزال يعتبر نفسه ناصريا ، سلسلة من المقالات فى الاهرام (بصراحة) يصور فيها ثورة اليمن - وبطريقة استعلائية - بأنها أشبه ماتكون بحسبته خاطيء كان ينبغى الا يقع ، وينظر الى دور مصر فيها بأنه كان ورطة محققة ، ويرى مايسميه (حرب اليمن) انه كان - شأن انفصال سوريا عن مصر ، وشأن حروب إسرائيل العدوانية - أحد فصول التراجيديا المصرية الحديثة ، ذلك ان - كما كتب - «حلف الاستعمار

والصهيونية، وضع «خطة ضرب مصر بأقصى العنف ، ضربها مباشرة» .  
كما حدث سنة ١٩٥٦ ، و ١٩٦٧ ، أو جبرها الى ميادين بعيدة ،  
لاستنزافها ، كما حدث سنة ١٩٦٢ الى ١٩٦٦ في اليمن . ، وبدلاً  
من أن يعتبر عام ١٩٦١ نقطة التحول الثوري الاجتماعي والقومي -  
حيث صدرت منذ هذا الوقت فما بعد قرارات التأميم الراديكالية ،  
وأعلن الميثاق ، وقامت ثورة اليمن ، وانتصرت ثورة الجزائر وسقط  
حكم الانفصال اليمني في دمشق ، وحكم الفردية القاسم في بغداد -  
بقطع النظر عما صاحبه من مذابح راحت ضحيتها بعض القوى  
التقدمية - كما انطلق المد القومي والثوري من جديد على امتداد  
الساحة العربية مما اطار صواب القوى الاستعمارية ، وعجل بعدوان  
٥ يونيو ١٩٦٧ الصهيوني الامبريالي لوقف هذا المد التحرري  
المتصاعد - بدلاً من ذلك فانه يعكس الآية تماماً ، حين يقول ان  
الاستعمار وحلفاءه كانوا قد استطاعوا تحويل التيار ، ووضعوا  
الحركة الثورية على مواقع الدفاع ، ١٩٦١ كان الانفصال ، سنة  
١٩٦٢ كانت حرب اليمن التي تحولت الى عملية استنزاف ، أضيف  
اليها الحصار الاقتصادي الأمريكي ، في وقت بدأت فيه المشاكل  
الطبيعية للتنمية تظهر ، سنة ١٩٦٧ بلغ الهجوم المضاد للثورة مداه  
في ٥ يونيو . كانت تلك كلها : الانفصال ، واليمن ، والنكسة ،  
معارك في حرب متصلة شنها الاستعمار في الستينات ، انتقاماً لما  
أصابه من الحركة الثورية في الخمسينات . (أنظر مزيداً من أقوال  
هيكل حول ذلك في الاهرام ٥-١٢-٦٩ ، ١٩٧٠ ، ٤-٩-١٩٧٠ ،  
٢-١١-١٩٧٠ ، ١٩-٢-١٩٧١ ، ٧-٧-١٩٧١ ، ٢٢-١٠-١٩٧١ ،  
١٤-١-١٩٧٢ وكذلك عبد الناصر والعالم ، بيروت ١٩٧٢ ص ٤٩)  
لم يكن عبد الناصر - في واقع الامر - يتصرف ازاء القضية  
اليمنية والعربية بمقياس تجاري يقوم على حسابنا الخسائر والارباح ،  
ولا بمقياس علماء المنطق الرياضي الذين يحسبون النتائج انطلاقاً من  
مقدمات وأرقام محسوبة وباردة ، وانما كان يتصرف كصاحب رسالة  
تاريخية ، وحامل مهمة ثورية وقومية ، في مجتمع عربي مجزأ وشبه  
مستعمر ومتشابك المصالح والتيارات الداخلية والخارجية . وقد  
لخص رسالته التاريخية والثورية هذه في ضرورة النضال القومي  
والاجتماعي الشامل ضد التجزئة الاقليمية ، والاقطاع العربي ،  
والرأسمالية الاحتكارية والامبريالية العالمية ، ورببتها الصهيونية ،  
وركيزتها الرجعية المحلية ، ومن اجل اقامة مجتمع اشتراكي عربي  
موحد في اخر الامر . وبوحى هذه المبادئ كان - كما جاء في خطابه

فى ٢٣ يوليو ١٩٦٧ - كان كفاحنا « ووقوفنا ازاء محاولة ضرب الثورة العراقية سنة ١٩٥٨ ، وصمودنا ازاء الثورة الجزائرية فى سنة ١٩٥٤ الى ١٩٦٢ ، وانتصارنا الى جانب الثورة اليمنية ، وتأييدنا لثورة الجنوب العربى حتى آخر مشكلة واجهناها وما نزال نواجهها ، فقد كانت بدايتها محاولة لغزو سوريا ، » .  
( عبد الناصر والثورة ، القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٨٨ ) .

واذا كان البعض ممن لا يروق له عبد الناصر ولا اعماله يرى أن هذا البطل القومى الفذ انما يبرر بهذه الاقوال اعماله ، أو مغامراته الخارجية الفاشلة - كما يقول ويكتب هذا البعض - وان كل كلام له عن هذه الاعمال لا يصح أن يكون شهادة أو مرجعا ، أو حجة تاريخية أو وثائقية ، يستند اليها فى تقييم نهجه القومى ، فإنه لا مفر من الاحتكام الى رفيقه وخليفته انور السادات الذى - كما ادخل تعديلا على سياسة مصر العربية - فإنه قيم فى ذات الوقت نهجها القومى الناصرى السابق الذى كان هو احد ابرز اقطابه ورأسى معالمه ، تقييما موضوعيا صادقا وامينا ، عندما قال فى خطاب ٢٣ يوليو ١٩٧٤ : « لم تكن مصر ، ولم تكن العلاقات الدولية فى تلك الليلة الخالد منذ اثنتين وعشرين سنة كما هى اليوم .. أن البعض يأخذون على ثورة ٢٣ يوليو معاركها ضد الاستعمار ومقاومتها لمناطق النفوذ ويحسبون ماتحملناه فى هذا السبيل ، ولكنهم ينسون أن هذه المعارك قرضها علينا الاستعمار ، ولم نقرضها نحن عليه ، لاننا ببساطة كنا نطارده وجوده ، أو نفوذه فى بلادنا ، ولم نكن نهاجم بلاده ، وينسون أنه بغير هذه المعارك ما كان ليحسم تاريخ الاستعمار فى العالم بعد قرون ، ولو لم نتصد له نحن وغيرنا من الشعوب التى ظلت تلك القرون مغلوبة على امرها لما صار لهذه الشعوب الوزن الذى لها اليوم ، ولظل المندوب السامى لهذه الدولة أو تلك كما كان هو الذى يقيم الحكومات ويسقطها ، ويتخذ القرارات ويلغيها ، ويخضع مصالح هذه الشعوب لمصالح بلاده .. والبعض يأخذون على الثورة نضالها فى الساحة العربية وينسون العائد القومى الضخم من تدمير اسطورة الجزائر الفرنسية ، ومن انسحاب الاستعمار من الخليج واليمن واطراف الجزيرة العربية ، وينسون الاحباط الذى لحق بمحاولات تقسيم العالم العربى بين شرق وغرب ، وينسون الفشل الذريع الذى منيت به سياسات دولية تقليدية قامت دائما على اساس عزل مصر ، » ( الجمهورية ١٩٧٤/٧/٢٤ ) .



وحتى مع التسليم بحدوث انتكاسات وخسائر وهزائم لخط الناصرية القومي ، وفقدانها جميع ساحات النضال العربية التي خاضتها وقاتلت فيها ، فإن المقياس الموضوعي الصحيح للحكم عليها وعلى صحة هذا الخط هو ما اذا كانت معاركها هذه كانت موجهة ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية أم ضد مجهول ، وما اذا كانت قد أحدثت خلال نضالها العام والمتفاني يقظة شعبية عربية وتحولا ثوريا قوميا أم لا ، وما اذا كانت شعاراتها وبرامجها النضالية التي طرحتها وتحركت تحت لوائها كانت تعبر عن حاجات ومقتضيات التطور التاريخي والاجتماعي أم العكس ، وهكذا دواليك .

لايستطيع منصف أن يجادل في أن الحقبة الناصرية كانت - حتى بانتكاساتها وهزائمها وخسائرها وحتى بسقوط راياتها في جميع الساحات القومية التي قاتلت فيها - تمثل اروع واشجع واوسع تحرك قومي عربي نضالي معاصر ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية والتجزئة والاقطاع والرأسمالية ، وانها قد اطلقت من عقالها حركة جماهيرية عربية عريضة لامثيل لها ، وفجرت وعيا قوميا وثوريا غير مسبوق ، وصنعت تغييرات هيكلية تقدمية في الخريطة الاجتماعية والقومية العربية لارجوع عنها ، وحدثت في آخر الامر نقلة تاريخية ثورية في النضال القومي والاجتماعي العربي لاراد لها مهما تعرضت للمصاعب والازمات ، وحتى للتقلص والانتقاص !

ان من هذه الساحات القومية التي اثمر فيها نضال عبدالناصر وثورة ٢٣ يوليو مع الساحة اليمنية ، لقد اثمر برغم كل السلبيات والخسائر والهزائم والتراجعات التي حدثت في هذه الساحة اثناء الوجود القومي المصري فيها أو بعده . لقد تخلقت في ظل المعارك « الناصرية » التي دارت فيها حركة تحرير وطني يمنية بالغة الفتوة والنشاط ، وتفجر وعي شعبي وثوري لاحد له ، وخرجت اليمن - لأول مرة - في تاريخها من حالة ركود التطور ، والجمود السياسي والعزلة الاقليمية التي فرضت عليها مئات السنين ، وسقط قبل ذلك وبعده اقدم واعرق وابشع نظام رجعي كهنوتي أو توراتي متخلف في جزيرة العرب ، كما خرج من اليمن نهائيا وإلى الابد اقدم واعتى واظلم نظام احتلال امبريالي طغياني عرفته المنطقة العربية ، وقامت على انقاض كل منهما جمهوريتان وطنيتان يمينيتان - ايا كان التباين القائم اليوم بينهما والزائل لامحاله - الا انهما يمثلان نقطة البداية

نحو استكمال التحرر الوطني والاستقلال الاقتصادي ، والوحدة الوطنية ، وبالتالي قيام الشخصية اليمنية الحديثة ، والدولة المركزية الموحدة الوطنية لديمقراطية ، الناهضة المتقدمة .

أن قيام نظام وطني متحرر في جنوب البلاد ، ونمو الحركة الوطنية اليمنية المتصاعدة ، وسعيها الحثيث نحو توحيد أطرافها في جبهة نضال وطني من أجل انجاز مهامها التاريخية ، ليؤكد - برغم الردة التي حدثت في شمال البلاد منذ انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ والتي لم يتم التغلب عليها بعد - أن الثورة اليمنية باقية ، وأن قواها بخير ، وأن جذوة النضال التي اشتعلت بقيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢ لم تنطفئ أو تخب ، وإنما زادت الأحداث والانواء المعاكسة توجها وسطوعا ، كما زادت المناضلين اليمنيين تمرسا وصلابة ، وأن دور ثورة ٢٣ يوليو في هذه الثورة ، ودور عبد الناصر شخصيا ، باق ومستمر ، ما بقيت هذه الثورة واستمر نضال قواها الوطنية والتقدمية .

نعم لقد ضاعت - كما كتب الاستاذ محمد حسنين هيكل في جريدة ( الهدف ) الكويتية في ١٩٧٦/١/٨ - على سفوح الجبال الكالحة في حرب اليمن ، نتائج مؤتمر القمة العربي الذي عقد في القاهرة عام ١٩٦٤ لمناقشة موضوع « تحويل مياه نهر الاردن » ولكن نتائج ثورة ٢٣ يوليو في اليمن ، ونتائج دور عبد الناصر في ثورتها لم تضع ولن تضيع !

## كفى تشويها للدور القومي لمصر وعبد الناصر في اليمن

لا تكف قوى اليمين في مصر عن أعمال معاولها ليل نهار ، لهدم صرح ثورة ٢٣ يوليو الرائدة وهدم دور عبد الناصر القيادي فيها ، حتى لقد بلغ الحقد الاعى ببعضهم حد اخراج عبد لناصر منها ، وتصويره فى صورة من تسلق اكتافها ، و ( ركب الموجه ) ليس الا - كما كتب على سبيل المثال أحمد حسين - فى عدد ٢١ / ١٢ / ١٩٧٥ من جريدة ( الاخبار ) انقاهرية ، الأمر الذى جعل الرئيس السادات يتصدى بنفسه لهذه الحملة التضييلية العمياء والحاقدة ، ويؤكد فى الحديث التلفزيونى الذى جرى معه مساء ١٩٧٥/١٢/٢٥ بمناسبة عيد ميلاده ، أن عبد الناصر كان هو المنظم والقائد لحركة الضباط الاحرار منذ تكونها فى مطلع الاربعينيات الى يوم قيادته للثورة ، وأنه « يجب أن ننصف الحقيقة ، وننصف التاريخ ، جمال اتخذ قرار قيام الثورة » ، (الاهرام ، الجمهورية ، الاخبار ، ١٩٧٥/١٢/٢٦) .

وكجزء من حملة التشويه والتجريح لثورة ٢٣ يوليو ، ولدور عبد الناصر القيادى فيها ، تاتى عملية المسخ والطعن فى كل انجاز قومى ، وكل اسهام نضالى قامت به ثورة ٢٣ يوليو تحت قيادة زعيمها العظيم الراحل ، وتصوير ذلك بأنه مجرد مغامرات حمقاء وعقيمة لم تقد الا الى الخذلان والخسران فى ( الخارج ) والبؤس والتعاسة فى ( الداخل ) .

وجزاء كبير من هذه الحملة ينصب على دور مصر فى اليمن ، ومسئولية عبد الناصر الشخصية فى ذلك . ( ثورة اليمن ) ليست سوى ( مؤامرة ) طبخها عبد الناصر مع ( عملائه ) من اليمنيين ، دون أن يكون اليمن مهياً لها من قريب أو بعيد ، ودون أن يكون لها ادنى حاجة أو ضرورة ، ومن هنا وقوف القبائل اليمنية مع زعمائها ضد هذه ( الثورة المفتعلة المصدرة ) وخوضها حرباً مريعة .

وطويلة ضدها وضد ( مدبريها ) المصريين ، هذه الحرب التي لم يجد في اخمادها أو القضاء على محاربيها اليمنيين لا جيش الجمهورية اليمنية الذي حاولت مصر انشاءه ، ولا جيش مصر الحديث الذي انتقل معظمه الى هناك ( لزراعة وصناعة ) هذه الجمهورية ( المخلقة ) في أرض اليمن القاحلة السبخة ، وكانت الحصيلة ( لحرب اليمن ) التي سفكت فيها الدماء الغزيرة اليمنية والمصرية لرى هذه النبتة الجمهورية المصطنعة ، والتي أكلت الأخضر واليابس ، ودمرت الشعب اليمني والمصري معا ، هو عودة اليمن ( سيرتها الاولى ) فور خروج جيش مصر منها ، مما أكد مرة أخرى عدم أهلية اليمن وقدرتها على أحداث ثورة حقيقية ناجحة ، وأكد أن هذه الثورة ( صناعة مصرية ) خالصة ، لم تلبث أن تبخرت فورتخلى مصر عنها ، حيث أصبحت الجمهورية اليمنية منذ انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ تحت حكم وفي قبضة أولئك الذين حاربهم هذه الجمهورية ، أو من المفروض أنها قامت لانقاذ اليمن منهم ، وحيث لم تعد الجمهورية تحكم فقط من قبل القوى الاقطاعية والقبلية اليمنية — بشكل لم يسبق لم مثل في السابق — ومن قبل الرجعية اليمنية القديمة والجديدة معا — باستثناء بيت حميد الدين — وإنما هوت فوق ذلك أيضا الى قرار سحق من التبعية للرجعية العربية والاستعمار القديم والجديد !!

ويمضي المشوهون لدور مصر الناصرية — وبعضهم بغير قصد أو وعى ، وبعضهم لاشك في حسن نياته — الى القول : أما كان أولى بمصر — والحال كذلك — أن تترك عملية التفاعل والتطور الداخلي في اليمن تجري مجراها الطبيعي ، وتسير وفق ظروف البلاد وامكانياتها الخاصة ، دون أي ( تدخل خارجي ) لا جسدوى منه ، ولا طائلة من ورائه ، ودون محاولة ( اجتراح المعجزات ) ومحاولة قفز مراحل التطور الطبيعية والحتمية التي لا يستطيع أحد تخطيها ودون الدخول في مشروع ثوري مكلف وخاسر في وقت واحد !

لقد اشتركت في الهجوم على ما يسمى ( التدخل المصري ) في اليمن فرق عديدة من قوى اليمين والوسط العربي ، وحتى من بعض القوى المحسوبة على اليسار اليمني ، ناهيك عن دوائر الاستعمار التي أصدرت حتى الآن العديد من الكتب مثل كتاب ( الحرب في اليمن ) و ( اليمن .. الحرب المجهولة ) وغيرها من الكتب التي تصور دور مصر القومي والثوري في اليمن بأنه لم يكن غير عملية



( غزو أجنبية ) باسم القومية المزعومة ، وغير عملية اسناد خارجية مفروضة ( لثورة مصطنعة ومصدره ) من مصر ذاتها !  
ومن مصر نفسها اشتركت في هذه الحملة الدعائية المسمومة اقلام مشهورة ، وأخرى مغمورة ، فضلا عن الاقلام المأجورة والمعروفة ، ويقف الاستاذ توفيق الحكيم في طليعة الكتاب المشهورين الذين نددوا ( بفعلة ) عبد الناصر في اليمن التي لم تقدر الا الى خراب وجوع ونكبة مصر — كما يتضح ذلك بجلاء من كتابه الشهير ( عودة الوعي ) !

وقد دأب صحفيو ( اخبار اليوم ) القاهرية اليمينية ، ابتداء من التوامين مصطفى وعلى أمين ، مروراً بإبراهيم سعده ، وانتهاءً بالصحفى القديم الجديد القادم للتو من أوروبا أحمد أبو الفتوح ، على اطلاق عبارات (التنكيت والتبكيث) على ما ارتكبه عبد الناصر من (جرم) في حق مصر واليمن والعرب اجمعين باقحامه مصر وجيشها في حرب مهلكة في شعاب وجبال اليمن الوعرة الموحشة والمجهولة !

ولم تشذ عن ذلك مجلة (المصور) التي لم يكتف رئيس تحريرها صالح جودت في مقاله ( من الذي سيجوع سنة ٢٠٠٠ ) المنشور في عدد ١٩٧٥/٦/٢٠ منها ، بالاستشهاد بما جاء في كتاب ( سنوات الهوان ) لإبراهيم سعده من أن عبد الناصر قد تورط ( وخاض مع امام اليمن حرباً خسرنا فيها « الجلد والسقط » ) وانها اعتبر أيضاً هذا التورط من أسباب المحنة القومية التي وقعت فيها مصر على يد عبد الناصر والتي لا تبرح تحاول الافلات منها !

ان آخر ما طالعنا به الاقلام المصرية الخبيرة (ببوابن الامور) في هذا الصدد هو ما نشرته مجلة ( الاذاعة والتلفزيون ) القاهرية في عدد ١٣ ، ٢٠ ديسمبر ١٩٧٥ منها التي كتب أحد محرريها ( سيد الباز ) في معرض حديثه عن دور ثورة ٢٣ يوليو في اليمن و ( تاريخها السرى ) بانه لا يكتب بنات أفكاره ولا يستقى معلوماته من المصادر العادية المتاحة لكل من هب ودب ، ولاحتى بالرجوع الى آراء ومعلومات هذه الشخصية اليمنية أو تلك ممن كانت لها علاقة بما بقيام الثورة اليمنية ، وانما هو ينقل من مصادره الخاصة التي ليست في متناول الايدي ، ذلك — كما يقول — ان البحث عن الحقيقة « ليس من خلال الروايات الشخصية ، فذلك شيء لاومن به ولا اقتنع ، بل من خلال الوثائق ، والمحاضر السرية لهذه الاحداث ، وعلى ذلك فاني ارفض ان يتحول الحديث عن التاريخ

الى مجموعة حكاوى واقاصيص نشيد بها انتباها ، وتثيرها ،  
متناسين اننا بهذه الطريقة نجرم فى حق امتنا . أن القصة فى  
التاريخ لا يمكن لها الا عندما تكون المعبر الحقيقى عن فكرة ما ،  
وسلوك ما . . وعلى ذلك فانى اقول للذين تكرموا وابدوا استعدادهم  
للحديث عن حقائق الاجتماعات السرية بين القيادة المصرية واليمنيين  
بما يخدم نفس الفكرة التى تعرضت لها ، اقول لهم ليس هذا  
ما اقصد ، ولم يحن اوانه بعد ، علاوة على انه متوفر لدى .  
ومن هذه الاسرار الخاصة التى طالعنا بها الكاتب ان «امريكا  
وروسيا كانتا على الاقل لاتقفان ضد هذا التدخل ، فقد كانت امريكا  
تريد ان تجعل من ناصر مثالا للزعماء الذين يخرجون عن ارادتها  
وكيف تنتهى بهم الامور ، ولقد تكشف فيما بعد ان الولايات المتحدة  
كانت تعرف ما يدور داخل اليمن ، والدور الخفى الذى تقوم به  
الاصابع المصرية هناك ، ولم تعترض ، وقد كان امامها مثلا ان تبلغ  
ائمة اليمن ، (١) .

أن مما يستلفت النظر أن من المصادر الخاصة وغير الميسرة  
بالطبع التى يستشهد بها الكاتب على علم أمريكا بالمخطط المصرى  
للتدخل فى اليمن باسم احداث ثورة فيها رواية « مبعوث أمريكى  
ارسله الرئيس الأمريكى بعد حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ الى المنطقة »  
وقام بسرد قصة الثورة اليمنية على مسامع « احد المسئولين  
الكبار فى عهد ناصر » على النحو التالى : « فأنك تظلم الحقائق  
كثيرا عندما تطلق على ما حدث فى اليمن صفة الثورة ، واطنك  
توافقنى على ان الثورة هى عمل داخلى فى الدرجة الاولى ، تقوم  
به مجموعة من ابناء هذه الدولة » اما ما حدث فى اليمن فقد سار  
على عكس ذلك تماما ، ففى « ١٣ مارس ١٩٦٢ ذهبت مجموعة  
من ضباط المخابرات المصرية الى عدن ، والتقت فى مكان بين تعز  
وعدن بمجموعة من الضباط اليمنيين ، على رأسهم النقيب على  
عبد المغنى ، الزعيم الحقيقى للثورة ، ودار البحث فى هذا الاجتماع  
عن كيفية تغيير نظام الحكم فى اليمن . هل تعرف من الذى قام  
بالتحضير لهذا الاجتماع والاعداد له ، انه محمد عبد الواحد الكاتب  
بالسفارة المصرية فى اليمن ، وهو صديق شخصى لاحد اعضاء  
مجلس قيادة الثورة المصرية ، الذى كان له دور كبير فى مسألة  
اليمن ، ولقد كانت القوات اليمنية التى هاجمت قصر الامام البدر  
اثناء التمرد تمتلك دبابتين ، احداهما انحسرت القذيفة فى ماسورتها

قلم تنطلق ، والدبابة الاخرى لم تستطع كذلك الحركة ، مما حدد الحركة بالفشل ، فذهب محمد عبد الواحد الى عبد الله السلال ، وكان الامير البدر قد عينه رئيسا لاركان الجيش بعد خروجه من السجن ، وقال له . . ان الثورة قد نجحت ، وقتل الامام البدر ، وناصر ونظامه يؤيدان بكل قوة هذه الثورة ، وهم الذين صنعوها ، لمن أجل ذلك اطلب بتأييدها ، وفعلوا ايدها السلال ، واعطى محمد عبد الواحد مفاتيح مخازن السلاح ، وبذلك انقذ الحركة من الفشل ، ثم أصبح السلال فيما بعد زعيما للثورة بعد وفاة علي عبد المغني في معارك الجبال ، وعلى هذا فارك تتفق معي في أن تدخل الجيش المصري في اليمن لم يكن نتيجة لتدخل القوى الاجنبية ، بل كان شيئا معدا مسبقا . » وقد بدأ التدخل المصري في اليمن — حسب رواية المبعوث الامريكى — بارسال « ٢٠ رشاش « بور سعيد » ١٠٠ قنبلة يدوية ، ٢٥٠ بندقية » تمهيدا لقيام الحركة التي ما لبثت ان شددت جحافل الجيش المصري الى اليمن لحمايتها ، مما ادى الى افلاس الخزائنة المصرية وامتصاص الاقتصاد المصري ، ونتيجة لذلك فانه — مشرا الى الهرم الاكبر — بنفس كيفية « عملية النهب التي تعرض لها هذا الهرم » حدثت عملية استلاب مصر وابتزازها في اليمن ، « وهكذا صنعت حرب اليمن باقتصادكم » مخاطبا المسئول المصري !

ويمضى سيد الباز في روايته ( الموثقة ) لقصة الثورة اليمنية والمعتمدة على مصادر الخاصة وعلى المحاضر السرية ورواية المبعوث الامريكى — الى القول بان عبد الناصر كان قد صاح — قبل قيام الثورة اليمنية — في وجه من اخطره من اليمنيين المطلقين على خطط قيامها بان الثوار « لا يستطيعون الاستمرار بدون الحماية المصرية سوى ايام قلائل » قائلا : « لا يستطيع ان احمى ثورة فاشلة ، اما ان تستمروا اربعة عشر يوما ، حتى تجيء القوات المصرية ، والا فلا املك لكم شيئا » وان عبد الناصر قال — بعد اتفاق المصالحة الذي تم بينه وبين الملك فيصل في الخرطوم في اغسطس ١٩٦٧ — أي بعد النكسة مباشرة — مخاطبا رئيس الجمهورية العربية اليمنية آنذاك المشير عبد الله السلال الذي ابدى تحفظه على اتفاق المصالحة هذا ، وعلى خروج القوات المصرية من اليمن قبل « ان نكون على مستوى يؤهلنا للوقوف على اقدامنا » وقبل تأمين البلاد من الجيران

«السعوديين الذين» لن يتأخروا لحظة عن بذل كل ما يستطيعون لاجداث تغيير في اليمن ، لندخل بذلك في دائرة نفوذهم ، ولايعنيهم في هذا الامر ان يكون الحكام ملكيين او جمهوريين ، وانما كل ما يعنيهم هو ان يكون اليمن تحت نفوذهم « ذلك اتنا » نعرف آل سعود جيدا ، وحياتنا كجيران معهم تجربة متصلة ، ومعارك متصلة معهم كذلك « قال — اى عبد الناصر — مخاطبا السلال ورادا عليه : « لقد ادينا دورنا بشرف وامانة ، وتحملنا تضحيات يعلم الله وحده مقدارها ومدادها ، وانشأنا لكم جيشا عصريا ، ودربنا قياداته ، وحميناكم فى ايامكم الاولى ، ماذا تريدون اذن ، ألم يكفكم ما يقرب من خمس سنوات ، ثم لاتريدون الدخول فى تجربة الاعتماد على النفس ، متى تدخلونها اذن ، اسمع ، اذا كنتم تتصورون اننا سنغزو لكم السعودية فانكم مخطئون وواهمون . لست على استعداد لان استمر فى هذه ( المأساة ) اكثر من ذلك .. كفاية .. كفاية بقى . »

لن ندخل مع الكاتب فى مناقشة مدى صحة هذه الرواية لقصة الثورة اليمنية ، ودور مصر فيها منذ لحظات التحضير لها الى لحظة خروج آخر جندي مصرى من اليمن . فمن الواضح تلقائيا مدى اهتزازها ، وفقدانها المعلومات الدقيقة والكاملة ، والتحليل الموضوعى والسليم ، وذلك ما سيأتى اوانه فى حينه عند وضع تاريخ هذه الثورة ، بعد توفر وثائقها الضرورية والكاملة التى ليست حتى الان فى حوزة أحد من المؤرخين اليمنيين او المصريين . ولسوف تحتل قصة ثورة اليمن وجهد مصر الجبار فى دعمها فصلا هاما من أبرز فصول تاريخ اليمن الحديث ، وتاريخ ثورة ٢٣ يوليو ، الذى تقوم الان على جمع وثائقه وتسجيلها ، تمهيدا لكتابة هذا التاريخ « اللجنة العامة لكتابة تاريخ ثورة ٢٣ يوليو » التى امر الرئيس انور السادات بتشكيلها برئاسة نائب رئيس الجمهورية السيد حسنى مبارك .

ولكن ما نملك قوله منذ الان — ودون انتظار الوثائق الخاصة بقيام الثورة اليمنية وقبل كتابة تاريخها — هو أن قيام هذه الثورة جاء بمثابة عملية استباق واعتراض واجهاض لمحاولة انقلابية أمريكية كانت تجرى بالفعل من خلال الاسرة المالكة ذاتها وبقيادة بعض ( سيوف الاسلام ) وجاء نتيجة « تلاقى » ارادات يمنية ومصرية فى ضرورة احدث تغيير فى اليمن ، باعتبارها تشكل حلقة



الضعف القابلة للكسر في سلسلة الانظمة الرجعية العربية آنذاك ،  
وان دور مصر في التحضير لهذه الثورة وفي قيامها وفي حمايتها كان  
ضرورة ( قومية وثورية ) وجاء « مكمل » لابد منه لعوامل النقص  
الموضوعية والذاتية لقيام ونجاح هذه الثورة ، وان ذلك قد تم من  
منطلق قومي وحدوي لايعرف الاقليمية ، ولا يعترف بالتجزئة ،  
ولا يعتبر نهوض مصر بدور ثوري في أى بلد عربى ( تدخلا في شئون  
الغير ) وانما جزءاً طبيعياً من تحرك قومي ثوري عربى شامل لحركة  
التحرير العربى الوطنية التى كانت تقودها مصر ، ويتزعمها جمال  
عبد الناصر ، بهدف محاربة الانظمة الرجعية والاستعمارية في  
المنطقة العربية ، وتحرير وتوحيد الوطن العربى في ظل دولة عربية  
كبرى ديموقراطية تقدمية . !

وما نملك ان نقوله منذ الان ان الرئيس جمال عبد الناصر  
— بهمة الثورية العالية — استهدف أيضاً من قيام الثورة اليمنية  
ليس فحسب الرد على حركة انفصال سوريا عن مصر ، وانما  
ايضا قيادة هجمة ثورية معاكسة — انطلاقاً من اليمن — ضد  
جبهة الرجعية والاستعمار البريطانى والامريكى معا ، وان الرئيس  
السادات كان المسئول السياسى المباشر عن القضية اليمنية طيلة  
وجود الجيش المصرى في اليمن ، وان محمد عبد الواحد القائم  
بأعمال السفارة المصرية في صنعاء لم يكن يعدو ان يكون واحداً  
من همزات الوصل القائمة بين الخلايا الثورية في اليمن وبين  
القيادة القومية في مصر .

وما نريد ان نقوله ، انه كان تحت تصرف الثوار اليمنيين عند  
قيام الثورة عشرات الدبابات السوفيتية الصنع — وليس دبابتين —  
وان الزعيم عبد الله السلال الذى كان يشغل منصب رئيس  
الحرس الملكى في صنعاء كانت له مجموعته التى تعمل منذ وقت  
مبكر — وبطريقته الخاصة — ضد الحكم الامامى ، وانه كانت له  
تقديراته وحساباته المستقاة من تجربته السياسية المديدة مع  
الامامة ، وكان رأيه في ضرورة الاطاحة بها وتحميسه على ذلك  
معروفا لدى الاوساط العسكرية والمدنية المناوئة للأسرة المالكة ،  
ولذلك لم يجد الضباط الاحرار الذين جرت بينه وبينهم عدة لقاءات  
قبل قيام الثورة ، من هو اقدر واجدر منه لاستلام زمام الحركة ،  
ومن هنا فان تزعمه لها فور قيامها لم يكن امراً اعتباطياً أو صدفياً ،  
لقد كان ضرورة موضوعية املاها ثقل السلال العسكرى والسياسى

واعتراف الضباط بذلك ، كما املاها الدور الخاص الذي لعبه الصعوبة والحرجة من قيامها ، وهو الدور الذي كرس به السلال بالفعل في حماية وتعزيز مواقع الحركة الثورية ، في الساعات الاولى زعامته لها عبر سنيها الخمس الاولى

ونريد كذلك ان نقول — اضافة الى ما يؤكد المشير عبد الله السلال — الذي كان موضع ثقة عبد الناصر ، وكان يسير في سياسته ضمن الخط العام للناصرية — من ان ما جاء على لسان الرئيس جمال عبد الناصر من حديث معه بعد اتفاق الخرطوم غير دقيق ولا أمين ، كما اورده سيد الباز ، ناهيك عن ان عبد الناصر لم يكن هو الرجل الذي يمن ، او يستكثر ، او يضيق أو يندم على دور قومي ثوري قام به في اليمن ، أيا كانت نتائجها والاختلافات في الرأي حوله — نريد ان نقول — اضافة الى ذلك — ان احاديث الزعيم العربي بعد اتفاق الخرطوم هذا ، لا تشير — لا من قريب ولا من بعيد — الى انه كان يعتبر ان ما حدث في اليمن ( مأساة ) ولا انه احس بان مساعده لثورة اليمن كانت خطأ ارتكبه ، وورطة وقع فيها ، وانه لو قدر له ان يعرف نتائجها سلفا ، لما اقدم على التشجيع عليها .

ولقد كان موقف الوفد اليمني في الخرطوم — وكان كاتب هذه السطور أحد أعضائه — والذي كان يتزعمه الرئيس السلال هو رفض ( صيغة ) الاتفاق الخاص باليمن بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل . وأصدر الرئيس السلال وقتها بالفعل بيانا خاصا بذلك في الخرطوم ، في نفس الوقت الذي أكد للرئيس جمال عبد الناصر انه لا يعترض على سحب الجيش المصري من اليمن ، ولكنه رجا الرئيس المصري ان يترك في اليمن بعض الاسلحة الضرورية اللازمة لكفالة الاستمرار في الدفاع عن الجمهورية ، وهو ما وعد الرئيس عبد الناصر بتلبيته ، بغض النظر عما حدث بعد ذلك من التعقيدات التي نجمت من جراء رفض السلال والحركة الوطنية اليمنية لاستقبال اللجنة الثلاثية الوزارية التي تالفت من السودان والعراق والمغرب ، والتي قدمت الى اليمن ، للتوفيق بين ما سمي ( الاطراف المعنية ) وفق اتفاق الخرطوم ، هذه التعقيدات التي ادت فيما بعد الى قيام انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الذي أنهى حكم السلال الوطني ، وافسح الطريق لعودة حكم الاقطاع والقبلية الى صنعاء هذه القوى الاقطاعية والقبلية التي وضعت حتى الجيش الحديث في الظلال ، والتي اخذ هذا الجيش — بعد قيام حركة ١٣

يونية ١٩٧٤ - يحاول تقليص نفوذها ليستعيد زمام المبادرة منها .  
ولقد قال عبد الناصر في خطابه بمناسبة افتتاح الدورة  
الخامسة لمجلس الامة في ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ في معرض حديثه  
عن صيغة اتفاق الخرطوم ، قال : « في الخرطوم استطعنا بالاتفاق  
مع الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ان نتفق على موضوع  
اليمن ، وكان هدفنا في هذا ان احنا نحقق المبادئ ، ولم تكن تعيننا  
الاشخاص » . « وثائق عبد الناصر ، يناير ١٩٦٧ - ديسمبر ٦٨  
ص ٢٨٥ » .

وقال الرئيس العربى فى آخر الخطاب ان حصيلة جهد مصر فى  
اليمن يتمثل فى أنه توجد اليوم « جمهورية فى صنعاء بدون قوات  
مصرية فى صنعاء » كما يتمثل فى جلاء الاستعمار البريطانى من  
« الجنوب المحتل ومن عدن » وأوطنيين هيتولوا الحكم « هناك لأول  
مرة » .

ان هذا الانجاز التاريخى الضخم المتمثل فى تحرير اليمن من  
نظام الامامة الكهنوتى ، ومن النظام الاستعماري البريطانى ، هو رد  
عبد الناصر العمل والموضوعى على كل مقالة تزعم بان حرب اليمن  
كانت - كما قال السيد حسن ابراهيم ، عضو مجلس قيادة الثورة  
المصرى السابق - « حرب ( حربا ) لا مبرر لتورطنا فيها » وجوابه  
الحاسم على ما نسبته اليه من انه احس بذلك « وكان معترفا به ، واذكر  
اننى كنت اركب الى جواره فى السيارة ، ودار الحديث ، ونحن نسير  
فى شارع رمسيس ، عن حرب اليمن ، وخسائرها فيها ، فقال بالحرف  
الواحد - احنا انزلقنا ولا يمكن اغامر بعد كده بالجيش اطلاقا » .  
( الصامتون يتكلمون سامى جوهر ، القاهرة ١٩٧٥ ص ٦٠ ) .

وفوق ذلك ألم يرد عبد الناصر على اقتراح السيد كمال الدين  
حسين - عضو مجلس قيادة الثورة المصرى السابق - بعد نكسة  
يونيو ١٩٦٧ - بضرورة سحب الجيش المصرى من اليمن ، بلهجة  
استكبار قائلا : « ونسيبها للبدر ؟ » (٢) .

نعم لقد سحب عبد الناصر جيشه من اليمن بفعل نكسة  
يونيو ، بعد ان كان ينوى قبلها ابقاءه فيها ( عشرين سنة ) - كما قال  
فى احدى المرات - حتى يقوى عود الثورة اليمنية ، وتحرر المنطقة  
من الاستعمار والرجعية ، ولكنه لم يضطر الى ذلك ، الا بعد ان توفر  
الحد الأدنى والضرورى من القدرة اليمنية للاستمرار فى حماية  
جمهورية سبتمبر فى وجه مؤامرات وحرب رجعية استعمارية ضارية

تمكن الشعب اليمني من الصمود لها ، والا بعد ان تأكدت حتمية خروج الاستعمار البريطاني من جنوب اليمن . ويكفى عبد الناصر ان جيشه لم يتحرك من اليمن الا بعد ان هوت راية الاستعمار البريطاني ولم يغادرها نهائيا ، الا وامامه تخرج مدحورة من عدن قوى الامبراطورية البريطانية التي لم تكن تغيب عن ممتلكاتها الشمس !!

ان اقوال ومنجزات عبد الناصر هذه هي الرد الحاسم ايضا على ما كتبه الاستاذ عباس الاسواني في ( مجلة روز اليوسف ) عدد ٦ اكتوبر ١٩٧٥ من ان الرئيس العربي قال - كما يروي موسى صبرى في كتابه ( وثائق حزب اكتوبر ص ١٧٦ ) : « احنا اتعلمنا الحساب من بعد ١٩٦٧ ٠٠٠ الى وطلونا اليمنيين في سنة ١٩٦٢ والسوريين سنة ١٩٦٧ » ورده كذلك على ما خمنه الاسواني من انه « لم يكن يدور في ذهن عبد الناصر عندما قنف بالجيش المصري في جبال اليمن ، انشاء جمهورية عصرية ، واخرى ديمقراطية » ولكن يبدو ان الاسواني لا يهتم بالنتائج الايجابية التي تتمثل في خروج اليمن من طوق النظام الاستعماري البريطاني ، والنظام الكهنوتي الامامي ، وفي مضيتها - بفضل الثورة ودعم مصر وكل قوى التحرر لها - في طريق استكمال التحرر السياسي والاقتصادي ، واستعادة شخصيتها ووحدةها الوطنية . ان كل ما يهمه هو ان يرى - شأن غيره من الكتاب المصريين الذين يعارضون قضية الثورة اليمنية ودور مصر فيها - من منطلق اقليمي وانعزالي ضيق الافق - ان يرى ان حرب اليمن « لم يكن لنا فيها ناقة او جمل ! » وانها كلفتنا « مع ذلك خسائر مهولة في الأرواح والاموال » . ولا مثال هؤلاء المشككين والمشوهين لجهد مصر الثوري والقومي في اليمن نسوق - عدا ما قاله عبد الناصر ، مما لا يتسع المجال لذكره - كلمة شريكه في الثورة ، وخليفته عليها ، والمسئول المباشر عن القضية اليمنية الرئيس محمد أنور السادات التي لخص بها مهمة مصر القومية التي نهضت بها في اليمن وعلى امتداد الساحة العربية بقوله ان امثال هؤلاء « يأخذون على الثورة نضالها في الساحة العربية ، وينسون العائد الضخم من تسخير اسطورة الجزائر الفرنسية ومن انسحاب الاستعمار من الخليج واليمن واطراف الجزيرة لعربية » . ( لجمهورية ١٩٧٤/٧/٢٤ ) .

ومن جهة أخرى كانت بعض العناصر المصرية المفكرة وذات الفكر الليبرالي المتقدم كالدكتور لويس عوض ، قد قيمت دور عبد الناصر



فى اليمن بأنه — كما جاء فى محاضرة الدكتور التى القاها فى نقابة الصحفيين المصريين بمناسبة الذكرى الخامسة لوفاة عبد الناصر تم من منطلق ( امبرطورى ) مجازاة لحزب البعث العربى الاشتراكى . وانجرارا وراء شعاراته القومية الفضاضة الداعية الى اقامة دولة عربية كبرى تمتد من المحيط الى الخليج الثائر وان هذا الجهد المصرى فى اليمن لم يكن عبد الناصر مهيا له ، ولا كان جيشه مهيا للنهوض به — كما كان الحال بالنسبة لجيش ابراهيم باشا الذى ادى مهمته العسكرية بنجاح فى اليمن — وان مصر — عسكريا وسياسيا — قد خاضت معركة خاسرة هناك ، وان كانت قد لعبت دورا حضاريا محدودا بهذه الحملة !!

على أن الدكتور لويس عوض الذى ابدىنا فى تعليقنا على محاضراته بعض المآخذ ، وطرحنا بعض الملاحظات الانتقادية الموضوعية على تقييماته هذه ، لم يلبث أن طور تصوره حول دور مصر الحضارى فى اليمن ، وقدم تقييما متوازنا ومعقولا له ، ولردود الفعل الحادة التى واجهته ، حيث جاء فى مقاله ( الثقافة والبتترول ) الذى نشرته الاهرام فى ١٩/١٢/١٩٧٥ ان من « يتأمل ما جرى فى العالم العربى فى السنوات الاخيرة ، يجد ان مشكلة البترول العربى بدأت منذ اقتربت مصر جمال عبد الناصر فى ١٩٦٢ بحرب اليمن من بترول الخليج وبتترول السعودية ، « بلغت الذروة ، عندما استخدمت مصر السادات سلاح البترول فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ » ، وان الدول العربية حاولت احباط التطورات التى حدثت فى الفترة الناصرية بوسائل عدة منها « اجهاض الثورة اليمنية ، والوجود الناصرى فى اليمن ، حتى لا تقترب يد التغيير الشامل من بترول السعودية والكويت وامارت الخليج ، وقد نجحت الى حد كبير فى هذا المسعى ، فكان الاستنزاف على حساب مصر ، ولم يكن على حساب الدول البترولية ، وجاء التغيير على حساب الناصرية وليس على حساب النظم المتعاونة ، التقليدية » . وتكمن الاهمية الثورية والقومية لجهد مصر فى اليمن فى واقع انه بفضل هذا الجهد المساعد والحاسم امكن اسقاط نظام امامى أرسقراطى متحجر عمره الف عام ، كانت قد عجزت عن اسقاطه ذلك حركة المعارضة اليمنية التى ضمت قطاعا واسعا من القوى الاقطاعية والعناصر الكومبرادورية ، رغم كل المحاولات الانقلابية التى قامت بها ضده منذ ١٩٤٨ حتى ١٩٦١ ، كما امكن بمساعدة هذا الجهد

القومى اخراج قوى الاحتلال البريطانى التى هيمنت على جنوب البلاد اكثر من قرن وربع قرن ، والتى كانت تهيب نفسها - قبل قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ فى صنعاء - للبقاء طويلا ، تعويضا عن فقدان الاستعمار البريطانى لقواعده العسكرية فى السويس والحبانية ، وحفاظا على سيطرته على طريق المواصلات العالمى الاستراتيجى ، وطريق البترول ، ما بين الخليج العربى والبحر الابيض المتوسط ، كما أمكن كذلك زعزعة البنية الاجتماعية والاقتصادية لمجتمع القرون الوسطى ، مجتمع ما قبل الرأسمالية فى اليمن ، حتى ليتمكن القول أن ثورة اليمن ، ودور مصر الجبار فيها ، كان بمثابة ضربة الزلزال التى احدثت شروخا عميقة فى الارضية الاجتماعية والطبقية للمجتمع اليمنى ، وفجرت ينابيع القوى الكامنة والخلافة فى اعماق الشعب ، واطلقت طاقات ابداعية حبيسة فيه ، واسهمت فى التعجيل - رغم كل السلبيات المصاحبة - فى خلق حركة وطنية يمنية شابة وفتية ، تقود اليوم جمهورية وطنية ديمقراطية فى جنوب اليمن ، وتكافح من أجل دفع شماله على طريق التطور الوطنى الديمقراطى ، وتعمل على دفع الوطن اليمنى كله - رغم كل قصور أو نقص فى نشاطها - فى اتجاه التوحيد الوطنى الكامل ، والتقدم الاجتماعى الشامل ، وفى اتجاه الارتباط بحركة النضال العربى العامة .

وذلك فى تصورنا هو المردود العملى والتاريخى ، الباقى والمستمر الذى يعود على مصر وعلى دورها فى اليمن ، وعلى القضية العربية بمجملها ، من قيام الثورة اليمنية .

على أن مثل هذه الابعاد الكبيرة لدور مصر القومى فى اليمن ، ولدور عبد الناصر شخصيا ، ليست مما يسهل فهمه على ذوى النظر القصير ، حتى ولو كان هؤلاء ممن ساعدتهم الظروف ، وساعدتهم مصر بالذات ، على الظهور على مسرح الاحداث مع قيام الثورة اليمنية ، كالدكتور عبد الرحمن البيضانى ، الذى لم يكتف بنسيان أن مصر هى التى دفعت به الى سطح السياسة اليمنية ، وانه بالاستناد الى وجودها باليمن كان يطلق تصريحاته الرنانة ( المتطرفة ) والمعروفة ، وانما انقلب الى هجاء لها ولدورها ولقيادتها ، ولعبد الناصر شخصيا لما ارتكب - كما يرى - فى اليمن من اعمال تمس الشرف والكرامة والاستقلال والحرية فى اليمن !

فهاهو - كممثل للفكر البورجوازى الكومبرادورى المريض

والمخترب - يطالعنا في كتابه الجديد ( نكبة الشجعانات على الامم العربية ) بأكثر آرائه جرأة وغرابة في الثورة اليمنية ، وفي دور مصر فيها ، ويأشد ما قاله عنها حتى الان مدعاة للعجب والدهشة ! فهو - بدلا من الاعتراف لمصر وجيشها بما أدته في اليمن من خدمة قومية في مقارعة الاستعمار والرجعية ، وفي الدفاع عن الثورة والجمهورية - فانه راح يكيل لها ولجيشها الباسل التهم جزافا ، الى حد وصفها بانها هي التي غدت تنطبق عليها صفة الاستعمار ، وإلى حد اعتبار جيشها بانه - من شدة تدخله في الشئون اليمنية - غدا قوة احتلال حقيقية ، لم ينجم عنها سوى طمس الذات اليمنية ، ومحق الشخصية الوطنية ، والحيولة دون تحقيق السلام في اليمن ، تحقيقا لمخططات الشيوعية الدولية فيها ، التي اصبحت مصر بقيادتها السياسية احدى ادواتها ، واصبح جيشها هناك أحد اسلحتها ، كما اصبحت اليمن ذاتها احدى ساحات نشاطها !

ومن هنا فانه لمواجهة ذلك كله أخذ - كما يزعم - يصطدم بقيادة الجيش المصري في اليمن ، ويدعو لاقرار السلام فيها ، ولو في ظل صيغة تصالح تقسم بها اراضي الجمهورية الى نصفين : نصف للجمهوريين ، والنصف الآخر للاماميين ! وهو يعبر عن هذا المخطط الرجعي الجهنمي الذي لم يجهضه الا توقيف عبد الناصر له في مصر بناء على طلب المشير عبد الله السلال الذي لم تفته معرفة نوايا البيضاني هذه المعادية لخط الثورة اليمنية والعربية - يعبر عن هذا المخطط في ص ١٦١ - ١٦٤ - من كتابه على النحو التالي : « عندما بدأ التخطيط لثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ اتضح اننا في حاجة الى دعم سياسي وعسكري من مصر ، وهذا لم يعد الآن خافيا على أحد ، بعد أن نشرته كل الكتب الاجنبية التي كتبت عن احداث اليمن ، وكان من المتفق عليه أنه يكفي ٣٠٠ عسكري مصري وثلاث طائرات ، كرمز فقط يقنع الشعب اليمني بهوية القائمين على النظام الجديد ، وقد وصلت المساعدة العسكرية ابتداء من اليوم الثالث عشر او الرابع عشر من قيام الثورة . لكننا فوجئنا بتكرار المأساة التي وقعت في سوريا أيام وحدتها مع مصر ، فوجئنا بتدخل سياسي مباشر من جانب هذه القوات المصرية بموجب أوامر من القاهرة . وبدأ يتضح أن هذا التدخل يكاد يلغى شخصية اليمنيين القائمين بالحكم في اليمن ، مما سهل على الذين عارضوا النظام الجديد استمالة

قطاعات شعبية كبيرة تحت شعار مقاومة ما وصفوه بالاستعمار  
المصرى . « وكنت » بحكم منصبى وبسبب المسئوليات التى القيت على  
عاتقى فى ذلك الوقت فى موقع الصدام مع بعض تصرفات القيادة  
العسكرية العربية فى اليمن ، « وكنتيجة لعدة عوامل يمنية  
موضوعية ، وأخرى دولية ، بالإضافة الى خروج القوات المصرية فى  
اليمن عن الهدف الذى جاءت الى اليمن من أجله ، وظهورها على نحو  
ما فى صورة لم تتفق مع طبيعة الشعب اليمنى وحرصه على استقلال  
ارادته الوطنية ، كل ذلك ادى الى اتساع رقعة المعارك الحربية التى  
مزقت الصفوف الوطنية ، وحالت دون تحقيق التقدم الاقتصادي  
والاجتماعى الذى هو بيت القصيد الذى استهدفه النظام الجديد فى  
اليمن . لذلك حاولت بحكم منصبى كنائب لرئيس الجمهورية ورئيس  
الوزراء ووزير الخارجية ان اصفى حسابات اليمن مع كل من امريكا  
وبريطانيا لاستعادة السلام الى اليمن ، « فوصلت الى القاهرة على  
رأس وفد عسكري لشرح هذه الظروف للرئيس عبد الناصر ، ولم  
أكن أدري أن النفوذ الشيوعى كان قد وصل الى العصب الحساس فى  
القاهرة ، وكان التيار الشيوعى يرفض السلام فى اليمن ، لأن  
السلام فى اليمن معناه الاستغناء عن التواجد الشيوعى المتمثل فى  
الاسلحة والخبراء الى جانب القوات المصرية التى اصبحت تتأثر بهذا  
العصب الحساس وتخدم اهداف من يضغطون عليه ، سواء علمت  
بذلك أو لم تعلم . وكنت أشعر بالاطماع الشيوعية فى اليمن ، وكان  
ذلك مما دفعنى الى الاعلان عن اننا لن نقبل الشيوعية ، ولن نسكت  
عليها فى اليمن ، وكان ذلك فى خطاب شعبى عام ، ثم اندفعت الى  
طلب السلام بأى ثمن ، ونصف الجمهورية خير من الشيوعية ،  
ونصف الامامية خير من الشيوعية ، وبعد اقرار السلام فى اليمن  
نتفق جميعا ، جمهوريين واماميين لاننا جميعا من المؤمنين ، ثم يأخذ  
التطور الحضارى مجراه فى اليمن بهدوء وتدرج ، بعد ان فتح النظام  
الجديد أبواب التطور والحضارة أمام الشعب اليمنى . »

ولما لم يغتفر البيضانى لعبد الناصر ابقاءه فى مصر ، واضطراره  
اياه الى العودة من عدن ، بعد أن قفز الى هناك قادما من المانيا  
الغربية ، بغية الزحف من هناك - كما قال - على اراضى الجمهورية  
لولا وجود جيش اجنبى فيها - أى وجود الجيش المصرى - لما لم  
يغتفر له ذلك ، ولم ينس له وضعه اياه فى السجن العربى ، عقابا  
له على هذه المحاولة السافرة للاستعانة بالاستعمار البريطانى والالمانى



الغربي على الجمهورية الوليدة ، وعلى جيش مصر المداقع عنها ، فانه مضى يصب في كتابه هذا جام غضبه الاسود على القائد الراحل ، وينفث سموم حقه الاعمى عليه ، حيث كتب عنه في ص ١٧١ - وباسلوب يدعو الى الأشمئزاز والتقزز ، كما يدعو الى الادانة والاستهجان - بقوله ، لقد انتهت « الجنازة القديمة وتم دفن الماضي البغيض وذابت مع التراب جثة الحقــد والفرجسية التي مزقت الصفوف وهدمت المعابد فوق رؤوس المريدين قبل المبغضين » .

على أن البيضاني - عندما أحس بغضبة الوطنيين اليمنيين العامة لهذا التطاول على دور مصر ودور قائدها الراحل جمال عبد الناصر في اليمن ، وبعد أن استخلصنا من الكتاب مثل هذه الفقرات الجارحة ، وبسطناها - في محاضرة لنا في رابطة الطلبة اليمنيين في القاهرة - عندما حدث ذلك ، عاد الى لعبة تخفيف وقع تهجماته هذه - ولكن دون توفيق - حيث نشر في مجلة الأذاعة والتليفزيون القاهرية في عدد ١٩٧٥/١١/٢٩ حديثا حول كتابه هذا أكد فيه مرة أخرى أنه تبين ان الحرب في اليمن لم تكن لها من نتيجة سوى استجلاب السلاح السوفيتي الى الساحة اليمنية الذي كان الكفيل لليمن فيه « هو مصر بزعامه الرئيس عبد الناصر ، ولم يكن الرئيس هو الكفيل فقط ، بل كان الى جانب هذا انقــسوات المصرية التي اشتركت في تأمين النظام الجديد ، وكنا مجبرين على التحرك في هذه الدائرة التي تبينا من خلالها اننا تورطنا في حرب أهليه ، وكدنا نفقد استقلالنا » . واذن فان استقلال اليمن كاديفقد بسبب الدائرة السوفيتية - المصرية التي اخذت تطبق على عنقها ، وليس بسبب دائرة الحرب الاستعمارية - الرجعية ، وليس الاهلية فقط ، التي أخذت تدور رحاها على الساحة اليمنية ! صحيح ان البيضاني اردف قائلا ان « قرار مصر بمساندة شعب اليمن وسام تاريخي يعلق على صدر مصر » ولكنه لا يلبث ان ينسف قيمة هذا ( القرار ) أو يهيل عليه التراب ، عندما يكتب : « اما تجاوز القيادة المصرية دائرة مساعدة الشعب اليمني ، واتخاذها من هذه المهمة قاعدة للصراع مع المملكة السعودية ، والغاء شخصية القيادة اليمنية ، وتسخر ( وتسخير ) القدرات اليمنية المحدودة في معارك لا ناقة فيها للشعب اليمني ولا جمل ، فهذا هو التجاوز الذي يمكن أن يصبح محل مأخذة تاريخية » .

وفي كل ما كتبه البيضاني لا يسمع المرء منه أو يقرأ له كلمة

واحدة ضد قوى الاستعمار والامبريالية وحلفائها الرجعيين في المنطقة ، ومسئولية هؤلاء جميعا في اشعال الحرب الاهلية في اليمن ، وفي محاولة القضاء على الثورة والجمهورية اليمنية ، والقضاء على استقلال اليمن وشخصيتها الوطنية ، والحيلولة بينها وبين المضي في طريق التحرر والتقدم والوحدة ( ولا عبرة هنا ببعض ما قاله في بداية الثورة ضد الرجعية ، حيث انه تنصل عنه تماما ، باعتباره كلاما مفروضا عليه ، كما يتضح من كتاباته اللاحقة التي تعبر عن حقيقة ايدولوجيته المحافظة وخطه السياسي اليميني ، وكما يتضح ذلك جيدا من كتابه الاخير هذا الذي نحن بصدده ) .

وهو بدلا من الاشارة الى العدو الحقيقي الذي عمل جاهدا على ادلال الشعب اليمني وفرض التخلف والظلم عليه بالحديد والنار ، والذي اسال دمه ودم مصر معه في حرب اليمن التي دامت بضعة سنين ، فأنه يكيل التهم لمصر التي هبت لنجدة الشعب ولقيادتها القومية التي بانبرائها للنود عن حق هذا الشعب في التحرر ، مست استقلاله وجرحته ذاتيته الوطنية !

واذا كان المرء لا يعجب من أي كلام قد يصدر عن البيضاني ، حيث انه في امكانه - برغم ثبات خطة اليميني المحافظ - أن يقول أي شيء ، وان يقول الشيء ونقيضه في ذات الوقت - حسب الطلب - فان العجب لا ينقضي ، عندما تأتي عناصر يمنية تدعى اليسارية أو التقدمية لا تستطيع أن ترى دور مصر الثوري في اليمن الا من زاوية ( وثقب ) عيد الرحمن البيضاني ، ثقب ان مصر جاءت به الى اليمن ، ليلعب دورا تخريبيا في ثورتها . فليكن ذلك من سلبيات الدور المصري في اليمن ، ويكفي مصر عقابا أن البيضاني عاد لبعض اليد التي احسنت اليه !

والغريب كذلك أن مثل هذه العناصر المحسوبة على اليسار اليمني لا تكتفى بالنظر الى دور مصر القومي في اليمن من ( زاوية ) دور البيضاني الشخصي فيها ، وانما هي فوق ذلك تهاجم ماتسميه « التدخل المصري » فيها ، كما فعل عمر الجاوي ، رئيس تحرير مجلة ( الحكمة ) اليمنية الذي كتب في عدد مارس ١٩٧٥ منها في ص ٨١ بانه قد حيى القاضي محمد محمود الزبيري - أحد زعماء حركة المعارضة التقليدية اليمنية - لموقفه « الاخير في عشية ثورة ٢٦ سبتمبر حين رفض التدخل الثوري من الجمهورية العربية

المتحدة لقلب نظام الامام » لأن ذلك يعنى أن يدمغ الشعب بوصمة  
فى جبينه الى الابد ، .

واذا كان ( هذا الموقف لا يريح » اليسار الناصرى » ) كما  
كتب ، كما لا يريح بالتأكيد ايضا كل قوى التقدم فى اليمن والوطن  
العربى وفى العالم كله ، فانه دون شك يريح الاوساط الرجعية  
والاستعمارية ، بما فيها اسرة بيت حميد الدين المستقلة التى كانت  
أول من وقف ضد « التدخل الثورى » لمصر فى اليمن ، لقلب نظامها  
الامامى الرجعى !

هكذا تكون نهاية بعض ( المتحذلقين المرتدين ) الذين غابت  
عنهم بعض المفاهيم الاولى للفكر الوطنى والقومى والتقدمى : ان  
يسقطوا مباشرة فى احضان المفاهيم والمواقف الموغلة فى اليمينية  
والرجعية ، وانتهى لاتجعل منهم - فى هذه الناحية على الاقل - صورة  
افضل من صورة عبد الرحمن اليفضانى الذى يحاسبون مصر على دوره  
السلبى فى الثورة اليمنية ، ويحسبونه عليها جملة وتفصيلا ، برغم  
كل اساءاته وتشويهه لدور مصر ودور عبد الناصر الثورى فى اليمن !  
ولكى نقرب فهم الحركة القومية التوحيدية التحررية انشورية التى  
قادها عبد الناصر لامثال هؤلاء الذين يهاجمونه ويهاجمونها اليوم  
نقول لهم : لقد وقف الغرب بالتعاون مع الامبراطورية العثمانية  
وبعض الاوساط الاقطاعية العربية ضد حركة التوحيد القومية  
البورجوازية المبكرة التى قادها - من مصر وبجيش مصر - محمد على  
باشا وابراهيم باشا ، واضطر جيش مصر نتيجة لذلك للعودة من  
الجزيرة العربية ومن اليمن ، كما تم بفعل ذلك القضاء على وحدة  
مصر وسوريا التى كانت قد تحققت آنذاك . وذلك هو تقريبا - مع  
فارق الظروف - ما فعله الاستعمار الحديث بالتعاون مع الاقطاع  
العربى والبورجوازية الكومبرادورية العربية ضد عبد الناصر  
وجيشه ، حيث عمل على فك وحدة مصر وسوريا التى قامت تحت  
قيادته ، وعلى اخراج جيشه من اليمن ، وكأن التاريخ يعيد نفسه !

من هنا تبدو كم هى متخلفة ورجعية تلك المفاهيم والمواقف  
التي اتخذتها القوى المناوئة لدور عبد الناصر القومى ، ومنها حزب  
الاخوان المسلمين المنحل الذى اتخذ من البداية موقفا معاديا لناصر  
والناصرية وخط ثورة يوليو النضالى فى المنطقة العربية . وقد أعرب  
عن هذا الموقف مؤخرا عبد الحكيم عابدين السكرتير السابق لحزب

الاخوان بمناسبة عودته الى مصر ، حيث قال - كما نشرت جريدة الجمهورية في ٢٤/١/١٩٧٦ - : « استنكرنا حرب اليمن اشد انكار نحن والاخوان المسلمون ، في كل البلاد الاسلامية ، لانها قتلت من المسلمين في اليمن ٣٠٠ ألف حسب احصائيات الامم المتحدة ، فضلا عن ٤٠ ألفا من خيرة المقاتلين المصريين ، ولا ادل على فسادها أكثر من جواب عبد الناصر يوم سأله مندوب إحدى الوكالات ، عما اذا كان لديه نية في محاربة الصهيونية ، فقال كيف تنتظر مني أن نحارب في فلسطين ، وعندى ٥٠ ألفا من صفوف الجيش المصري في اليمن . معناه أنه كان يرى أن تقتيل المسلمين في اليمن أهم وأولى من محاربة اسرائيل » .

لسنا بحاجة هنا الى مناقشة مدى صحة معلومات عبد الحكيم عابدين عن رقم الشهداء المصريين واليمنيين الذين سقطوا في اليمن دفاعا عن الثورة والجمهورية ، ولا الى مناقشة حديثه المجرد والعام عن المسلمين ، ولا الى تبيان مواقف عبد الناصر القومية من اسرائيل ، ولكننا نريد فقط أن نذكر الاستاذ عابدين بحقيقة بديهية وبسيطة ، وهي أن هذا القائد القومي الفذ لم يذهب الى اليمن الا لمحاربة الرجعية والاستعمار الانجليزى والامريكى ، وانصرة ثورة اليمن ، على عكس ما فعل الاستاذ عابدين نفسه عندما ذهب كممثل لحزبه الى صنعاء غداة انقلاب ١٩٤٨ الذى تم تديره بالتواطؤ الكامل بين الدوائر الانجليزية وحزب الاخوان المسلمين ، وبعض القوى الاقطاعية والكومبرادورية في اليمن ، وهو انقلاب راح ضحيته الكثير من الانفس « المسلمة » من رجالات الانقلاب وكانت نتيجته انتقال السلطة من يد الامام يحيى الى يد نجله الامام احمد الذى فتسك بالانقلابيين ، واقام حكم السيف والدم وكاد يفتك بعابدين ذاته !

ولكم كان امير اسكندر مصيبا عندما كتب في عدد سبتمبر - نوفمبر من ( الشراة ) لعام ١٩٧٤ ، ص ٣٧ / ٣٨ : « ولعل حرب اليمن ، برغم كل ما قيل فيها وعنهما ، كانت صورة من صور الطموح الجماهيرى العربى نحو امة عربية واحدة وتقديرية . ولم تكن دماء اكثر من خمسة عشر ألفا من الشهداء المصريين فوق تلال اليمن ، بصرف النظر عن النتائج التى وصلت اليها لاسباب كثيرة ( تخص ) مسيرة الثورة اليمنية ، بلا ثمن ، كانت على الاقل ومن خلال المنظور التاريخى الصحيح ، تحقيقا لارادة ، وتجسيدا لرمز ، وتعميقا لوعى



امة عربية ، كانت تبحث عن نفسها بعد قرون طويلة من الضياع .  
وكان تحرك مصر الناصرية في اليمن جزءا من تحركها القومي  
الشامل وذروة عليا فيه ، « وخاصة بعد أن اتجهت الثورة وجهتها  
الاجتماعية التقدمية » حيث انغمست « في تأييد ومساندة ودعم  
الحركات التقدمية والتحررية العربية ، من الجزائر ، الى اليمن ، الى  
الجنوب المحتل ، مرورا بالاردن ولبنان والعراق وغيرها » . ( ص ٦٠  
من المصدر السابق ) .

ولكن هل معنى ذلك انه لم يكن ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن ،  
وثورة ٢٣ يوليو الرائدة اخطاء أو سلبيات أو نواقص أو عيوب في  
اليمن ؟ بلى . . . !!

لقد كان من هذه السلبيات والاطفاء والنواقص والعيوب عدم  
مضى الثوار اليمنيين وحلفائهم المصريين في طريق مواجهة القوى  
الاقطاعية والاستقرائية العشائرية مواجهة اجتماعية واقتصادية  
حاسمة ، بهدف تغيير بنية المجتمع اليمني تغييرا جذريا ، واخراج  
وضرب هذه القوى الرجعية التي كانت تشكل اعمدة النظام لامامى ،  
ودعائم التخلف وركائز النفوذ الاجنبى في اليمن ، ولجوتهم بدلا من  
ذلك الى اسلوب استرضاء هذه القوى المتخلفة ومصالحتها ، وخلق  
الهيئات الرسمية الخاصة بها ، واشراكها في اجهزة السلطة  
التنفيذية . والرضوخ لضغوطها ، وتقديم الامتيازات والميزانيات  
الضخمة لها !

ومن هذه الثغرات انه لم يكن لدى ثوار سبتمبر او  
لدى حلفائهم هدف واضح ومحدد اكثر من ازاحة ( الامام ) والامامة ،  
واعلان الجمهورية ، دون تحديد لطبيعة مهام هذه الجمهورية . وحتى  
المبادئ الستة العامة جدا التي اعلنت مع قيام الثورة ، والتي  
استقيت من مبادئ ثورة ٢٣ يوليو لم توضع في الممارسة بكل  
ابعادها . ومنذ نشوب الثورة اليمنية لم يوضع برنامج عمل وطني  
يحدد استراتيجيتها وتكتيكاتها ، والقوى الاجتماعية ذات المصلحة  
فيها ، ولم يهتم احد بحشد وتعبئة وتوعية وتنظيم وقيادة الجماهير  
اليمنية العريضة لانجاز مهام الثورة الوطنية والديمقراطية . وكانت  
النتيجة العملية لذلك كله هو ان قوى الاقطاع والقبلية اليمنية  
انتعشت في ظل الثورة والوجود المصرى في اليمن ، وبفعل الاموال  
الطائلة التي اغدفت عليها حتى من الجانب الثورى على امل اكتسابها  
ضد القوى الملكية ، كما لم تنتعش في أى يوم مضى ، بل ان طبقة

المشائخ في اليمن بلغت من النمو والتضخم حدا لم تبلغه من قبل ، حيث اتسعت قاعدتها الاجتماعية ، وازدادت مصالحها الاقتصادية ، واثرت ثراء فاحشا ، وتحولت الى غول سياسي اخذ يمسك برقبة الجمهورية والشعب ، ويناوئ الوجود المصري في اليمن ، شأن القوى الملكية والاستعمارية ذاتها حتى امكن لها - فور خروج الجيش المصري من اليمن - ان تنقض في ٥ نوفمبر ١٩٦٧ على السلطة ، وتبتعث كل مساوي الحكم الامامي ، وتضيف اليها مساوي اخرى جديدة ، وتعمل على القضاء على الحركة الوطنية اليمنية في شمال البلاد بمختلف الاساليب والوسائل ، وعلى محاولة ضرب النظام الوطني في جنوبها ، حتى بشن الحرب الاهلية عليه ، كما حدث في خريف ١٩٧٢ - بتحريض من القوى الرجعية والاجنبية في الخارج - ناهيك عن ان هذه الطبقة تحولت - شأن الاسرة المالكة - الى طبقة عميلة للقوى الاستعمارية والرجعية في الخارج .

لقد كان يمكن ان تمضي الامور في شمال اليمن في ذات الاتجاه الراديكالي الثوري انذى مضت فيه في جنوبها ، لو انه اتيح للحركة الوطنية اليمنية في هذا الجزء من اليمن الاسهام الفعال في العمل الشعبي ، ومكنت من تنظيم نفسها ، وتعبئة جماهير الشعب اليمني في جو من الحريات الديمقراطية ، بدلا من الاعتماد على المشائخ والقبائل في مواجهة القوى الملكية ، الامر الذي عاد - في الاغلب - بنتائج سلبية !!

لقد ساعدت ظروف الاحتلال البريطاني لجنوب اليمن ، واسهم العمل النضالي على تحرير هذا الشطر منه في خلق حركة شعبية منظمة ومسلحة ، شاطرت القيادة المصرية في ايمن في خلقها وتنميتها ، وشاركت القيادة اليمنية في صنعاء في دعمها وتعزيز مواقعها ، ولم يكن هناك ما يمنع - بالنسبة للقيادة المصرية واليمنية معا - من عمل ذات الشيء في شمال البلاد ، لمواجهة الجحافل الملكية وقوى المرتزقة الاجانب .

ولو ان قيادات الثورة اليمنية ( ثورة ٢٦ سبتمبر ، وثورة ١٤ اكتوبر ) قد عملت على مستوى اتساحة اليمنية ، وخطت بشكل مشترك لتحرير وتوحيد الوطن اليمني ، لكان من الممكن ان توجد حركة تحرير وطني يمنية موحدة ، شابة وفتية ، وقادرة على وضع اليمن كلها على طريق الوحدة الوطنية ، والتقدم الاجتماعي ، والنهضة الحضارية الشاملة ، ولما مضت الامور في اتجاهين متعاكسين هنا

وهناك ، ولما سقط حكم المشير عبد الله السلالة الوطنى ، ولما كان حتميا أن تقوم دولتان يمينيتان ، بدلا من دولة يمنية واحدة ، مركزية متحررة ، وطنية ديمقراطية .

اولا يجوز لنا ان نستعير فى هذا الصدد تعبير الاستاذ احمد بهاء الدين الذى ضمنه مقالة ( ثورة اكثر ٠٠ او اقل ) الذى نشره فى الاهرام فى ١٨ / ١ / ١٩٧٦ ، فى معرض رده على المهاجمين لثورة ٢٣ يوليو ، عن طريق التركيز على سلبياتها ، وجعلها هى الأساسية ونسبة كل مشكلة واجهتها وتواجهها مصر اليها ، والذى جاء فيه « ان المشكلة ليست فى ان ثورة قامت ، ولكن فى ان الثورة لم تثر بالدرجة الكافية » .

نعم يجوز لنا ان نقول ذلك ، وان نقول ايضا ان اليمن كانت تحتاج قدرا اكبر من الحماس الثورى ، وكمية اوفر من الوعى الوطنى والاجتماعى ، وشحنة اعظم من العمل الشعبى والمنظم ، وكانت تتطلب تطوير الثورة ، بحيث تغدو ثورة وطنية يمنية شاملة عارمة موحدة ، بقيادة سياسية واحدة ، وجبهة وطنية ديمقراطية عريضة واحدة ، وجهاز ثورى قيادى واحد ، بهدف خلق اليمن الموحد المتحرر الديمقراطى المتقدم ، وهو هدف مايزال قائما حتى الآن امام الحركة والثورة الوطنية اليمنية وسيظل قائما امامها حتى يتحقق ، ولا مفر من تحقيقه !

وبعد : فانه لىخطئ خطأ جسيما من يقيسون دور مصر وعبد الناصر فى اليمن ببعض تصرفات ( مراكز القوى ) و ( الاجهزة العربية ) هناك ، هذه المراكز والاجهزة التى وجدت نفسها - فى بعض الحالات - تؤثر التعامل مع مشائخ الاقطاع ، كالشيخ عبد الله بن حسين الاحمر وامثاله من مشائخ اليمن ، ومع زعماء جبهة التحرير اليمنيين كعبد القوى مكاوى وعبد الله الاصنيج واششباباهما من العناصر التقليدية - فتلك كانت فى الواقع طريقة هذه المراكز والاجهزة فى ادارة ( لعبة الصراع ) مع المخابرات البريطانية ، على امل سحب البساط من تحت اقدامها ، وان كانت المخابرات الامريكية قد كسبت الرهان فى آخر الامر !

واذا كانت قد نشأت ( عقدة ناصرية ) او ( عقدة مصرية ) لدى بعض الاوساط اليمنية - بفعل الدعايات الرجعية والاستعمارية ، وبسبب بقايا الروح الاقليمية والقبلية والانفrazالية فى اليمن - واذا

كان الاستعمار قد اراد ترسيخ هذه العقدة المصطنعة وتعميق هذه الروح المقيته ، عندما دفع بالأحداث - لهذا الغرض - في اتجاه أنه يتسلم الجناح اليمنى الاقطاعى القبلى السلطة فى صنعاء فى ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ، وأن يتسلم الجناح اليمىنى المشبوه فى الجبهة القومية علم الاستقلال لعدن فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ، فأن الحركة التصحيحية التى قادها الجناح اليسارى فى الجبهة القومية فى الشطر الجنوبى من الوطن اليمنى فى ٢٢ يونية ١٩٦٩ ضد الجناح اليمىنى واثتت احدث بها تغييرا جذريا فى البنية الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية والثقافية ، وحركة ١٣ يونية ١٩٧٤ التى قادها المقدم ابراهيم الحمدي فى الشطر الشمالى منه ، والتى سقطت بها ابرز عناصر انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ، والتى شرعت تمضى بزعامته فى اتجاه تصحيح اوضاع البلاد السياسية والادارية ، وفى اتجاه تصفية رموز الاقطاع والقبلية ، أن هاتين الحركتين قد اخذتا تتجهان باليمن ، نحو تجاوز ( العقدة الناصرية ) وتخطى الروح الاقليمية والقبلية والانعزالية القديمة .

ولقد كان الدور الذى لعبته اليمن - وبصورة خاصة النظام الوطنى فى جنوبها - فى حصار باب المندب الذى ضربه الاسطول المصرى أثناء حرب ٦ اكتوبر المجيدة ، والذى اشاد به الرئيس السادات شخصيا ، هو نقطة التحول فى العلاقات بين مصر واليمن ، وتوجيهها الوجهة الصحيحة التى تتفق مع دور مصر العظيم فى اليمن ، وبالتالى فى اسقاط حائط الحصار والعزلة الذى ضرب بينهما بعد خروج الجيش المصرى من اليمن .

ولا تكف تصريحات المسئولين الاساسيين فى كل من صنعاء وعدن عن تأكيد الاهمية الاستثنائية للدور القومى الجبار الذى نهضت به مصر ازاء اليمن وثورته ، وفى خطابه بمناسبة الذكرى الثالثة عشر لثورة ٢٦ سبتمبر نوه المقدم ابراهيم الحمدي رئيس مجلس القيادة فى صنعاء بـ « الشهداء الاخيار من اخواننا ابنا مصر العربية الذين ضحوا بدمائهم وأرواحهم على ثرى هذا الوطن العزيز ، نصرا لقضيتنا العادلة ، ودفاعا معنا عن ثورتنا ، ونظامنا الجمهورى » وفى تصريح له قال رئيس مجلس الرئاسة فى عدن سالم ربيع على أن « مساهمتنا المتواضعة فى حرب اكتوبر لا يمكن ان تفى بدور مصر السابق فى اليمن ، دعما لثورتها فى الشمال والجنوب ، ذلك « أن لمصر فى اعناقنا ديننا غير قابل للوفاء ، » ( الاهرام ١١/٩/٧٤ )



ومنذ زيارة الرئيس سالم ربيع علي الى القاهرة في سبتمبر ١٩٧٤ شهدت العلاقات بين عدن والقاهرة تطورا ملحوظا غدت مصر تلعب معه دورا هاما في فك الاشتباك بين عدن والانظمة التقليدية المتنازعة معه في الجزيرة ، وفي ايجاد علاقات من حسن الجوار والاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ، وبما يتفق مع مقتضيات النضال العربي في مواجهة العدو الصهيوني الجاثم على الارض العربية .

ومن ناحية اخرى فان الزيارة انتهت قام بها المقدم ابراهيم الحمدي رئيس مجلس القيادة في صنعاء الى القاهرة في ١ / ٣ / ٧٦ قد احدثت تطورا كبيرا في العلاقات بين مصر وصنعاء وفتحت الطريق لنموها المطرد ، بما يتمشى مع دور مصر القومي ازاء اليمن ، واستمرارا بهذا الدور ، وبما يمكن اليمن من النهوض بواجبها القومي العربي . وذلك ما عبرت عنه كلماته التي نشرتها الاهرام في ١٩٧٦/٣/٣ حيث قال : « أن العلاقات بين البلدين الشقيقين علاقات لها طابع خاص ، وبالتالي فإن هذه الزيادة تأتي لبحث تجديد وتوسيع اوجه التعاون والنشاط في مختلف المجالات ، و « اننا ننظر لمصر نظرة خاصة ، فمصر الاخاء ، ومصر التضحية ، ومصر الوفاء قد بذلت الكثير من اجل اليمن ، واني انتهز هذه الفرصة لوجه كلمة وفاء لكل اخ مصري والى الشعب والى فخامة الرئيس محمد أنور السادات ، « فاهيك عما تضمنه البيان المشترك من اشادة المقدم الحمدي « بالدور الذي قامت به مصر في دعم مسار الثورة اليمنية ، ( الاهرام ١٩٧٦/٣/٥ ) .

ان هذا التطور في العلاقات بين شطري اليمن من جهة وبين مصر من جهة اخرى ، وبما يتفق مع مصالح الامة العربية جمعاء ، فيه الرد الكامل والمفحم على اولئك الذين ظلوا يتباكون من سوء حظ مصر التي اوقعها عبد الناصر في ( حبال اليمن ) دون ان تجنى من ذلك سوى ما جناه ( سنمار ) من جزاء !

ولسوف تتمكن اليمن من ضرب سياسة الاستيعاب والاحتواء الرجعية الاستعمارية ولسوف تمضي اليمن - بقوة الثورة اليمنية وقوة الشعب وحرارة الوطنية ، ودعم ثورة ٢٣ يوليو وحركة التحرير الوطني العربية والعالمية وقوى التقدم في العالم كله - في طريق استكمال تحريرها الوطني وتحقيق وحدتها السياسية ، وانجاز تقدمها الاجتماعي ، والنهوض بدورها القومي والثوري ازاء امته العربية والانسانية جمعاء .

(١) ان ما ينفي الزعم القائل بأن تدخل مصر في اليمن كان مرحباً به من البداية من قبل الاستعمار الامريكى لتوريط عبد الناصر هناك ، تلك الوقائع المادية القاطنة التي اشار الى بعضها كتاب ( مصر وامريكا ) الذى اصدره مركز الدراسات السياسية والامترائية بالاهرام عام ١٩٧٦ ، والتي اوردها في ص ٢٣ على النحو التالى : « وفي ٢٩ / ٩ / ١٩٦٢ اعترفت الجمهورية العربية المتحدة بالنظام الجمهورى الجديد في اليمن . وفي ١٠ / ١٠ / ١٩٦٢ اعلن عن توقيع اتفاقية دفاع بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية اليمن . وقد تدخلت ج.ع.م عسكرياً لمساندة النظام الجمهورى الثورى في اليمن ، فقد اعلنت صحيفة الاهرام القاهرية في ١٠/١٠/١٩٦٢ أن القوات المصرية المسلحة تدخلت بعد الثورة اليمنية مباشرة لتدعيم النظام الثورى الجديد . ولم يكن الوجود المصرى العسكرى في اليمن يعد عملاً مقبولاً من وجهة نظر الولايات المتحدة ، ذلك انه كان يمثل تهديداً للنظم الملكية المحافظة التي لها علاقة طيبة مع الولايات المتحدة في منطقة الجزيرة العربية ، وحيث تقع مصالح هامة للولايات المتحدة ، ممثلة في ابار البترول الخليجية الغنية . ولذا فقد كان التدخل المصرى في اليمن يمثل قضية خلافية هامة في العلاقات بين البلدين حتى في عهد كيندى ، وقد سبق ان رأينا الاصوات المؤثرة في الكونجرس الامريكى كانت ترى انه يجب قطع المعونة الامريكية عن نظام عبد الناصر ، وكانت احد مبرراتها « المفارقة العسكرية لعبد الناصر في اليمن » على حد تعبيرهم ، ولقد استمرت هذه القضية الخلافية تؤثر في علاقات الدولتين حتى انتهى الوجود العسكرى المصرى في اليمن . ففي ٤/٨/١٩٦٥ اعلنت وزارة الخارجية الامريكية انها « ستشجب أى هجوم تشنه ج.ع.م على المملكة العربية السعودية ، وانها تؤيد المحافظة على كيان المملكة » وفي أول مايو ١٩٦٦ كان الرئيس جمال عبد الناصر قد قال « ان ج.ع.م سوف تضرب قواعد العدوان في السعودية ، اذا عادت للعمل ضد الثورة اليمنية والشعب اليمنى » وقد جاء الرد الامريكى في تصريح منسوب للمصادر العليا المسئولة في واشنطن بأن الولايات المتحدة لاتزال ملتزمة بالدفاع عن المملكة العربية السعودية .

(٢) من احسن الردود على ما جاء في كتاب ( الصامتون يتكلمون ) حول اليمن ما كتبه السكرتير الخاص السابق للرئيس عبد الناصر السيد محمود الجيار في عدد ٨ - ٣ - ١٩٧٦ من روز اليوسف بقوله : « توقفت أيضاً على صفحات مجلة الاذاعة عند قول الاديب ثروت أباظة عن عبد الناصر : « وقال ثورة بيضاء ، ثم أصدر دماء الشباب في حرب اليمن وحربى سيناء ، من أجل مجده الشخصى ، ومن أجل خراب مصر ... » لم اتوقف في هذه الكلمات عند « حربى سيناء » فاحداهما

صفحة خالدة من تاريخنا ، وحادث حاسم في تاريخ العالم ، والاخرى قصة لا تزال تدرسها لجان مكلفة بوضع تاريخها وتحديد المسئولية عنها ، وانما توقفت طويلا هذه كلمة : حرب اليمن - والسبب ان حروب اليمن هذه لم يقررها جمال عبدالناصر ، وانما قررها مجلس الرئاسة مجتمعا ، وقررها بالاجماع ، وكان من الذين قرروها عبد اللطيف البغدادي ، وكمال حسين ، اى انها لم تكن من اجل مجد شخص لجمال عبد الناصر . كانت السعودية وقت الحلاف معها قد لعبت الدور الاول في تحقيق انفصال سوريا ، وكان الاستعمار قد بدأ يزحف للاجهاز على مصر ايضا . لم جاءت ثورة اليمن ، فكان طبيعيا ان تساندها مصر ، وكان طبيعيا ان تسانده السعودية النظام القديم . وكان التدخل من الطرفين . ومن المضحك حقا ان نقرأ على لسان بعض أعضاء مجلس الرئاسة الذين اتخذوا قرار مساعدة ثورة اليمن ، ان قرارهم كان يقضى بارسال « قوات رمزية » فقط . من المضحك هذا ، لان القوات الرمزية لا تذهب للاستعراض ، وانما تذهب للقتال . وعندما يبدأ القتال لا يمكن التحكم في مدى اتساعه ، خاصة في مواجهة خصم عنيد كالسعودية وقتها . لقد ذهبت بالفعل قوات رمزية الى اليمن ، وكانت كلها من افراد الصاعقة الذين هبطوا فوق الجبال ، ووقعت فيهم اول الحسائر وأبلغها بالفعل . فهل كان مطلوبا ، بعد ان هبطوا واشتبكوا في المصارك ، ان تركهم يذهبون هناك ؟ لا أريد ان أواصل الجدل حول صحة أو خطأ حرب اليمن ، ولكنني أقطع بأن مساندة مصر العسكرية لثورة اليمن لم تكن قرارا شخصيا ، هدفه المجد الشخصي لجمال عبد الناصر . وانما كانت قرارا جماعيا ، واجماعيا ، شارك فيه كل الذين يحاولون في هذه الايام التنصل منه والقاء تبعته زورا على جمال عبد الناصر .

## الاهمية الاستثنائية لدور عبد الناصر وثورة عبد الناصر لم يكن يعبت في اليمن

كما يتعرض الانبياء والابطال والافيداذ والزعماء للتقديس والتأليه ، فانهم قد يتعرضون كذلك للتشهير والتسفيه ، وكما يجعل قوم من رئيسهم عجلا اوصنما أو رمزا يعبد ويعظم ، فانهم قد يحيلونه الى شيطان يرحم ويلعن !

لقد حدث ذلك مع اصحاب الرسالات الدينية ، والاجتماعية واصحاب الدعوات الوطنية والقومية .

ولسنا هنا في حاجة الى ضرب الامثال والشواهد التاريخية البعيدة والقريبة ، على ذلك . يكفي فقط ان نتذكر - مثلاً - أن الزعيم أحمد عرابي الذي قاد أول ثورة وطنية حديثة في تاريخ مصر المعاصر ، مماكاد يعود من منفا الموحش والقاسي والطويل الامد ، حتى واجه حملة ضارية من الطعن والتجريح ، لم يتسورع عن الاشتراك فيها ، بل وقيادتها حتى الزعيم مصطفى كامل نفسه . لقد بلغ التجنى على عرابي حد أن اتهم - وهو الذي ثار ضد النفوذ الاجنبي ، وطالب بالحرية والديمقراطية - بأنه لم يصنع غير احداث ( قبتنة ) في البلاد ، تسبب بها في وقوع مصر تحت الاحتلال البريطاني !

وشخصية قومية ضخمة كشخصية جمال عبد الناصر ، ماكان يمكن أن تنجو من التعرض لمثل هذا التشويه الذي يتعرض له افاذاذ الرجال وعظماؤهم عبر التاريخ القديم والحديث معا . فكما كان ملء ساحة النضال العربي ، وعلى رأس حركة الاحداث الوطنية والقومية طيلة حياته السياسية ، وكان بالتالي ملء السمع والبصر ، وموضع تقدير واعجاب خصومه ، ناهيك عن حلفائه ، حتى غسدا بالنسبة لجميع الثوار العرب بكل تياراتهم ونزعاتهم رمزا للحقبة القومية والثورية الممتدة ما بين الخمسينيات والستينيات ، وفارسها



الذى لا يشق له غبار ، وحتى شعر الناس - وعلى رأسهم بسطاوهم - بأنه بغيابه ، قد حدث ( فراغ ) حقيقى ليس من السهل ملؤه، فإنه ما كادت تمضى على مائة سنين قليلة ، حتى ناله من التهوين من منجزاته ودوره ، ومن التشهير به والتشنيع عليه والطمس لأعماله ما جعله - على يد المتطاولين عليه - صورة غريبة ومنفرة لفترة من القلاقل والفتن والاضطرابات والمشاكل والدمار والالام واضطهاد الحريات ، لم تشهد المنطقة العربية مثيلا لها من قبل ، ولن تشهد مثيلا لها من بعد !

ولقد تعرض عبد الناصر وتعرضت سسيرته للهجوم من شعبتين : شعبة اليمين الرجعى المرتبط بالقوى الاستعمارية ، وشعبة القوى الوسطية الليبرالية المتباكية على ذلك الطراز من الحريات المحدودة والحكومة التى كانت تسمح بها قوى التحالف الرجعية الاستعمارية فى عهد ما قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كما أن بعض القوى الوطنية واليسارية - من جهة أخرى - لم تحسن - كما ينبغى - تقييم فترته بكل ايجابياتها وسلبياتها تقييما موضوعيا متزنا ومتكاملا ، لا يتأثر بنوازع النفس البشرية من الحب والكراهة ، الا بمقدار ما يجوز أن يكون هذا الحب أو الكراهة جزءا من عملية التقييم الموضوعية ذاتها لمجمل أعماله ومنجزاته التاريخية !

ان الخطأ جائر ومحتمل ومفترض ، سواء فى الأفراد أو الجماعات ، وفى الدول أو الامم ، وفى الثورات الوطنية الديمقراطية أو الثورات الديمقراطية الاشتراكية . بل أن التجاوزات ممكن حدوثها فى كل هذه الحالات والمراحل ، ولكن ذلك كله ينبغى أن يوضع فى مكانه ، وبحجمه الطبيعى داخل اطار العملية الثورية أو التاريخية ، وفى ضوء ظروفها الداخلية والخارجية ، بدون تبسرين أو بحث عن معاذير من الخارج أو الذات ، وبدون تضخيم أو تهويل ، أو تقليل أو تهوين ، وبدون أن يطفى جانب على الجانب الاخر ، أو تطمس السلبيات - مهما كان حجمها - الجوهر الايجابى والطابع العام التقدمى للعملية الثورية ، أو للتجربة التاريخية . تلك هى أصول البحث العلمى ، وتلك هى معايير الموضوعية التى ينبغى التسلح بها عند التصدى لاي قضية اجتماعية ، أو موضوع تاريخى ، أو حادث ثورى أو سياسى .

واذا كان ذلك مطلوبا ومفترضا فى الباحثين والمحققين العلميين فإنه غير مفترض ولا منتظر ممن لا يحركهم غير الحقد الطبقي

أو الهوى السياسى الذى تنتقى معه كل امكانية للعدل والانصاف  
وكل شبهة للعلمية والموضوعية .

ان من القضايا الخطيرة التى تتضح فيها النظرة الذاتية ،  
وتغيب معها تماما النظرة الموضوعية الامينة موقف الاستاذ توفيق  
الحكيم من دعم ثورة ٢٢ يوليو لقضايا النضال العربى ، وتحسره  
على أن هذه الثورة « ورطت » نفسها فى معارك خاسرة ، ولا شأن  
لها بها ، ولا فائدة ترجى من وراء دعمها لها . ان المثل النموذجى  
لهذا الموقف الاقليمى وغير الثورى وغير المقبول ، هو نظرة الاستاذ  
الحكيم الساخرة الى ثورة اليمن ، ودور مصر ( الخائب ) والعابث  
والرفوض من قبله ازاءها : « فقد كان من جراء خداعنا لانفسنا  
وتصديقنا للاكاذيب التى نذيعها عن انفسنا وللتهاويل التى نضعها  
ونطلقها فى الاذاعات والانشيد والاغنيات أن قمنا ننشط للمغامرات  
الحربية . فما كادت قناة السويس تستقر فى ايدينا بأعجوبة فى  
عام ١٩٥٦ ونرى ذهبها يلمع فى اكفنا ، حتى مضينا نلقى به على  
تلال اليمن . وكانت قبائل اليمن التى نريد استمالتها الى جانبنا  
لاترضى بفسير الذهب . فكانت تلقى اليهم من طائراتنا الزكائب  
الممتلئة بالاصفر الرنان ، كما كانت ترمى من الجوى لجيوشنا اطنان

التموين والغذاء من صفائح الجبن الفاخر والمعلبات واللحوم  
والفواكه . ولكن الشمس الحارقة وعدم وجود ثلاجات كان يفسد  
هذه الاطعمة فتترك فى اماكنها مكدسة ، وقد لعب فيها الدود  
وانتشرت منها رائحة العفن ، فلا يقربها احد ، واهل مصر من الجوع  
والمحرومين لا يعرفون ان طعامهم هذا الذى يتمنونه ملقى للحشرات  
على تراب اليمن السعيد . وهل استملنا مع ذلك قبائل اليمن  
بذهبنا ؟ قيل أن القبائل حتى الموالية لنا كانت تأخذ ذهبنا بالنهار ،  
وترصد لضباطنا وجنودنا فى الليل ، فتصطادهم وتجز رؤوسهم  
وتبيعها للطرف الاخر غير الموالى ، ثم بعد ذلك انتهى الامر باليمن  
كلها أن سارت مخالفة لمصر فى اتجاهها السياسى . ان تاريخ حرب  
اليمن سيكتب يوما فى صفحات صادقة لنعرف حقيقة ماجرى هناك ،  
وماذا كانت النتيجة التى خرجنا بها ؟ ان من المؤكد الان هو انه  
بالاضافة الى الارواح التى ضاعت من جيوشنا ، وتقدر ، فيمسا  
يقال ، بعشرات الآلاف من الرجال ، فإن المعروف ايضا أن غطاء  
الذهب الذى نملكه قد ضاع بأكمله فى هذه الحرب الضائعة ، .  
(عودة الوعى ، توفيق الحكيم ، بيروت ١٩٧٤ ص ٥٨ - ٥٩) .

واضح أن استأذنا الحكيم لم ير الشيء الجوهرى فى القضية كلها - ايا كانت الخسائر التى بذلت من اجل ذلك - وهو نشوب حدث ثورى خطير فى جنوب الجزيرة العربية ظل مساحة ومركز الأحداث القومية العربية كلها لسنين عديدة ، وأن هذا الحدث قد اثر تأثيرا ايجابيا محققا ليس على اوضاع اليمن الداخلية فحسب ، وانما أيضا على مسار حركة التحرر الوطنى العربية . وواضح أن الحكيم متشائم أكثر مما ينبغى ، عندما يقول أن جهد مصر فى اليمن انتهى بأن سارت اليمن « مخالفة لمصر فى اتجاهها السياسى » صحيح انه حدثت ردة مؤقتة وزائلة فى صنعاء اثر انقلاب • نوفمبر ١٩٦٧ لم يتم التغلب على نتائجها حتى الآن ، ولكن حتى هذا النظام الذى مثل اتجاه مشائخ الاقطاع ، لم يملك اعلان معاداته الصريحة لمصر ، بل كان يحاول بكل جهدة العمل على استرضائها ، مدركا خطورة دورها ، فيما لو اتخذت موقعا معيناً ازاءه • وصحيح ان مشائخ الاقطاع بنظرتهم الاقليمية والقبلية والطبقية كانوا يكونون اشد الكراهية لمصر وجيشها ، وظلوا كذلك بعد خروج هذا الجيش من اليمن ، ولكن اخذت هذه النظرة تتعدل بعد أن اخذ نفوذ هؤلاء المشائخ الرجعيين يتقلص بفعل حركة ١٣ يونيو ١٩٧٤ التى قادها المقدم ابراهيم الحمدي رئيس مجلس القيادة فى صنعاء الذى صرح قائلاً : « أما مصر ، فلها مكانة كبيرة لدينا ، ولن ننسى ابدا فضلها فى العمل على انتصار الثورة فى اليمن • ان هناك روابط من الدم تربط ما بين مصر وما بين اليمن وعلاقتنا مع القاهرة علاقات قسوية ، وهى على احسن ما يكون ، • ( العروبة ، قطر ، ٣ يوليو ١٩٧٥ ، سر الأحداث الاخيرة فى اليمن ) • كما جاء فى ( البيان الاول لحركة ١٣ يونيو ) اننا « نحى شهداء مصر العربية الشقيقة الذين وصلوا لمساعدة اخوانهم اليمنيين ، واستشهدوا على ارض اليمن ، تجسيدا للوحدة العربية والمصير العربى الواحد ، • « اهم الوثائق لحركة ١٣ يونيو ، وزارة الاعلام صنعاء ص ٢٠ » .

ومن جهة أخرى فإن النظام الوطنى فى عدن اخذ منذ زيارة الرئيس سالم ربيع على لمصر ما بين ٥ - ٩ سبتمبر ١٩٧٤ يعيد تكييف سياسته العربية فى اتجاه التعاون المتنامى والمطرد مع مصر . وتعبيراً وتقديراً للدور الذى لعبته مصر العربية فى اليمن ، دعماً لثورتها الوطنية قال الرئيس ربيع - وكأنه يرد على الاستاذ توفيق الحكيم - : « وايا كان الاجتهاد ووجهات النظر الان حول

حكمة القرار المصري بالتدخل العسكرى ، لانقاذ ثورة الشمال  
اليمنى ، فان محاولة تخطيط هذا القرار تعنى فى التحليل الاخير  
فكر ان الانجازات التى تحققت لصالح الشعب اليمنى ، ونكسر ان  
المساهمة المتواضعة للشعب اليمنى فى نطاق حركة التحرر العربى .  
ولقد حصلت مصر خلال حرب اكتوبر فى الجنوب اليمنى موقفا  
مشتركا ، ما كان يمكن انجازه لو ان الثورة كانت قد تهاوت  
هناك ، ومع ذلك فان « مساهمتنا المتواضعة فى حرب اكتوبر ،  
لا يمكن ان تفى بدور مصر السابق فى اليمن ، دعما لثورتها فى  
الشمال والجنوب » ذلك « ان لمصر فى اعناقنا ديننا غير قابل للوفاء »  
( الاهرام ١١/٩/١٩٧٤ ) .

ومن الغريب ان نزعات التطرف اليسارى تلتقى مع نزعات  
التطرف اليميني ، بل ومع النزعة الليبرالية الضيقة الافق التى  
مثلها الاستاذ توفيق الحكيم فى تصوير دور عبد الناصر فى اليمن  
وفى الوطن العربى ! فهامى الزمرة الماوية المنشقة عن الحزب  
الشيوعى العراقى التى تسمى نفسها ( الحزب الشيوعى العراقى  
« القيادة المركزية » تقول قلى كتيبها : ( الحزب الشيوعى العراقى  
والمسألة الفلسطينية ) الصادر فى ١٩٧١ ص ٢١ : « ولقد او كل  
( الاستعمار ) الى اسرائيل مهمة « ترويض » النظام الناصرى الذى  
ظل يراهن على دعم الحركات الوطنية ، والانقلابات العسكرية .  
وكان اخر مغامراته التورط فى اليمن ، باسم دعم الثورة هناك .  
وكان هذا اتجاه ( اتجاها ) فى السياسة الناصرية ، لم يكن ليتفق  
فى جميع الاحوال مع الحسابات الاستعمارية » .

نحن لاننكر ان هناك تفصحيات عظيمة بذلتها مصر فى اليمن  
واموالا طائلة انفقت ، ولكن هناك دورا قوميا وتاريخيا جليلا  
ومجيدا لا يقاس به ذلك كله قد لعبته هناك ، وهو دور ايجابى فى  
الاساس وبكل مقياس من المقاييس ، ولم تكن نتيجة ايا كانت  
السلبيات خسرانا او خذلانا - كما يزعم البعض عن حقد او عن  
جهل - فلقد سقطت - بفضل الدعم المصرى الشامل والمتسم بالثورية  
والفدائية معا - الملكية الكهنوتية فى شمال اليمن ، وخسرت  
الامبراطورية البريطانية من جنوبه ، وقامت فى كل منهما جمهورية  
وطنية . وايا كانت الاوضاع الاجتماعية السائدة اليوم فى الشمال ،  
فان هناك اليوم فى طول اليمن وعرضها حركة وطنية يمنية ناهضة  
وقتية وآخذة فى التنامى والازدهار ، ومحاولة الامساك بزمام قيادة  
حركة الأحداث وهى حركة ماكان لها ان تنبض بسرعة ، بدون التواجد



الثورى القومى لمصر فى اليمن ، وبدون دورها الاستثنائى فى دعم الثورة اليمنية ، بقطع النظر عن تلك ( الحساسية المرضية ) التى كانت تبديها ( القيادة العربية ) فى صنعاء ازا « الاحزاب » الوطنية، وازاء ( الحزبية ) من حيث هى ، وبقطع النظر عن عمليات التضيق التى كانت تعانيها القوى الوطنية اليمنية من جراء ذلك ، والذي اثر بالتالى على دورها الوطنى فى تعزيز مواقع الثورة وفى تعميق مجراها .

ولكن النظرة الموضوعية والتاريخية المنصفة ، وبقاء ونمو حركة الثورة اليمنية ، وتعظيم التقدير لدور مصر فى اليمن مع الايام ، كل ذلك يؤكد أن ما قامت به مصر فى اليمن يدخل فى باب الاعمال التاريخية العظيمة والنادرة التى ترتبط فى الغالب بفترات التوهج الثورى والقومى فى حياة الشعوب والامم .

وذلك هو ردنا على امثال تلك الملاحظات والادانات النابعة عن السطحية فى التفكير والعداء السياسى لخط الناصرية المناهض للامبريالية والرجعية ، هذه الملاحظات والادانات التى توجه الى دور عبد الناصر الثورى فى اليمن ، والذي يطالب البعض كالصحفى زكريا نيل ، بالتحقيق فيه ، من حيث انه يمثل « التورط - الذى حدث فى الحرب اليمنية » ( الاهرام ١٩٧٥/٧/٢٤ ) .

وذلك هو ايضا ردنا على ماكتبه الصحفى ابراهيم سعده فى اخبار اليوم عدد ١٩٧٤/٩/٧ والذي جاء فيه : « واستمرت خزانة الدولة تصرف على هذه الحرب - التى لم تتوقف الا بسبب حرب ٥ يونيو ٦٧ ، وبعد مؤتمر الخرطوم - اكثر من مليون جنيه استرلينى يوميا ، واستطاعت أجهزة الاعلام المصرية وقتذاك أن تضلل الشعب - بالامر - وترسم له صورة غير حقيقية لما يجرى فوق ارض اليمن ، وبلغت السخافة ذروتها ، عندما غنى عبد الحليم حافظ من تلحين عبد الوهاب اغنية تصف كلماتها عمليات قتل وتشويه وابادة الجنود والضباط والمدنيين فى اليمن بانها : « رحلة نصر جميلة » ! و « لم تغتصب منا ارض ، حتى نهب لاستردادها بالقوة ، ولم تجتج جحافل الاسرائيليين حدود اليمن ، حتى يبادر بانقاذ الشعب اليمنى الشقيق من براثن الاستعمار الصهيونى .. ان « الجمهورى » اليمنى هو أخ « الملكى » اليمنى ، ولا شأن لنا - كدولة - تبعد آلاف الاميال - بما يحدث من خلافات بين الاخوين اليمنيين » و « لو كنا نملك المعارضة فى هذا الوقت ، لطالبنا بمعرفة نتيجة الدم الذى سال ، والمال الذى صرف بمنتهى البذخ ! لو كنا نستمتع للرأى

الآخر ، لربما فكرنا اكثر من مرة قبل أن نتورط فى مثل هذه الحسب . . . !

لا حاجة الى القول بأن مثل هذه المنفعة السياسية الغريبة لا تمت الى منطق القومية والثورة العربية التى اصبحت القاهرة بقيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ بقيادة عبد الناصر قاعدة لها وطلية . وانما يمت الى منطق العزلة والاقليمية المصرية ، بل والى عهد الاحتلال البريطانى ، وعهد الكومبراد ورية المصرية التى كانت تؤثر التطلع عبر البحر المتوسط ، والارتباط دائما وباستمرار بالغرب على التطلع نحو الشرق ، ونحو احتضان قضية النضال القومى بمجملها . ونحو مكافحة الاستعمار والرجعية فى كل مكان من الارض العربية . ولانملك الا أن نكرر على سمع مثل هذا النمط من الصحفيين التقليديين ، وسمع بقايا رموز هذه الفئة البورجوازية المصرية الغاربة ، قول الرئيس السادات الذى كان المسئول المباشر عن قضية اليمن ، وعن متابعة تطوراتها أولا بأول ، والذي جاء فيه أن أمثال هؤلاء « يأخذون على الثورة نضالها فى الساحة العربية وينسبون العائد القومى الضخم من تدمير اسطورة الجزائر الفرنسية ، ومن انسحاب الاستعمار من الخليج واليمن واطراف الجزيرة العربية » ( الجمهورية ١٩٧٤/٧/٢٤ ) ومن هذا العائد - كما يشير الرئيس العربى فى مناقشة امام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى فى ١٩٧٥/٧/٢٣ ان المناضلين « فى اليمن الجنوبية كان لهم موقف ممتاز اثناء الحرب بالذات « حرب ٦ اكتوبر » قبل المعركة واثنا المعركة وبعد المعركة ، فى قواتنا البحرية الى كانت عند باب المندب استخلمت موانئ اليمن الجنوبية » ( الاهرام ١٩٧٥/٧/٢٤ ) ولكن كما يوجد فى مصر بعض الكتاب الصحفيين الذين لم يحسنوا تقييم دور مصر القومى فى اليمن ، فان هناك الكثير من الكتاب والصحفيين الوطنيين والتقدميين الذين لم يفهم ادراك المغزى التاريخى لمثل هذا الدور ، ولقد تصدى امثال هؤلاء بانفسهم للرغيل الاول وجادلوه ووضعوه امام الحقيقة . ويكفى ان نقتبس هنا بعض فقرات مما كتبه الاسستاذ كامل الزهيرى فى عدد ١٩٧٤/١٠/٨ من الجمهورية القاهرة فى معرض محاورته للاستاذ توفيق الحكيم حول تقييماته للناصرية ونشاطها فى الداخل والخارج ابان حكم عبد الناصر ، حيث كتب : « ونكاد نظن ان الحكيم الذى يجلس فى جريدة الاهرام منذ اكثر من عشر سنوات او يزيد ، لم

يقرأ كثيرا او قليلا عن حرب اليمن او شعب انيمن . ولعله منسند  
 كتابه عن « محمد » عليه الصلوات والسلام - لم يعد الى تاريخ العرب  
 او تاريخ تلك المنطقة ، والا فكيف به يتحدث عن حرب اليمن بهذا  
 الایجاز وهذا التوبيخ قائلا : اننا لم نكد نحصل على الذهب من  
 تأميم القناة حتى وزعناه على قبائل اليمن . . . وكان الحكيم . .  
 لا يعرف ان هناك ما يشبه القانون في حياة مصر وتاريخها ، هو  
 انها حين تصبح قوية لابد ان تخرج من النهر الى البحر ، اى تخرج  
 من الوادى الى شواطئ البحرين الابيض والاحمر . ولم يكن عبس  
 الناصر يندفع الى اليمن رغبة في المخاطرة والمغامرة ، ولكنه هذا  
 القانون العميق فى اعماق مصر وحياتها وتاريخها الوسيط والحديث .  
 فلقد ذهب من قبله صلاح الدين الايوبى الى الشام واليمن معا ، قبل  
 أن يواجه التدخل الصليبي ، وكان هذا الداهية العفيف يفهم قانون  
 الحركة فى المنطقة من أن مصر هى القلب ، ولا بد لهذا القلب من ان  
 يتكئ على الشام واليمن معا ، ولم يستطع مواجهة الصليبيين ،  
 الا حين استكمل له هذا « الاتساع » والوصول الى شواطئ البحار ،  
 واقول ان الشبه واحد بين ظروف الضعف الذى سبق صلاح الدين ،  
 وظروف الضعف التى سبقت محمد على ، وظروف الضعف التى  
 سبقت عبد الناصر ، وان مصر فى هذه العهود الثلاثة قد وصلت  
 بعد ذلك من النهر الى البحر ، وكان ذلك حتما تاريخيا ، كما  
 يقولون ، وليس من قبيل الصدفة ، فلقد علمنا شيخنا ابن خلدون  
 منذ القرن الرابع عشر ان التاريخ له منطق ، وان احداثه تترابط ،  
 ولسنا نحتاج لا الى الاستناد الى فيلسوف عظيم آخر هو هيجل فى  
 فلسفة التاريخ ، ولا لمن أعقبه من فلاسفة التاريخ . أليس عجيبا  
 ان نقرأ عن صلاح الدين ان حملته لليمن كانت سببا فى تطهير  
 البلاد المقدسة من « المتلصحين من شرادم الصليبيين الذين كانوا  
 يحاولون قطع الطريق الى الحجاز . . . اليس عجيبا ان نكتشف عند  
 قراءة سيرة صلاح الدين الايوبى ان خطر الصليبيين لم يكن يمكن  
 مواجهته الا بخروج مصر من النهر الى البحر ، وبالتحديد الى البحرين  
 الابيض والاحمر ؟! وتاريخ محمد على ليس بالبعيد ، ومن الثابت انه  
 وصل ايضا من النهر الى البحر ، او من الوادى الحبيس وسسط  
 الصحراء الى الشاطئ القسيح على البحر الابيض ثم الاحمر . ولم  
 يكن هناك من هو اجدر من توفيق الحكيم - شيخنا الاديب - بان  
 يتفهم هذه الظاهرة التى تتكرر ، كانها اصبحت من فرط تكرارها  
 قانونا تاريخيا ، بكل ما يحتويه القانون من اطراد . وما يحتويه

التاريخ من اختلاف الظروف بين الرجال الثلاثة : صلاح الدين ،  
ومحمد علي ، وعبد الناصر . فاذا كان وصول عبد الناصر الى اليمن  
مستهجنا في رأى الحكيم ، بل وكارثة مالية ، فأننى لا اوافقه على  
كل ما يقول ، وقد اوافقه على بعض ما يقول ، لان الحروب ترهق  
الميزانيات . ولست اعترض أن ينتقد الحكيم حملة اليمن ، بشرط  
واحد هو ان يكتب تاريخ هذه الحملة واسبابها وآثارها ومضاعفاتها ،  
وألا يلخص هذه الفترة الهامة في تاريخ مصر الحديث في واحد  
وعشرين سطرا بين صفحاته السبعين . ولقد اضطرت لذلك ان  
اعود الى ما كتبه المؤرخون والصحفيون والسفراء الاجانب عن حملة  
اليمن ، أو ثورة مصر واليمن ، ولم تقتصر قراءتى مع من يؤيدون  
الناصر ، فقرأت جان لاكوتير المراسل الصحفى لوكالة الانباء الفرنسية  
في عام ١٩٥٦ ، والذي الف كتبا ثلاثة عن مصر وعبد الناصر ولم  
يكن لاكوتير - بطبيعته الغربية - محبا لعبد الناصر . ورجعت كذلك  
الى ما كتبه السفير تريفيليان ، وهو السفير البريطانى الذى طرده  
عبد الناصر اثناء ١٩٥٦ ، كما رجعت الى كتابات روبرت ستفنسن  
وتوم ليتل ، وهنرى أزرو وفانيكسيوس ، وبرنارد لويس وغيرهم ،  
فوجدتهم يختلفون في النتائج ، ولكنهم يتفقون في المنهج والمقدمات  
لقد دفعت مساعدة مصر لليمن هذه البلاد الى التحرك والتغيير ،  
ولولا معونة مصر لظلت الامبراطورية البريطانية في جنوب اليمن  
ولطال حكم السلاطين وعهد العبيد في هذه المنطقة . بل ويصل جان  
لاكوتير الى تشبيه ثورة اليمن وموقف مصر منها ، بانها تشبه ثورة  
الجمهوريين في اسبانيا عام ١٩٣٦ . والحكيم يعرف بلا شك انه  
لا يوجد اديب كبير او فنان عظيم في اوروبا لم يمر على هذه الثورة  
.. واذا كان محمد علي قد وثب على اليمن ، فأن عبد الناصر لم  
يدخل هذه الحملة الا داعية تطوير ومعينا لثورة عربية ضد حكم  
القرون الوسطى في وسط العصر الحديث ويشهد بذلك نتائج  
التدخل المصرى في اليمن ، ولولا هذا التغير الذى حدث في اليمنين  
الشمالية والجنوبية لما امكن لمصر بعد ذلك أن تقف في وجه هؤلاء  
الذين يتسللون من ميناء ايلات في البحر الاحمر ، وهم الصليبيون  
الجدد ، ولولا قيام نظامين جمهوريين - مختلفين حقا في هذه البقعة  
الان - لما استطاع المصريون ان يتحركوا في الشمال ، حين ارادوا  
العبور فوق القناة لاسترداد سيناء . بل ولا أكاد اكون مبالغا انه  
لولا تجربة الوحدة التى فشلت بين سوريا ومصر لما رسبت تلك الغواطف  
العربية التى كانت اساسا لتوحيد الميول والاهداف في معركتها



الآخيرة .. لا أريد أن أذكر ما كتبه تريفليان بما وصفه في كتابه « الشرق الأوسط في ثورة » وهو السفير الذي طرده عبد الناصر عام ١٩٥٦ ، من أحداث حدثت في اليمن الجنوبية ( وفي الشمالية أيضا - الكاتب ) يوم تنحى عبد الناصر بعد الهزيمة .. ولقد يختلف المؤرخون ، ومن حقهم ، ولكنهم بالتقطع يختلفون في المذاهب وانتائج ، لا المناهج . والمناهج المطلوبة هي الانصاف وتقديم الحقائق ، لا تخليص ( تلخيص ) حرب استمرت خمس سنوات في سطور عشرين . »

أن من أصدق وأصح ما كتب عن دور مصر وجيشها الباسل في اليمن هو ما كتبه أيضا كاتب تقدمي مصري آخر - وهو الأستاذ محمد عوده - في كتابة ( الوعي المفقود ) ص ١٢٣ - ١٢٤ بقوله : « وقصة الحرب في اليمن لا بد أن تروى وتعرف في إطارها الصحيح ، وقد بدأت أحداث اليمن بعد عام تقريبا من الانفصال في سوريا ، وقد أرادت كل القوى المضادة أن تتخذ من ذلك الحدث بداية الانحسار العام ، وأعلنت مزهوة أن المعركة سوف تنتقل بعد الآن إلى قلب القاهرة . وفجأة وفي غمرة الاحساس بالزهو والنصر انفجرت ثورة اليمن . ونجحت الثورة ، واطاحت بأشد النظم رجعية وقامت جمهورية في قلب شبه الجزيرة العربية ، ووقفت الثورة منتصرة هناك ، وانقلبت الخطط من قيادة الهجوم الزاحف إلى القاهرة ، إلى الدفاع المفزوع عن الحدود . واستغاثت الثورة الوليدة بمصر ولم يكن هناك أحد آخر تستغيث به . وتحرك الجيش المصري إلى اليمن كما تحرك من قبل إلى سوريا وإلى العراق وإلى الجزائر وإلى كل مكان تهددت فيه الثورة . لم يكن للجيش المصري مهمة أفضل من مساندته للثورة العربية . ولا يمكن أن يتخلى جيش مصر عن مسئولية تاريخية ! وذهب الجيش المصري ، وحقق معركة نموذجية من أشرف معارك الثورة العربية وأشجعها وقدرت المعركة ضربة الانفصال وأعادت هيبة الثورة عامة ، وأكدت دور مصر ، والزممت الرجعية العربية حدودها واستعملت كل الأسلحة وطرق الحرب وسخرت القوات القبلية والنظامية والمرتزة ، وشنت دعاية عنيفة محسوبة داخل مصر وخارجها وفي كل مكان أن مصر تستهلك أموالها وأبنائها ، أن مصر تحارب الإسلام والأراضي المقدسة ، أن مصر تحمل ( الشيوعية ) إلى قلب شبه الجزيرة . وكانت شبه الجزيرة هي القلعة التي لا ينبغي أن ينفذ إليها أحد ، ولهذا كان

العمل محمومًا ، اشتركت فيه الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية معا . ومع هذا انتصرت الجمهورية ، وامتدت الثورة الى جنوب اليمن . وصرح كيسنجر ( ان كل شيء مهدد حتى قلب ايران ) .  
أن من الغريب ان نجد الاديب المصرى اتقدمى الكبير نجيب محفوظ يساير الاستاذ الحكيم فى نقده لدور الناصرية فى اليمن ، وفى المنطقة الغربية ، وتجريحة لها فيما يتعلق بسياساتها الداخلية فى مصر ، دون ابراز حتى لبعض الجوانب الايجابية والحاسمة فى سياسة عبد الناصر على النطاق الوطنى والقومى ، ومن هنا تصوير نجيب محفوظ لمساندة عبد الناصر لثورة اليمن بأنه من اخطأ القرارات التى ما كان ينبغى ان يتورط فى اتخاذها ، تماما كقرار اغلاق خليج العقبة فى عام ١٩٦٧ ، بما اعقبه من عدوان اسرائيل فى ٥ يونيو من ذات العام . ( انظر نجيب محفوظ صريحا ، صباح الخير القاهرة فى ١٩/١٢/١٩٧٤ ص ٣٠ )

ان من المفارقات والتناقضات التى يقع فيها هذا الاديب ، قوله فى عدد ١٩٧٤/١٢/٦ من مجلة ( المصور ) القاهرية بأن سياسة عبد الناصر القومية ، ودعوته الحماسية للاشتراكية . كان من نتيجتها « ان دخلت الاشتراكية ، اليمن ، وتزعزعت الاشتراكية فى مصر ! » مشيرا بذلك الى النظام الوطنى الديمقراطى فى عدن !  
لقد كان الاستاذ محمد حسنين هيكل اقرب الى الصواب - الى حد كبير - رغم اختلافنا معه حول تقييمه لبعض نواحي الدور المصرى فى اليمن ، ولطبيعة الاوضاع هناك ، عندما كتب : « من الجائزان الظروف فى اليمن لم تكن جاهزة موضوعيا لقيام الثورة ، ومن الجائزان مصر عندما تدخلت ، كان تدخلها بأكثر مما تحتاج اليه الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى اليمن ، يعنى انه بدلا من مواكبة التفاعلات الدورية ، حدث نوع من الاستعجال ، لأحداث هذا التفاعلات ، أو أن بعض هذه التفاعلات افتعل . جائز . ويمكن المحاسبة على هذا كله ، انما بمنطق المواجهة الشاملة مع الاستعمار على جبهة عريضة من المحيط الى الخليج . » ( الطليعة القاهرة ، فبراير ١٩٧٥ ، عن الناصرية ، حوار مع محمد حسنين هيكل ، ص ٧٠ )

ان ما ينبغى التأكد عليه دائما وباستمرار انه عند اجراء عملية مقارنة بين الايجابى والسلبى للدور المصرى فى اليمن ، فإنه لابد من ملاحظة ان الجانب الايجابى يطغى - بكل مقياس من المقاييس - على الجانب السلبي ، حيث انه امكن بفضل ذلك اسقاط نظام امامى كهنوتى عمره الف عام ، واخراج احتلال بريطانى دام اكثر من قرن

وربع قرن ، كما امكن اخراج اليمن من حالة العزلة الطويلة التي ضربت عليها ، وانهاء حالة الركود والجمود الاجتماعى والسياسى التي كانت تلف جميع انحاءها ، وتحويلها الى ساحة عراك قومية ملتهبة لأول مرة فى تاريخها ، بل وجعلها مركز الأستقطاب وبؤرة الاحداث العربية كلها لفترة خمس سنوات كاملة واتيح بذلك كله لشعبها أن يدخل فى عملية احتكاك وتفاعل خصبه وخلافة مع حركة الثورة العربية بمجملها ، وان يطلق طاقاته المختزنة والمتفجرة ، وان تنمو فيه حركة وطنية يمنية شديدة الحيوية والثورية .

وقد صور الأستاذ عوده فى ص ١٢٥ - ١٢٧ من كتابه ( الوعى المفقود ) الجوانب الايجابية والسلبية فى هذا الدور القومى الذى لعبته مصر فى اليمن ، موضحا رجحان الايجابى على السلبى فى هذا الدور ، صور ذلك على النحو التالى :

« وربما كانت هناك اخطاء كثيرة وكبيرة فى اليمن واخطاء عسكرية وسياسية معا . . ولكنها تظل جميعا اخطاء ثانوية . . لقد حققت حرب اليمن اهم اهدافها ، وقامت جمهورية عصرية فى اليمن الشمالية ، وقامت جمهورية ديمقراطية وشعبية فى اليمن الجنوبية ، هى التى اغلقت باب المندب فى حرب اكتوبر ، وقدمت القواعد الاسطول المصرى ، وسرت ريع الثورة عبر كل رمال شبه الجزيرة وغيّرت كل المشاريع والموازن . . مهما تكن الاخطاء . ذهب الجيش المصرى الى ارض غريبة وذهب فى اسرع وأقصر وقت . ولانقاذ موقف مهدد . . وكان طبيعيا أن يصادف كل القبلية والعشرات . وحشدت ضد الجيش المصرى كل انواع القوات القبلية والنظامية وانضمت اليها قوافل المرتزقة الاوربية ممن حاربوا فى الحرب العالمية والكونغو وتميزوا بفظائعهم ووحشيتهم . ولكن فشلت كل هذه القوات فى النهاية . وقامت الجمهورية وصمدت ، وقدم الجيش المصرى نماذج باهرة وخلافة فى العسكرية وفى المبادرة والشجاعة . وقد وقعت اخطاء سياسية كثيرة . . كان الجيش المصرى يفتقر الى التكوين السياسى ويفتقر الى الضباط السياسيين ، وهم عنصر اساسى فى مثل هذه الحملات . وكان الجيش المصرى عامة يفتقر الى « التسييس » ولكن ذلك كان لاسباب ومعادلات صعبة ودقيقة . كانت القيادة حريصة كل الحرص على تأمين القوات المسلحة ضد الاختراق . . وكان السلاح الوحيد للاستعمار الأمريكى واجهزته فى العالم الثالث هو اختراق الجيوش والنفوذ اليها ، وذلك لتدير الانقلابات العسكرية . وقد

يركز اقصى جهده ، على الجيش المصرى . . وهو قام بالثورة وتسليح  
باسلحة سوفيتية واصبح اكبر قوة ضاربة ضد الاستعمار فى المنطقة  
وكان ابعاد الجيش عن السياسة ضرورة تعتمدها الثورة وحماية  
الجيش نفسه . ولكن النقص كان فى عدم التفريق بين الابعاد عن  
السياسة ، وبين انتكوين السياسى والذي لابد منه للجيش الوطنى  
والثورية والذي هو أفضل تحصين للجيش ضد الاختراق وعملائه  
ولكن مع هذا لم يفتقر الجيش المصرى قط الى الوطنية والبسالة  
المباركة . ولم يفشل فى اليمن . وتظل كل الاخطاء ثانوية ازاء العمل  
الكبير الذى تحقق .

ليس معنى ذلك أن فترة الوجود القومى لمصر فى اليمن كانت  
خالية من الشوائب والاختلاط والسلبات التى لعبت دورا فى اضعاف  
الجوانب الايجابية ذاتها ؟ لقد كانت هناك أشياء غير قليلة فى هذا  
الصدد ، ولقد أثرت بشكل عكسى ، كما حدث فى كل بلد عربى كان  
لمصر دورا ايجابى فيه : « والحقيقة ان المنطلق الثورى الصحيح فى  
التوجه الناصرى نحو العرب قد فتح آفاقا غير محدودة امام الناصرية ،  
لكن الناصرية لم تستطع مطلقا أن تحرر نفسها من القيود التى  
كبلت بها يديها ، فهى ترفض الاعتماد على الجماهير فى مصر ، وقد  
رفضت ذلك فى اليمن بالطبع ، واكتفت بالاعتماد هناك - كما فى  
مصر - على قوى تقبل أن تقول نعم ، بغير أن تفكر مطلقا فى قول لا ،  
وهى بأضرورة قوى لا يمكن للجماهير - فى أى مكان - أن تحترمها ،  
أو أن تلتف من حولها ، ولقد استخدمت الناصرية كل ما فى جعبتها  
من حيل وامكانيات لكسب او اسكات شيوخ القبائل اليمنية  
الرجعيين ، ابتداء من الاغداق عليهم بأكوام من الذهب (وانا  
لا أستخدم الكلمة مجازا فقد رفض شيوخ القبائل الا أن يقبضوا  
ذهبها أصفر بالفعل ) الى قصف نجوعهم وتجمعات قبائلهم بالقنابل  
لكنها لم تفكر ولو للحظة واحدة فى أن تجرب الحل الاسهل ، الحل  
الامثل ، بل وربما الحل الاوحد ، وهو حشد القوى الوطنية والثورية  
والتقدمية اليمنية ، وتعبئتها وتنظيمها من اجل يمن حر تقدمى ،  
ولقد ظل هذا الحل متاحا وممكنا لفترة طويلة من الزمن ، لكنه رفض  
بإصرار من جانب عبد الناصر ، وعلى العكس من ذلك ، فقد كانت  
القوات المسلحة المصرية تواجه فى بسالة مؤامرات اليمنى الرجعى  
باليمن المتحالف مع السعودية والمستند الى الاستعمار ، بينما كانت  
أجهزة الامن المصرية باليمن تبطش بكل بادرة لتحرك ثورى أو تقدمى



فى اليمن ، وكانت النتيجة المنطقية ان يحسم الصراع فى اليمن  
( اشمالية ) لصالح اليمن الرجعى ، . كما كتب كاتب مصرى  
ماركسى معروف يرمز الى اسمه باسم مستعار هو محمد فريد شهدى  
فى كتابه ( ناميات فى الناصرية ) الصادر فى بيروت ١٩٧٣ فى  
ص ٧٦ - ٧٧ .

على ان من المهم هنا الاشارة الى أن طبيعة التخلف المزرى فى  
اليمن قد عكست نفسها على طبيعة واسلوب العمل الناصرى فى  
اليمن ، فعلى الرغم من أن الناصرية معادية اساسا للاقطاع ، وإنه  
وجودها فى اليمن كان - موضوعيا - موجها ضد النظام الاقطاعى  
فيها ، الا انها - اذا ما استثنينا ما تضمنته خطابات عبد الناصر من اشارات  
الى الاقطاع - لم تتحمس أو تحاول قط أن تنشر أو حتى تسرب  
الافكار المناوئة للاوضاع والقوى الاقطاعية فى اليمن ، ولم يحدث -  
ولو مرة واحدة - أن انزلت أو شجعت على انزال برنامج نضالى  
موجه ضد التركيب الاقطاعى - القبلى ، اساس التخلف والرجعية  
فى اليمن ، وظل عملها محصورا فى الجانب العسكرى البحت ، أو  
معتمدا على محاولة شراء شيوخ الاقطاع ( الجمهوريين ) واكتساب  
ولائهم السياسى عن هذا السبيل ضد ( الملكيين ) ، بينما اثبتت  
الاحداث أن الحس الطبقي لجميع المشائخ ( جمهوريين أو ملكيين )  
يضعهم فى صف واحد ، صف المعاداة للثورة اليمنية والعربية معا .  
ولكن الاشارة الى سلبيات الناصرية فى اليمن ، وتحديد  
حجمها ، وانماطها ، ونقدها شئ ، ومحاولة طعن وتجريح دور مصر  
فى اليمن جملة وتفصيلا شئ آخر ، كما فعل ، ليس بعض الكتاب  
اليمنيين والليبراليين فى مصر ، وانما كان فعل ايضا - للاسف  
الشديد - بعض الكتاب (التقدميين) اليمنيين ، لكان هؤلاء يريدون  
أن يؤكدوا - كما يفعل الرجعيون - ان اليمن لحقت بها ( لعنة  
الفراعنة ) التى لحقت بمصر على يد ناصر والناصرية !! بل ان اللعنة  
ينبغى أن تحل بالاحرى على ثوار اليمن انفسهم - من وجهه نظر  
هذا الطراز ( الخاص ) من الكتاب ( التقدميين ) اليمنيين ، لسماحهم  
بدخول الجيش المصرى الى اليمن ، ( وتآمرهم ) مع مصر الناصرية  
لتمكينه من البقاء فيها ، حتى أخرجه نكسة يونيو ١٩٦٧ ! وكان  
مثل هذه الاقلام التى كتبت بالفعل تشجب ( اتمدخل ) المصرى فى  
اليمن ، كانت ضد ذلك الدور التاريخى والقومى العظيم الذى نهضت

به مصر في اليمن ، ومساعدتها من خلاله في انهاء مرحلة اقرون  
الوسطى التي كانت ماتزال مخيمة عليها ، وفي دحر الامبريالية  
البريطانية من جنوب اليمن ! وكان أصحاب هذه الاقلام يريدون أن  
يعمقوا المرارة في حلق قطاعات غير قليلة من ابناء مصر الذين - كما  
كتب الاستاذ عودة في ص ١٢٢ من كتابه الآنف الذكر - يقولون انه  
بعد ( مئات الملايين التي انفقت ، وآلاف الرجال الذين ماتوا ،  
انسحبت مصر ، أو على الاصح طردت مصر ، بلعنها أولا الذين  
حررتهم ) !

لم يدرك هذا ( النمط ) من الكتاب اليمنين - شأن امثالهم في  
مصر - ان موقف عبد الناصر من الثورة اليمنية كان نابعا عن موقف  
( قومي نضالي ) وعن موقف ثوري معادى للاستعمار والامبريالية  
والرجعية ، وعن شعور كامل بمسئولية مصر القيادية في المنطقة  
العربية ، والتي تحتم عليها العمل - بحسب حجمها ودورها وعن  
شعور كامل بمسئولية مصر القيادية في المنطقة العربية ، والتي  
تحتم عليها العمل - بحسب حجمها ودورها الطليعي هذا - على  
تحرير وتوحيد الوطن العربي . ان هذه الرؤية الناصرية التي أملت  
الوقوف الى جانب الثورة اليمنية وغيرها من الثورات العربية ، هي  
ما عبر عنه الاستاذ ابو سيف يوسف مدير تحرير مجلة الطليعة  
القاهرية في عدد يونيو ١٩٧٥ منها ( ص ٥٤ ) بقوله انه انطلاقا من  
مبدأ « النضال ضد الامبريالية والاستعمار وضد الاستعمار الجديد ،  
التزم عبد الناصر بمساندة الثورات الوطنية في البلاد العربية التزام  
مصر ونضال مشترك . كان هذا موقفه من ثورة الجزائر ، ثورة  
اليمن ، ثورة الجنوب اليمني ، ثورة فلسطين ، ثم من ثم ثورة ليبيا .  
الخ وبذلك دشّن عبد الناصر دور مصر العربي القيادية على أسس  
نضالية وتحررية وطنية . وهذا ما سوف يبقى من تراث الناصرية ،  
ولكن لا ينبغي أن يتبادر الى ذهن القارئ العربي ان اليسار  
اليمني لا يحسن تقييم دور ثورة ٢٣ يوليو بقياداتها الناصرية في  
اليمن . وأي تقييم مخالف أو قاصر - حتى ولو جاء من عناصر  
محسوبة على هذا اليسار فانه لا يعدو أن يكون هو ( الشذوذ ) الذي  
يؤكد القاعدة ، كذلك الشذوذ الذي مثله زميلنا عمر الجاوي رئيس  
تحرير مجلة الحكمة التي تصدر في عدن ، الذي كتب في عدد مارس  
١٩٧٥ - في مقام تمجيده لأحد زعماء حركة المعارضة الاصلاحية  
قبل الثورة اليمنية - وهو القاضي محمد محمود الزيري الذي وقف

موقفا مناوئا للوجود المصرى الثورى فى اليمن بحجة انه يقلل من قيمة الشخصية اليمنية كتب يقول - بدون تحرج أو تحفظ - : « فقد حيينا موقفه الاخير ( أى موقف الزبيرى ) فى عشية ثورة سبتمبر ، حين رفض التدخل الثورى من الجمهورية العربية المتحدة لقلب الامام ( لان ذلك ان يدمع الشعب بوصمة فى جبينه الى الابد » .

على أن ما يدعى الى الغرابة حقا هو أن ينظر مثل هذا الصحفي الذى يغمز جانب واحد من اعظم امجاد الثورة العربية فى اليمن الى كل من يحسن تقييم دور مصر الثورى فى اليمن بأنه لا يعدو أن يكون من ( اليسار الناصرى ) - كما اسمى - على سبيل المثال - كاتب هذه السطور - ناسيا أن دور مصر القومى والجبار فى اليمن يحظى بتقدير لامثيل له - يكاد يبلغ حد الاجماع - من قبل كل قوى التقدم اليمنية والعربية والعالمية ، وليس من الناصريين العرب وحدهم .

والأغرب من ذلك ايضا أن يقلب رئيس مجلة ( الحكمة ، الحقائق التاريخية رأسا على عقب ، ويزعم ان « ناصر نفسه » « يعتز ، بأولئك الذين يهاجمون ما قام به وقامت به مصر فى اليمن ! ولوضع حد لمثل هذه الترهات والتخرصات ، وايقاف اصحابها الذين يهرفون بما لا يعرفون عند حدهم ، فانه لا مفر من ان نستعرض بعض أقوال وتقييمات ناصر ذاته لثورة اليمن ودور مصر فى تأييدها . ففى خطاب ٢٣/١٢/١٩٦٢ فى عيد النصر قال عبد الناصر انه بعد قيام ثورة اليمن ، سألنا أنفسنا « هل نترك الشوار ٠٠٠ ونقول احنا مالنا ومال العرب ، احنا مالنا ، ومال العرب ازاى ؟ ده كلام الاستعمار ، وكلام الصهيونية وكلام راديو اسرائيل ، راديو اسرائيل الى زعلان قوى على الامام البدر ، والامام الحسن ٠٠٠ » .

واذن فان الذين يعترضون على تدخل مصر الثورى فى صالح الثورة اليمنية لا يضعون انفسهم بعيدا عن مواقع هذه القوى المعادية التى اشار اليها عبد الناصر !!

ويقول قائد الثورة العربية الراحل فى معرض تبرير اقدام مصر على ارسال جيشها لمناصرة الثورة اليمنية ، وتمكينها من نشر لهيبها حتى عدن ، ووضع الاستعمار البريطانى بذلك فى دائرة النار: « بعدما قامت ثورة اليمن ٠٠ الخواجات الى قاعدين فى الجنوب ، والانجليز الى قاعدين فى عدن والمحميات ايضا ، طبعا قلبهم وقع

وظهر انهم مش هيسكتوا ، لان ظهور الثورة فى الجزيرة العربية يقلق الاستعمار ، ويقلق الرجعية ، يقلق الانجليز والملك سعود ، يقلق أعداء التقدم ، يقلق أعوان الاستعمار ، الملك حسين ، بعد الثورة بيوم كنا نبحت ماهو موقفنا تجاه الثورة وما هو موقفنا اذا تعرضت الثورة للعدوان الخارجى ، هل نسكت ، هل نسيب الرجعية ؟ ثم يقول عبد الناصر على الفور ان شعب مصر أجاب على هذا التساؤل بشكل ايجابى ، لماذا ؟ لانه « عارف فين مصلحته ، عارف فين مبادئه ، عارف فين الحق الذى يجب أن ينحاز اليه والذى يجب أن يعمل فى جانبه » . ذلك ان « احنا قلعة القومية العربية ، وقلعة الكفاح العربى والنضال العربى ، احنا الى اخذنا الفرصة ، احنا الى استطعنا أن نستقل ، واحنا الى عندنا الامكانيات واحنا الى قمنا بثورة علشان نتخلص من أمثال سعود ، وعلشان نتخلص من الأقطاع والاستبداد » . ومن هنا كان قرار مصر الحاسم بأنه « أبدا لا يمكن بأى حال من الاحوال » ترك القوى الرجعية والاستعمار تهزم ثورة اليمن ، وكان قرار ثورة ٢٣ يوليو وقادتها بأنه « لابد أن ندافع عن مبادئنا فى قلب الجزيرة العربية ضد الرجعية وضد الاستعمار وضد الصهيونية » . وكان تقييم عبد الناصر بأن « المعركة دى مش معركة اليمنيين ، ولا الشعب اليمنى ، معركتنا احنا ، ومعركة كل شعب حر لاننا كل مانكسب اشعب حر ، كل مايتحرر شعب من الشعوب العربية الخاضعة لذل الاستعمار ، والخاضعة لذل الرجعية ، كلما تزيد قوتنا ، كلما تزيد قيمتنا » . ونحن الآن بالفعل « بنشعر بالفخر وبالعزة ، وبنشعر بقوة زيادة ، وبنشعر بأن احنا النهارده أقوىاء ضد الاستعمار ، بنشعر ان احنا أقوىاء ضد الرجعية ، بنشعر ان احنا أقوىاء ضد الصهيونية » . بعد أن اخذ ملايين الشعب اليمنى الذين كانوا يعيشون فى القرون الوسطى ينتقلون « دفعة واحدة الى القرن العشرين ولينضموا الى قافلة التحرر العربى » (مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، القسم الرابع ، فبراير ١٩٦٢ - يونيو ١٩٦٤ ص ٢٦٢ فيما بعد)

ذلك هو اذن تقييم عبد الناصر لثورة اليمن ضد الاستبداد والاستعمار ، وتقييمه لدور مصر فيها ، وللدوافع القومية العميقة التى أملت عليها ذلك .

ومن أجل أن تكتسب الثورة اليمنية امتدادها وطابعها الوطنى



العام ، فان مصر لم تشجع وتساعد فحسب على تشكيل «الجبهة القومية» التي أنشأت في صنعاء عام ١٩٦٣ ، انما ساعدت أيضا على اشعال الثورة المسلحة وبناء اداتها القتالية ، هذه الثورة التي شكلت امتدادا طبيعيا ومتفجرا للثورة الأم ، ثورة ٢٦ سبتمبر ، والتي بالاستناد اليها والى قاعدة الثورة العربية في مصر أمكنها أن تدحر الاستعمار البريطاني - في آخر الامر - من جنوب اليمن . وحول ذلك قال عبد الناصر في خطاب الوحدة في ٢٢ / ٢ / ١٩٦٧ اننا أمام الاستعمار البريطاني كنا وما زانا «مستعدين لعمل جيش لثوار الجنوب العربى ، ونسلحهم بكل أنواع الاسلحة ، علشان يقفوا للمرتزقة ولعملاء الاستعمار» .

ولتعزية العناصر المأجورة التى كان يستخدمها البريطانيون للنيل من الدور المصرى فى اليمن - كما فعل الجاوى فيما بعد ، ولو بحسن نية - أعلن عبد الناصر : « كل يوم مستر ويلسون بأجر واحد فى عدن ، ويعمل له مؤتمر صحفى ويدفعوا له ٠٠٠ عسكرى يمنى هرب من الجمهوريين ، وعمل مؤتمر صحفى فى عدن ، يقول ايه باه ٠٠ ان المصريين دول مستعمرين ، وان المصريين يموتوا اليمنيين ٠٠ هيضحكوا على مين ، هيضحكوا على الشعب العربى ، المصريين راحوا اليمن ، علشان يضربوا الاستعمار والقوى الرجعية ، والانجليز طبعاً محروقين علشان حيسيبوا عدن ، وحيسيبوا الجنوب العربى ، وحيسيبوا الخليج ، ومش هيقعدوا فى العالم العربى ، واحنا وراهم لغاية مننصفه منهم ، احنا نسينا والا ايه ؟ !

وكان عبد الناصر يفلسف هذا الدور الثورى الذى تقوم به مصر ضد الاستعمار والرجعية بأنه يعود - كما قال - الى «وحدة النضال بين مصر واليمن» هذه الوحدة النضالية العربية التى لم يتأثر الايمان بها والعمل على تأكيدها عمليا انفصال سوريا عن مصر ، فرغم هذا - كما يواصل القائد العربى - «صممنا على أن نقوم بدورنا الطليعى فى اليمن ، دورنا النضالى ، دورنا الثورى» .

بل ان عبد الناصر كان يتعامل مع الثورة اليمنية بطريقة فريدة وخاصة ، ويفرد لها مكانا متميزا بين كل الثورات العربية ، ولم يكن ينظر اليها بعين (الغريبة) وعلى أساس انها من صنع عرب (آخرين) جاء لمساعدتهم ، وانما كان يعتبرها ثورة عربية قومية ناصرية ، قام بها الناصريون العرب ، واشتركوا فى التخطيط لها من البداية والى النهاية ، سواء كانوا يمنيين أو مصريين ، ومن هنا فهو لم يعتبرها

ثورة يمنية بحثه - وتلك حقيقة تاريخية مؤكدة ، لا ينكرها حتى ثوار اليمن أنفسهم الذين وضع عبد الناصر يده في أيديهم من قبل قيامها ، ومن أجل تفجيرها - وإنما كان يعتبرها ثورة قومية ، أو ثورة ذات طابع قومي وقامت لأهداف قومية ، تتجاوز - في اتساعها ومداهها ونتائجها ومضاعفاتها - الساحة والمصالح الوطنية اليمنية ، كانت اليمن في التخطيط الناصري هي الحلقة الضعيفة في سلسلة الانظمة الرجعية التي المنطقة العربية ، التي يمكن - لهذا السبب - كسرها ، وهز السلسلة كلها من خلال ذلك ، وبالتالي الانطلاق من هنا ، من الساحة اليمنية ، لقيادة هجمة ثورية معاكسة ضد هجمة الجبهة الرجعية والاستعمارية ، التي كانت قد أخذت تطبق على مصر بعد نكسة الانفصال ، ومن ثم إعادة الروح لحركة القومية والوحدة والثورة العربية ، ولمحاصرة وعزل الاتجاهات الاقليمية والانفصالية التي أخذت تظهر من جديد في الساحة العربية . وقد عبر عبدالناصر عن ذلك كله بايجاز في خطابه في عيد أول مايو للعمال عام ١٩٦٦ بقوله : «ونعتبر أن ثورة اليمن ثورتنا ، ثورة العرب كلهم ، والا ما كناش بعتنا أبناءنا هناك ، وقاتلوا واستشهدوا ، ويضربوا أكبر صفحات البطولة » (مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، القسم الخامس يوليو ١٩٦٤ - يونيو ١٩٦٦ ، ص ٥٥٤) و (وثائق عبد الناصر ، يناير ٦٧ - ١٩٦٨ ص ٥٧-٨٧)

وفي خطاب ٢ مايو ١٩٦٧ صور عبد الناصر مخاوف قوى الاستعمار من الثورة اليمنية ، ودعم مصر لها على النحو التالي : « بنقرأ الجرايد ، ويقولوا خطر ، امبارح في جريدة انجليزية ان الخطر من الجيش المصري في اليمن ، ان الجيش المصري بعدما يمشوا الانجليز من عدن والجنوب لعربي هينزل على عدن والجنوب العربي ، وبعدين حيحود شمال من هناك ، ويطلع على الخليج ، وياخذ البترول ، ويحط البترول تحت نفوذه الروسي . » ثم يؤكد عبد الناصر استمرار دعم الثورة اليمنية ، حتى ينتهي الخطر والنفوذ الاستعماري القسديم والجديد من الجزيرة العربية : « احنا قررنا ان احنا نساند الجمهورية اليمنية ، ومساندتنا للجمهورية اليمنية مستمر الى ما لانهاية ، حتى يزول الخطر الانجليزي الامريكي السعودي زوال كامل . » (وثائق عبد الناصر يناير ١٩٦٧ ديسمبر ١٩٦٨ ص ١٤٣-١٦٧) وفي الحديث الذي أجراه كمال الدين حسين مع روزاليوسف عدد ١٩٧٥/٨/٤ قال انه اقترح سحب الجيش المصري من اليمن بعد نكسة ٥ يونيو

١٩٦٧ ، وكان رد عبد الناصر عليه بلهجة الاستنكار : «لكن يعود  
الإمام البدر ؟»

من ذلك يتضح - ورغم السلبسيات - الأهمية التاريخية  
والاستثنائية الفائقة للثورة اليمنية ، وتتضح الأهمية الخاصة  
والبعيدة المدى التي اعطاها عبد الناصر لها ، والتي على أساسها بنى  
حساباته للدخول في عملية دعمها - بكل ثقل مصر العربي ومكانتها  
الدولية - ودعمها الى النهاية ، ومهما كانت الخسائر . ومن كلمات  
عبد الناصر يتجلى انه كان يرى في اليمن انها كانت تمثل رأس الجسر  
الآخر الذي تمسكه مصر بالطرف الجنوبي منه : فكما ان مصر تسيطر  
على قناة السويس ، فان اليمن بموقعها الجغرافي والاستراتيجي  
تسيطر على باب المندب ، وتطل من خلال ذلك على المحيط الهندي .  
وفي ظل الثورة العربية ، ثورة استعادة السيادة القومية ، وتقدير  
حق المصير واقامة الكيان الدولي للامة العربية ، اكتسبت اليمن  
لوضعيتها الاستراتيجية الفريدة هذه أهمية وخطورة متزايدة . وما  
كان في امكان قائد قومي ، يطمح الى بناء وابرار الكيان القومي العربي  
المستقل الموحد الى حيز الوجود ألا يفكر في طرد قوى الاستعمار  
البريطاني وركائزه المحلية من هذا الركن الهام من جزيرة العرب ،  
وألا يعمل على تحرير الطريق العالمي القديم والجديد الذي تشكل  
اليمن ومصر نقطتي الحراسة على مدخله الجنوبي والشمالي !

لقد جاءت حرب ٦ اكتوبر المجيدة ، لتؤكد صحة هذه النظرة  
القومية البعيدة المدى وهذا الوعي القومي المستنير ، وهذا التخطيط  
الثوري والاستراتيجي الناضج لعبد الناصر : فلولا انه كانت قد  
قامت في اليمن ثورة وطنية تحررية طردت بفضلها الاستعمار والرجعية ،  
وتحررت عدن وباب المندب من قوات الاحتلال البريطاني وتهيأت  
اليمن شعبا وأرضا للارتباط بالوجود القومي العربي والنضال  
جنباً الى جنب مع قادة حركة التحرير العربي ، لما أمكن أن يتم بسهولة  
واقعالية ونجاح ضرب حصار باب المندب الشهير من قبل الاسطول  
المصري المدعم بالأمكانيات اليمنية هناك ، هذا الحصار الذي شل  
ميناء ايلات تماما ، وأفقد خليج العقبة كل قيمة له ، وعزل اسرائيل  
عن قارات افريقيا وآسيا ، وحرمها من بترول ايران ، وأوقف تجارتها  
مع محيط واسع مع العالم القديم ، وفرض عليها حالة من الانكماش  
كادت تبلغ حد الاختناق ، بحيث لم تجد متنفسا آخر غير البحر  
الأبيض ، وغير مساعدات الامبريالية الامريكية العاجلة التي أظهرت

مدى تبعية الكيان الاسرائيل للاستعمار الامريكى .

لقد حدد (التقرير السياسى للقيادة العامة الى المؤتمر العام الخامس للتنظيم السياسى - الجبهة القومية - الذى ألقاه الرفيق الأمين العام عبد الفتاح اسماعيل) فى ٢ مارس ١٩٧٢ فى ص ٣١ منه العلاقة الجدلية بين قيام ونجاح الثورة اليمنية ، ودور مصر الثورى فى ذلك كله كما يلى : «لقد مكن انتصار شعبنا فى الشطر الشمالى من الاقليم فى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر وكذلك الوجود العسكرى المصرى فى الشمال اليمنى على بدء النضال المسلح فى الشطر الجنوبى من الاقليم وحيث أصبح الشمال اليمنى القاعدة الخلفية التى تدعم وتعزز النضال المسلح فى الشطر الجنوبى من الاقليم ، ومع بدء تفجر النضال المسلح ضد الاستعمار البريطانى ، أصبح مسار الحركة الوطنية النامية محددا فى هذا الاتجاه . ورفع حينها شعار النصر أو الموت ،

وفى ص ٩-١٠ من (موجز تجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية) قيم أمين عام الجبهة القومية الاخ عبد الفتاح اسماعيل دور مصر الثورى فى اليمن فى كلمات مختصرة كما يلى « كانت القوات العربية قد وصلت الى صنعاء للمشاركة فى الدفاع عن ثورة سبتمبر أمام الهجوم الملكى - السعودى ، والاعتداءات العسكرية الانجليزية من الجنوب . . . حينها كانت العلاقة داخل الحركة الوطنية مشوبة بالخلافات والمشاحنات العدائية . . . فقد كانت العلاقة بين الناصرية والبعث قد وصلت الى درجة كبيرة من العداء والشتائم ، وكانت العلاقة بين حركة القوميين العرب والرئيس الراحل عبد الناصر علاقة جيدة . وبسبب العلاقة الجيدة بين الحركة وعبد الناصر ، وبسبب الاخطار المحيطة بجمهورية ٢٦ سبتمبر ، اضافة الى نضوج الظروف الداخلية للقيام بالكفاح المسلح استطاعت حركة القوميين العرب أن تلتقط مؤشرات النضال التحررى فى الساحة وتدفع به خطوات الى الامام . . . كان الصدام بين القوات المصرية والبريطانية على «الحدود» بين اليمن الجمهورية «الشمالية» واليمن المستعمرة «الجنوب» يمهّد لتجسيد العلاقة الجيدة بين الحركة وعبد الناصر ، بتدعيم العمل المسلح فى الجنوب بالسلاح . . . ولذلك فقد أيد عبد الناصر تبنى حركة القوميين العرب للكفاح المسلح ، وعبر عن استعدادة لتقديم السلاح للجبهة القومية ، من خلال وجود القوات العربية فى صنعاء وقمر . . . ونهى الجانب السياسى ، بدأت قيادة الجبهة القومية تنشط



نشاطا واسعا من خلال اذاعة صنعاء وتعز وصوت العرب لتحريض الجماهير وتوعيتها بالكفاح المسلح باعتباره الطريق الوحيد لتحقيق الاستقلال الوطنى .

ومن جهة أخرى يصور سفير الولايات المتحدة الامريكية فى مصر خلال هذه الفترة (من ١٩٦١ - ١٩٦٤) جون س . بادو طبيعة وأبعاد الصراع فى اليمن ودور مصر المتميز فيه - من وجهة النظر الامريكية - على النحو التالى : «وكانت الجمهورية العربية المتحدة تعمل بنشاط متزايد منذ عام ١٩٦٤ ، على اثارة واذكاء الاضطرابات فى عدن ، فقد ساعدت فى تدريب الارهابيين ، وقدمت الأموال وساندت المنظمات الوطنية المتطرفة ، وربما اشتركت مباشرة فى حوادث القاء القنابل ، ولم يكن اهتمام الجمهورية العربية المتحدة بعدن مجرد تعبير عن الطبيعة الثورية الكامنة لمصر ، والنشاط الخارجى للرئيس عبد الناصر ، وانما كان يرتبط بصفة خاصة بالتورط المصرى فى اليمن ، ذلك أن الرئيس عبد الناصر كان قد أعلن فى شتاء ١٩٦٤ أن القوات المصرية لن تنسحب من اليمن طالما ظل البريطانيون فى عدن ، وكان من الواضح انه يأمل فى الدفاع عن الاحتلال المصرى المستمر ، باعتباره تأمينا ضد «الامبريالية البريطانية» ويحول الاهتمام عن دوره كقوة تقاوم غربا أشقاء وعندما فشلت مفاوضات فض الاشتباك بين السعودية والجمهورية العربية المتحدة ، ووجدت مصر نفسها تواجه مقاومة متزايدة فى اليمن من جانب بعض الفئسات فى الحكومة الجمهورية ، بالإضافة الى الملكيين ، فان التحول على عدن يمكن أن يكون اغراء تصعب مقاومته . وقد أثار هذا الاحتمال قلقا كبيرا ، فان الأجراء المصرى فى عدن لن يزيد عدم الاستقرار فى المنطقة فحسب ، ولكن يمكن ، فى رأى الكثيرين ، ان يؤدى الى وجود سوفيتى فى القاعدة البحرية فى عدن بعد انسحاب بريطانيا «ورأى البعض أن ذلك قد يكون مقدمة لحركة يساندها السوفيت للسيطرة على المواد البترولية فى رأس الخليج الفارسى ، وعلى ذلك يمكن القول انه بعدم التوصل لاجراج الجمهورية العربية المتحدة من اليمن ، وقبول حالة الجمود هناك ، تكون الولايات المتحدة قد مهدت الطريق لمغامرة جديدة ومشثومة .»

(الموقف الامريكى تجاه العالم العربى . جون . س . بادو . ترجمة مصلحة الاستعلامات المصرية . ص ١١ )

فى هذا الضوء يمكن فهم عنوان ٥ يونيو ١٩٦٧ الذى نفذته

اسرائيل ، لضرب قاعدة الثورة العربية التي كانت قد وصلت  
طلائعها المتقدمة الى جزيرة العرب ، جزيرة الثروات الاسطورية  
الهائلة ، ومنطقة الاحتكارات البترولية الضخمة ، ولاخراج هذه  
طلائعها المتقدمة الى جزيرة العرب ، جزيرة الثروات الاسطورية  
والكمبر ادورية الواسعة والانفراد بحركة الثورة اليمنية والعنسل  
على اطفاء جذوتها وأهالة التراب عليها .

ومن زاويته يصور الاستاذ احسان عبد القدوس ، رئيس مجلس  
ادارة مؤسسة الاهرام في عدد ١٣/٦/١٩٧٥ من صحيفة ( الاهرام )  
الابعاد العربية والدولية للصراع الذي احتدم على الساحة اليمنية بعد  
نشوب الثورة هنا وهناك ، والمسئولية السياسية والتاريخية الضخمة  
التي حملتها مصر على عاتقها في هذه الساحة بقوله : « والمرحلة  
الثانية بدأت باشتراك مصر في ثورة اليمن ، والتوسع في هذا  
الاشتراك الى حد أن أصبح من المحتمل ان تمتد الثورة الى المملكة  
السعودية ، بل انه وقعت فعلا معارك بين القوات المصرية والقوات  
السعودية ، وكانت مصر معتمدة في كل هذا اعتمادا كاملا على  
الامدادات السوفيتية التي تعنى أن السوفييت موافقون ومؤيدون  
للثورة ، وبالتالي يخططون لفرض نفوذهم على اليمن والسعودية ،  
امتدادا لنفوذهم في مصر . وهنا بدأت الولايات المتحدة تتحرك  
تحركا جديدا للدفاع عن مواقعها ، ومهما كانت الاسباب والاحداث  
التي سبقت حرب ٦٧ واحتلال اسرائيل لمصر وسوريا وفلسطين،  
فاني مقتنع - ولست وحدي - بان الذي اعد هذه الحرب وتحمل  
مسئوليتها هي الولايات المتحدة الامريكية ، ردا على تخطيط التوسع  
السوفيتي ، وكانت النتيجة التي وصلت اليها الولايات المتحدة هي  
جذب القوى الثورية من محاولة السيطرة على العالم العربي، وحصرها  
محليا . »

ومن جميع ما سبق يتضح جليا ان الثورة اليمنية كانت قد غدت  
اخطر ساحات النضال القومي على الاطلاق في مواجهة المصالح  
الامبريالية في الارض العربية وفي مواجهة كل قوى التخلف فيها،  
وان الارض اليمنية كانت قد اصبحت واحدة من أهم معارك الصدام  
الحاسم بين الجبهة الثورية العالمية المعادية للاستعمار والرجعية  
وبين جبهة الاستعمار والاستعمار الجديد والعملاء والصهيونية .  
ومع ذلك فان سلبيات الدور المصري القومي في اليمن ، الناجمة  
من جهة عن طبيعة الاوضاع المتخلفة المعقدة والشائكة في اليمن

المصرية التي اعتمد عليها عبد الناصر هناك قد أثرت تأثير سسيئا على مجرى الحركة الثورية اليمنية ، ولم تساعد على ظهور حركة جماهيرية ديمقراطية واعية منظمة ، وقادرة بالتالى على تنمية وتصليب وتعميق وتطوير وتوحيد حركة التحرير الوطنى اليمنية والمضى بها - فى مدى أقصر من الزمن - فى اتجاه انجاز مهمتها التاريخية العظيمة ، فى قيام دولة اليمن المركزية الموحدة ، الحديثة المتقدمة ، الوطنية الديمقراطية .

وكما جاء فى ص ٦٧ من كتاب ( المجتمع اليمنى - الجزء الاول ) الذى اصدرته وزارة التربية والتعليم فى عدن فان « سياسة بعض اجهزة القيادة المصرية قد أدت بها الى مزالق باتباع سياسة هدفها توازن القوى فى المنطقة ، فتركت التعاون مع القوى الوطنية المنظمة ، والتي تعاضم دورها وتوسع بعد الثورة ، واعتمدت على القوى التقليدية الميشخية الاقطاعية ، بدلا من الاعتماد على جماهير الشعب وقواها الثورية الوطنية والديمقراطية ، لذا ظلت القوى الاقطاعية التقليدية ، وان لبست ثوبا جمهوريا ، هى القوى الاساسية المتحكمة بمصير البلاد ، لقد نشأت سياسة التوازن هذه بين القوى التقليدية التي اتخذها بعض العناصر فى الأجهزة المصرية ، ممثلة بكتلة « خمر » التي سيطرت على السلطة فى ٥ نوفمبر ١٩٦٧ م فور انسحاب الجيش المصرى بعد الهزيمة ، واسقطت حكومة السلال الوطنية التي كانت ممثلة للتجمع الناصرى ، واكثر استعدادا للانفتاح على التطورات الحديثة . »

وفوق ذلك كله فان صراعات مراكز القوى فى مصر عكست نفسها على الساحة اليمنية . ولان القوات المسلحة المصرية كانت قد غدت تحت هيمنة قائدها العام المشير عبد الحكيم عامر الذى كانت تخضع له القيادة العربية فى صنعاء - وكان قد جعلها عامر مركز قوة له ، شأن القيادة العامة فى مصر ذاتها ، فى مواجهة شعبية عبد الناصر المتنامية داخل مصر وعلى امتداد الساحة العربية ، فان قائد الثورة العربية حرص ( على الا يناطع عامر فى شئون القوات المسلحة الداخلية . ) كما اشار الاستاذ احمد حمروش فى بحث ( عندما حكم المشير مصر ) الذى نشرته روز اليوسف فى عدد ١٩٧٥/٧/٢١ . ولقد كان مكتب المشير - بيروقراطيته المفرطة واحتقاه للجماهير - ضد اى نشاط سياسى او شعبى فى اليمن ،

ومن جهة أخرى من طبيعة القيادات البيروقراطية العسكرية والمدنية وبدء أى تحرك تقوم به القوى الوطنية ، حتى ولو كان لدعم وتنمية حركة الثورة ، بحجة ان هذه القوى ( حزبية ) بينما تركت القيادة العربية فى صنعاء - بالمقابل - المجال مفتوحا امام النشاط السياسى والقبلى الرجعى والمتأوى للوجود المصرى ذاته ، والذي كان يقوده مشائخ الاقطاع ورؤساء العشائر ، وممثلوهم الايديولوجيون والسياسيون ، وعلى رأسهم القاضى عبد الرحمن الاريانى - الذى اصبح بانقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الرجعى رئيسا للمجلس الجمهورى - والقاضى محمود الزيرى الذى قتل فى اول ابريل ١٩٦٥ على يد الملكيين - فى الاغلب - بعد ان اصبح اخطر وانشط زعيم سياسى وروحى منافس للاماميين فى اليمن . صحيح ان القيادة العربية فى صنعاء لم تكن راضية كل الرضا بمثل هذا النشاط الذى كان يقوم به هذا المحور الاقطاعى - القبلى ( الجمهورى ) ولكنها لم تحاول قط مجابهته ، بقدر ما حاولت استمالة عناصره القيادية المشائخية السياسية حتى قدمت لرؤساء العشائر الميزانيات والمرتبات الشهرية الطائلة ، بحجة كسبهم والساسنة «الجمهوريين التقليديين» الى جانبها فى مواجهة حرب تدخل امبريالية ضارية ، الا انها لم تستطيع الفكك من ضرورات الواقع القبلى ، والافلات من اسر الطبقة الاقطاعية ، ووجلت نفسها تقع فى بعض الاحيان تحت تأثير التركيب القبلى - الاقطاعى المتشابك والمعقد . «فبينما احتفظ مكتب الرئيس أنور السادات برؤية صافية ازاء مهمة ج . ع . م . التاريخية فى اليمن، ولم يمنح دعمه السياسى لغير القوى الجديدة المنتمة - بطبيعة الاوضاع - الى الطبقة الوسطى بمختلف مراتبها الاجتماعية ، غرق المكتب العسكرى الى اذنيه فى تعامل واسع مع القوى القديمة المثلة فى رؤساء العشائر ، ومشائخ الاقطاع ، ولم يقف الامر عند حد الاعتماد على «مقاوى الانفار» من المشائخ فى التجنيد باسم مواجهة الخصم الملكى ، وانما بلغ حد تقاسم الاموال معه ، حتى بدا واضحا للقوى الوطنية فى اليمن أن «المجموعة العسكرية» التى نشأت فى ظل القيادة العربية ، وسارت فى هذا الطريق الخاطىء اما غير مدركة - بما فيه الكفاية - لطبيعة الواجب الجليل الذى كلفت به ، او انها غير قادرة على معرفة الاسلوب الصحيح لتحقيقه ، او انها تسير فى خط مغاير لخط عبد الناصر الثورى ، والقومى ، ولم يتضح الا فيما بعد أن هذا السلوك لم يكن مستغربا ، ليس فقط



لانتفاء المكتب العسكري الطبقي ، واحتفاظه - حتى بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - بعلاقات ما مع بعض بقايا المشايخ والعمد في الريف المصري ، وانما ايضا لأن المجموعة العسكرية البيرقراطية المعينة في القيادة العربية بصنعاء كانت - تحت تأثير ما وجدته تحت تصرفها من اموال طائلة ، بحكم تطلعاتها السياسية الجديدة نحو السلطة في القاهرة ، قد اصبحت تشكل مركز قوة يعمل في اتجاه غير اتجاه عبد الناصر ، ويسعى من اجل احباط غايته الثورية والنبيلة في اليمن ، بما يترتب على ذلك من أصداء ونتائج سلبية داخل الجمهورية العربية المتحدة نفسها ، على أن يكون ذلك خطوة تمهيدية لتطويقه والانقضاض عليه في ظروف معينة وملائمة وذلك هو بالضبط ما أظهرته وأكدته بوضوح حرب يونيو ١٩٦٧ ، ومتلاها من محاولات استهدفت الاستيلاء على الثورة العربية من اساسها ، والامساك بقيادة الامور فيها وتوجيهها ، وتوجيه احداث الوطن العربي معها في مسار آخر مختلف تماما ، بل ومعاكس جملة وتفصيلا « للمسار الناصري » . وهكذا بدلا من اطلاق قوى الثورة الاجتماعية ، وتنمية المبادرات الجماهيرية والاعتماد على القاعدة الشعبية ، والمساعدة في تنظيم القوى الوطنية ، والاسهام في وضع برنامج نضالي وطني ديمقراطي ، تسير عليه وتجنّد الشعب من حوله - كما حدث بالنسبة للجنوب اليمني ، بدلا من ذلك كله آثر مركز القوى العربي في اليمن - تعبيرا عن نفسه السياسي ، وبوحى مخططة الخاص - التعامل في وضوح مع « القمم » الاقطاعية العالية « والرؤوس » الارستقراطية البارزة ، ومع الممثلين الايديولوجيين والتقليديين الاقوياء لهذه الطبقة العريضة والعتيقة ، باعتبار ذلك اقرب طريق « لتهدئة الحال » في اليمن . وذلك هو مضمون ما اشار اليه الاستاذ محمد حسنين هيكل في برنامج « حوار مفتوح » الذي اذاعه تليفزيون الجمهورية العربية المتحدة مساء ٢٢ ، ٢٣ يونيو ١٩٧١ عندما تحدث عن أول مركز للقوى نشأ في اليمن بالذات حيث تجمع المال في يد القيادة هناك ، كان يحول الى ذهب ، ويتقاسم بين مركز القوى في القيادة ، وبين زعماء القبائل اليمنية الذين كانوا يشبهون بالمال بغية الحصول على ولائهم ، ونظرا لان شراء القبيلة كان اسهل دائما من تحريك لواء ضدها . وذلك ما كان قد اوضحه بجلاء في التحقيق الصحفي الذي أجرته معه مجلة الصياد البيروتية في ٢ يونيو ١٩٧١ ، حيث قال :

« ان مركز القوة الاول قد تكون في اليمن ، حين ارسل عبد الناصر الجيش المصرى ، ليتولى حماية ثورتها هناك ، ولاول مرة . وبسبب طبيعة العلاقات العشائرية السائدة ، ولان الولاء يشترى ولا يمنح بدأ الضباط يتعاملون مع الناس بالفلوس . . وكانت هذه تجربة جديدة لم يصمد فيها مع الاسف الا قلة من اقوياء النفوس . وهكذا تحولت قيادة الجيش الى مركز قوة بسبب ما فى يدها من صلاحيات وامكانيات هائلة ، خصوصا اذا ما تذكرنا اننا لم نكن وحدنا من يشتري الولايات . ونشأت . . على هامش المهمة الثورية النبيلة بؤرة فساد وفساد شمل شرها الكثير من القيادات الشابة ، والعناصر التى كانت مثالية فى طهارتها . » وهو ما تنبه اليه الزعيم الخالد جمال عبد الناصر وقتها ، حيث امر - وقد رأى ابعاده ومرامييه السياسية اساسا - بوضع حد له بعد عملية تحقيق شملت مكتب المشير عامر نفسه ، بما فى ذلك « على شفيق الذى كان مديرا لمكتب المشير عبد الحكيم عامر ، واحيل الى التقاعد على اثر تحقيقات جرت عن بعض التصرفات ، كما كتب الالهـسرام فى ٤ - ٩ - ٩٧١ ، ( موقف البراجوازية الوسطى اليمنية من الثورة الوطنية الديمقراطية د . محمد على الشهاوى . الطليعة القاهرية اغسطس ١٩٧١ ص ٨٧ - ٨٨ ) .

وعدا ذلك فانه اتضح ان بعض الضباط الذين اغرتهم كثرة الذهب الذى كان يوزع على مشائخ اليمن الذين « لم يكونوا يستحقون كل هذا » كما كان لسان حالهم يقول ، والذين - بالتالى - اخذوا نصيبهم منه ، راحوا يتجرون به ، ويشترون من سوق عدن الحرة ما يروق لهم ، ويبعثون به الى مصر على طائرات عسكرية خاصة ، دون أن يخضع لأى نوع من انواع التفتيش ، ودون دفع أى نوع من الضرائب الجمركية ! بل ان مكتب المشير عامر نفسه فى مصر كان قد غدا احدى بؤر الفساد التى ساهم ( ذهب ) اليمن فى خلقها ، هذه البؤر التى راحت تخلق لها حياة اسطورية خاصة والتى غدت احدى بل أهم مراكز من مراكز القوى البيروقراطية فى البلاد المناوئة لخط الثورة الوطنى والقومى والاجتماعى ، « ولم تلبث أجهزة المباحث الجنائية العسكرية ان اكتشفت أثناء تتبعها لبعض الذين يتاجرون بأجهزة وآلات يحضرونها من اليمن أن اثنين من أعضاء مكتب المشير قد هربا عدة صناديق من دخان التباك للمتاجرة فيها - حسب رواية الصاغ حس خليل الذى رفع مذكرة الى الصـ

شمس بدران . وعندما عرض الامر على المشير أصدر تعليماته بالتحقيق ، وأثر شمس بدران الابتعاد عن التحقيق الذي قام به الصاغ حسن خليل ، وانفى اكتشاف فيه أن هناك عصابة في ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة تصدر اذونات صرف وهمية تسنول عليها ، وانها مرتبطة بعصابة أخرى في مكتب المشير يرأسها الصاغ عبد المنعم أبو زيد . قدم المتهمون للمحاكمة ، ولم يحطهم المشير بحمايته ، وأصدرت المحكمة العسكرية التي رأسها اللواء محمد أحمد صادق ( وزير الحربية فيما بعد ) احكامها بالسجن على عدد من أعضاء المكتب ، وانتهى الامر بعد كشف هذه الفضائح الى احالة على شفيق صفوت للمعاش في نهاية عام ١٩٦٦ ، . ( عندما حكم المشير مصر . أحمد حمروش ، روز اليوسف ١٩٧٥/٧/٢١ ) .

ومن هنا كانت « الهزيمة المهولة التي وقعت على رأس مصر وحركة التحرر الوطني العربي ككل في عام ١٩٦٧ ، والتي جاءت نتيجة لعجز وفساد الجهاز البيروقراطي العسكري والمدني وما سببه من ضعف ونزيف داخل للتجربة منذ نهاية خطة التنمية الخمسية في ١٩٦٥ حتى ١٩٦٧ ، . ( لطفى الخولى في ( اليسار المصري يحاور توفيق الحكيم ) الطليعة يونيو ١٩٧٥ ص ٦٣ ) .

ويشير الاستاذ محمد حسنين هيكل الى ان من أهم سلبيات الوجود المصري في اليمن هو اننا بسبب ضعف الثورة اليمنية وجدنا دور الادارة المصرية يجعل محلها ، وهذا جعل اقامة مصر في اليمن مدة طويلة . ولقد ذهبنا الى اليمن من دون أن نحدد مدى معيننا لبقائنا هناك ، وحجما معيننا لمساندتنا ، ولذا وجدنا انفسنا أسرى الظروف والتطورات التي لم نستطع التحكم بها ، ثم وجدنا انفسنا نتيجة لذلك ننحى الثورة اليمنية ونتصرف بالنيابة عنها . ومن السلبيات على الصعيد العسكري أن ضباطنا وجنودنا تعلموا القتال السهل والاسراف في استعمال قوة النار ، واستعمال اسلحة في غير موضعها والبطء في رد الفعل ، لانهم خاضوا معركة من نوع جديد ، هم خاضوها نظامية ، والقوات اليمنية المعادية للثورة خاضتها بنوع متخلف من حرب العصابات ، . ( بصراحة عن عبد الناصر ، حوار مع محمد حسنين هيكل . فؤاد مطر القاهرة ١٩٧٥ ص ١٥٩ ) .

ومن هذه السلبيات أنه حتى صيغة التنظيم السياسي الواحد التي اريد تطبيقها في اليمن - وفق نمط التنظيم الواحد في مصر -

والتي كان ينبغي أن تحل محل صيغة الجبهة الوطنية ، ومحل الحزبية ( المحظورة والمحرمة ) فانها - في الواقع - لم تتسع لغير الناصريين ، ومن ادعوا الناصرية - حقا أو باطلا - وحرمت - الا في القليل جدا - القوى الوطنية والديمقراطية والاشتراكية الاخرى من الدخول والمشاركة في مثل هذا التنظيم السياسي الوحيد ، والشكلي ، والمتحيز والذي كان يتخذ من حين لآخر اسما مختلفا ، وقد حرمت من ذلك بحجة صريحة هو انها قوى حزبية ، ماركسية ، أو بعثية ، أو حركية !

وبدلا من أن تكون الناصرية حضنا واطارا يضم ويحتوي جميع القوى الثورية ، ولاسيما وان نهجها الوطني كان هو السائد والمتمكن ، وانها كانت تواجه مع جميع هذه القوى عدوا داخليا وخارجيا مشتركا ، فانها دخلت كطرف في الصراع مع بقية القوى الوطنية الاخرى ، التي كانت تشكل - مع ذلك - اقلية ثورية في بحر قوى التخلف والرجعية في اليمن والجزيرة . ! وبدلا من أن تعمل الناصرية على لم شمل هذه القوى وحشدتها في جبهة نضال وطني على امتداد الساحة اليمنية فانها - باستثناء مساعدتها على تشكيل جبهات مناوئة للاستعمار البريطاني بالذات ، كالجبهة القومية ، وجبهة التحرير لجنوب اليمن المحتل - فانها صادرت حق القوى الوطنية في الوجود والعمل السياسي والتنظيمي والأيديولوجي العلني والمشروع والمستقل !

ان ذلك لايعنى ان الاطراف الاخرى لم تكن تحمل قسما من مسئولية نشوب هذا الصراع ، ولربما تحملت المجموعة البعثية في اليمن التي كانت مربوطة بالخط السياسي العام لمركز القيادة في دمشق ، والذي كان في حالة تصادم مع الخط الناصري الذي كان أكثر ثورية وراديكالية ، ربما تحملت جزءا من مسئولية هذا الصراع ، ولاسيما وان سياستها المناوئة للتيار الناصري في اليمن قامت على اتباع اسلوب التحالف الانتهازي واليميني مع الكتلة الاقطاعية - العشائرية - الطائفية ، كتلة خط عمران - خمر - الجند التي كان يتزعمها القاضي محمد محمود الزبيري ، والقاضي عبد الرحمن الارياني ، هذه الكتلة المناوئة لخط الثورة وللوجود المصري في اليمن !

وهكذا غدت اليمن مسرحا لصراعات من نوع تلك الصراعات



الموجودة في المنطقة العربية ، بين الناصرية والبعثية ، ثم بين النصرية والحركية ، وإلى حد ما بين الناصرية والماركسية ، رغم أن التيار الماركسي كان أكثر تعاوناً مع الخط الناصري ، واشد دفاعاً عنه ، وتأيداً له من أي تيار آخر في البلاد !

وليس معنى ذلك - مرة أخرى - أن القوى الوطنية والتقدمية اليمنية كانت مسئوليتها قليلة إزاء هذا الوضع المضطرب وغير السليم بين قوى الثورة . لقد كانت هي أيضاً تتحكم فيها ، أو على الأقل تؤثر على موقفها السياسي ومسلكها النضالي تلك الحالة المعقدة والشائكة والمتخلفة السائدة في اليمن ، والناجمة عن الطبيعة القبلية الاقطاعية - الطائفية - العرقية - الاقليمية - القروية للاوضاع هناك حيث حالت مثل هذه الاوضاع والروابط البدائية المتخلفة دون الوصول إلى إيجاد ( ربطة وطنية ديمقراطية عصرية ) ورابطة ثورية نضالية موحدة بين جميع قوى الثورة اليمنية ، واستحال من ثم قيام أي جبهة عمل وطني موحدة على نطاق اليمن كلها ضد جميع القوى الاقطاعية والاستعمارية ، وظلت المنظمات الوطنية الناشئة - إضافة إلى تجسيدها لحلفاء الأحزاب القومية الأم في الوطن العربي - واقعة إلى هذا الحد أو ذاك - تحت تأثير العلاقات والقيم الطائفية والاقليمية والقروية في اليمن ، وعجزت - وحتى الآن ، وبعد خروج الجيش المصري من اليمن وضرب التيار الناصري فيها قيام أي جبهة عمل وطني موحدة على نطاق اليمن كلها ضد جميع بكل ملامحه وأشكاله - على أن ترتفع إلى مستوى خلق وحدة نضالية وطنية وشعبية بينها ، على أساس برنامج عمل وطني موحد ، موجه ضد قوى الاقطاع والقبلية والتخلف والاستعمار في اليمن ، وضد أي قوى رجعية أخرى مناوئة للثورة اليمنية في المنطقة ، ومن أجل إقامة دولة يمنية مركزية موحدة ، وطنية ديمقراطية ، ناهضة متقدمة .

وبعد : فإن دور ثورة ٢٣ يوليو والناصرية في اليمن - بجميع إيجابيات هذا الدور ، وهي الراجعة ، وجميع سلبياته وهي الثانوية ، مهما عظمت - لا يمكن فهمه والحكم عليه حكماً سليماً إلا بالنظر إليه من زاوية الخط والتوجه الناصري القومي عموماً ، والا بوضعه في موقعه الصحيح من التجربة النضالية التحريرية للناصرية على المستوى القومي كله . وكما كتب الاستاذ لطفى الحولي في ص ٦٢ من المصدر الانف الذكر فإن ثورة يوليو في مصر قد فتحت « باب الحياة الانسانية والثقافية والتأثير المتفاوت الدرجات

فى سير الاحداث ، أمام الكم الساحق من الجماهير الشعبية المطحونة . . . وكان هذا حدثا جديدا فى المنطقة العربية ، جاءت بعده تجارب الجزائر ، العراق وسوريا واليمن وغيرها تدعّمه وتعمقه . وكانت هذه الجماهير من قبل خارج اطار الحياة والتأثير فيها . غير ان ثورة يوليو لم تنجح أو أخفقت فى أن تحول هذا الكم الجماهيرى الى نوع مؤثر وفعال ومسيطر ثوريا . ذلك أن التجربة الناصرية كانت تعتمد على الشارع الهادر والجماهير غير المنظمة . وليس على الحركة الثورية للجماهير من خلال تنظيم حزبي وحركة ديمقراطية شعبية . فقد كانت لا تريد أن تقوى الحركة الجماهيرية الديمقراطية ، بحيث تعد من حركة القيادة وتصبح قادرة على المشاركة فى السلطة والحساب بحيث تدفعها الى اتخاذ اجراءات اكثر ثورية وجنرية . وكان عبد الناصر يقول دائما انه لا يريد قوة على يساره ابدا فى مصر او الوطن العربى .

وفى كلمات ختامية يمكننا القول ان اندفاع مصر بقيادة عبد الناصر عبر البحر الاحمر الى جزيرة العرب للاسهام فى تحريك وتثوير اوضاعها الاقطاعية والقبلية والاستعمارية ، وهز حياتها الجامدة والراكدة منذ مئات السنين واصطدامها القوى والحاسم هناك - من خلال احتضانها ودفاعها عن الثورة اليمنية - مع كل قوى الاستعمار والرجعية فى المنطقة - قد كانت بعدا هاما وعميقا من ابعاد الوثبة القومية العملاقة والشامخة ، والنهوض الثورى العارم والشامل لذي احدثته ثورة ٢٣ يوليو بزعامة عبد الناصر فى الارض العربية وفى الشرق الاوسط باجمعه ، بل وفى منطقة التحرر الوطنى بمحملها .

ان الآثار والنتائج الباقية لهذه المهمة التاريخية الجليلة والمجيدة التى نهضت بها مصر الناصرية فى اليمن لا تتمثل فقط فى أحداث انعطافة حضارية وقومية فى اليمن ، وفى وجود جمهوريتين على أرضها قامت على انقاض الحكم الاستعماري والامامي - وما كان لهما أن تقوما فى ذات الوقت الذى قامت فيه وبنفس الكيفية والسرعة بدون الدعم المصرى الشامل والسخي وغير المسبوق - وانما تتمثل هذه الآثار والنتائج الباقية والمتنامية ايضا فى وجود حركة تحرير وطنى يمنية فتية ، يزداد وعيها وتقديرها لهذا الدور القومى العظيم والباسل الذى ادته ثورة ٢٣ يوليو بقيادة عبد الناصر على ساحة اليمن !

وعندما تتمكن اليمن من تمزيق سياسة الاستيعاب والاحتواء الرجعية الاستعمارية المحيطة بها اليوم ، وتقوم على الارض اليمنية كلها - في المستقبل المنظور - دولة يمانية مركزية موحدة ، وطنية ديمقراطية ، ناهضة متقدمة فانه لا يتحقق بذلك فحسب ، واحد من أعظم وأغلى أحلام وأمانى الشعب اليمني الوطنية ، وانما ستكون اليمن بذلك أيضا قد أصبحت - كما كان يطمح ويريد عبد الناصر - ركنا أساسيا من أركان الحركة القومية العربية الشاملة ، وزاوية جوهرية في بناء صرح الوحدة العربية الديمقراطية التقدمية التامة الناجزة !

---

(١) في تقييمه للنتائج الايجابية للثورة ٢٣ يوليو في اليمن قال السيد جمال رفعت عضو مجلس الرئاسة السابق - في مؤتمر المبعوثين الذي حضره الرئيس جمال عبد الناصر في أغسطس ١٩٦٦ : « لقد تمكن الشعب المصري نتيجة كفاحه الطويل ان يطرد الاستعمار من مصر وان يحرر قناة السويس من سيطرته ، وان يجعل المداخل الشمالية للبحر الاحمر تحت سيطرة القوى الثورية ، وتلعيقنا لثورة اليمن واجبار الاستعمار على التخل عن قواعده في عدن والجنوب سيحرر هذه المناطق من النفوذ الاستعماري ، ويجعل المداخل الجنوبية للبحر الاحمر تحت سيطرة القوى الثورية المثلثة في ثورة اليمن . وبذلك يصبح البحر الاحمر بحرا عربيا خالصا لا الر فيه لاي نفوذ استعماري . كما ان ذلك يعتبر في حد ذاته حماية لقناة السويس من اي تهديد ياتي من المداخل الجنوبية للبحر الاحمر » .

انظر ( الصامتون في الميزان ) جمال سليم ، القاهرة ١٩٧٦ ص ٢٨٤ ) .  
وهذا التقييم لنتائج ثورة ٢٣ يوليو في دعم ثورة اليمن ، ولردود هذه الثورة للاء المنطقة العربية ، هو ما اثبتته سير الاحداث فيما بعد ، ولاسيما منذ حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، حيث تجل التضامن النضالي في حصار باب المندب بين ثورة ٢٣ يوليو والثورة اليمنية .

## عملية حصار باب المندب برهان على مدى ٢٣ يوليو في الثورة اليمنية

عملية حصار باب المندب التي تمت في حرب ٦ أكتوبر المجيدة ليست شاهداً فحسب على وحدة اليمن الطبيعية ، وإنما أيضاً على مدى التلاحم الفضالى بين ثورة يوليو والثورة اليمنية . ولقد احتلت عملية حصار باب المندب موقعا بارزا في ساحة حرب التحرير العربية ، ودخلت تاريخ الحرب الرابعة العربية الاسرائيلية من اوسع الابواب ، « مضيق باب المندب — وهو المدخل الجنوبي للبحر الاحمر — تقسمه جزيرة بريم الى قناتين ، قناة شرقية وعرضها ١٧ ميلا بها انحناءات عرضها ثلاثين ( ثلاثون ) قدما ، وعمقها اقصى ٩٦ قدما ، وقناة غربية ، وهي المفضلة للملاحة ، وعمقها ١٠٢٠ قدما ، وعرضها ١٠٤ ميلا تحصر المدخل بين جزيرة بريم والجزر الغربية من الساحل الافريقى ، ( تلخيص للدراسة عن جزر البحر الاحمر ، جامعة الدول العربية ، الامانة العامة ، الادارة السياسية ص ٣ ) .

### مضيق باب المندب شاهد على وحدة الاقليم اليمنى :

وعلى ذلك فان مضيق باب المندب بقناتيه يقع — سواء وفق القانون البحرى لليمن الديمقراطية القاضى بمد المياه الاقليمية ١٧ ميلا ، او وفق القانون البحرى لليمن الشمالية القاضى بمدها ١٢ ميلا — يقع ضمن المياه الاقليمية اليمنية ، « وجزيرة بريم لها اهمية استراتيجية بحرية عسكرية بالغة ، فهي مفتاح باب المندب ، تتحكم بموقعها وانحصار المدخل من حولها فيما لا يتجاوز اثنى عشر ميلا فى القناتين المفضيتين الى البحر الاحمر من مدخل خليج عدن ، ( المصدر السابق ص ٥ ) .

من هنا يبرز باب المندب كواحد من الشواهد الطبيعية والمادية



الصلبة على وحدة الاقليم اليمنى التى لا تقبل التجزئة أو التقسيم ،  
والتي اجمع على ضرورة الاسراع فى اعادة تحقيقها سياسيا وعلى  
أسس ديمقراطية ليس الوطنيون اليمنيون فحسب ، وإنما أيضا  
الانظمة الوطنية العربية كلها التى أسهمت فى صنع اتفاقيات  
الوحدة اليمنية . وما تزال تسهم فيها من خلال ممثليها ، والتي ساعدت  
فى دفعها أيضا الجامعة العربية نفسها التى ما انفكت تتابع مسارها  
من خلال ممثل الامن العام للجامعة العربية سليم اليافى ، والتي  
جاء فى أحد بحوثها القيمة حول الوحدة اليمنية وضرورتها كخطوة  
هامة ولازمة فى اتجاه الوحدة العربية وعلاقة ذلك بالاستراتيجية  
العربية فى جنوب البحر الاحمر ان ما « يعنينا فى صدد دراستنا  
هذه عن البحر الاحمر هو ما تشكله هذه الوحدة من اتساق  
استراتيجى هام فى حوض البحر الاحمر . فاليمن بشماله  
وجنوبه يشكل الاطار الاستراتيجى المحيط بالجزيرة العربية من  
الجنوب . ولقد كان هذا الاطار دوما موضع اهتمام استعماري حرص  
على السيطرة المباشرة على الجنوب منه ، وعمل على استمرار الاوضاع  
المختلفة فى الشمال منه ، ليضمن اطراد مصالحه المتعددة . . . واليمن  
بشطريه يشرف على المجموعة لداخل البحر الاحمر الجنوبية ، وبالتحديد  
حول بحر العرب والمحيط الهندى وخليج باب المندب ومضيقه والشطر  
الجنوبى من حوض البحر الاحمر ، كما ان مجموعة الجزر اليمنية  
المتناثرة عند مداخل البحر الاحمر وفى حوضه الجنوبى لاريب  
ستكون فى موضع أكثر تعزيزا بقيام الوحدة بين شطرى اليمن ، وأول  
مراتب ذلك التعزيز انهاء الخلافات حول التبعية شمالية أو جنوبية  
لعدد من تلك الجزر المختلف عليها ، ومن امثلة ذلك الخلاف على جزيرة  
قمران مثلا . . . وان مفهوم الوحدة اليمنية من شأنه أن يؤكد التناسق  
الاستراتيجى الهام للرقعة اليمنية بما تمثله من عناصر حيوية وحاسمة  
فى شأن الاستراتيجية العربية من حول البحر الاحمر ، فهو من  
ناحية أولى يقلل من عدد الوحدات السياسية بما قد يبعث على تباين  
القيادات السياسية فى التخطيط الاستراتيجى ، ومن ناحية ثانية  
يدعم امكانيات الاستفادة من سائر عناصر القوة الاستراتيجية المتاحة  
لهذه الرقعة اليمنية . فاتساع الرقعة الارضية بما يصل الى ٢٥٣ر٩٨٧  
ميلا مربعا ، أى قرابة مائتين واربعة وخمسين ميلا مربعا ، بما فيها  
أهم الجزر ، مضافا اليه التعداد البشرى الشامل الذى يقرب من سبعة  
ملايين ونصف المليون ، الى جانب الطاقات والموارد الطبيعية والمعدنية  
واحتمالات بترولية واستغلال منسق للطاقات الزراعية ، كل ذلك

يوفر عناصر استراتيجية حيوية .. وعلى مجال التخطيط الاستراتيجي العربي لمنطقة البحر الأحمر ، فإن الاتساع اليمنى الموحد يشكل الامتداد الاستراتيجي للمملكة العربية السعودية واتحاد الامارات العربية على الخليج العربي . وبالنسبة لاهمية السيطرة على مداخل البحر الأحمر وحوضه الجنوبي ، فإن الوحدة اليمنية تتيح التنسيق المتكامل المعزز بالتنسيق العربي المشترك لمواجهة استراتيجيات الصهيونية والاستعمار الساعين الى استغلال منطقتي مصوع وجيبوتي واحتلال بعض الجزر المواجهة على الطرف الغربي للبحر الأحمر .. واليمن الموحدة تمثل عمقا دفاعيا من حول الطرف الجنوبي للبحر الأحمر ، بما تتيحه اتساعاتها الارضية من امكانات متنوعة للنشاطات العسكرية من بحرية وجوية وحشود برية متعددة تتوافر لها وسائل التموين والتشوين والتجمع ، حيث تصلح الارض لانواع الحشود والتدريبات ، وتتوافر ويمكن أن يتزايد توفر وسائل الاعاشة ، ويمكن انشاء المطارات البعيدة المحصنة ، وتحقيق الوجود البحري المؤمن القواعد ، ( دراسة تحليلية عن الاهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر والدعوة لمؤتمر دول البحر الأحمر العربية ، لجامعة الدول العربية ، الامانة العامة ، ادارة الشئون السياسية ، ص ٢٨ - ٢٩ ) .

### اهمية مدخلي البحر الأحمر في الاستراتيجية العربية :

وجاء في ص ١٤٠ من الدراسة حول مدخلي البحر الأحمر الشمالي والجنوبي مانصه : « الظاهرة الاولى للمشكلة : هي التحرك الاستراتيجي المعادي والعدواني في البحر الأحمر ، وتركز ذلك في المدخلين الشمالي والجنوبي ، ففي المدخل الشمالي استطاعت تلك الاستراتيجية عن طريق العدوان عام ١٩٦٧ ، تثبيت تحركاتها السابقة منذ حرب ١٩٤٨ ، وعبر عدوان ١٩٥٦ لفتح خليج العقبة وانعاش ميناء ايلات ، وفي نفس الوقت تعطيل قناة السويس بكل تأثيرات ذلك على موانئ البحر الأحمر الاخرى .. وفي المدخل الجنوبي يتجه التحرك العدواني الى الدخول في لعبة الجزر ، والسعي لاقامة قواعد يمكنها أن تتسلط على بوغاز باب المندب تسلطا يستطيع ان يعطل القدرة العربية على التحكم في المدخل الجنوبي .. والظاهرة الثانية : هي انعدام التنسيق العربي ، بحيث ان رغم الامكانيات الهائلة للطاقت العربية من حول البحر الأحمر لا يكاد التحرك العربي المواجه يكون

له أى تأثير ، بل لا يعدو الامر انطلاقات وقتية من هنا وهناك تحذر من خطر محدود فى اغتصاب جزيرة ، أو فى مشاهدة سفن حربية غير معروفة الهوية .

وجاء فى هذا البحث القيم على ص ١١٣ : « فالحقيقة الأولى ترتبط بالصراع الذاتى بين قوى البحر الأحمر ، وتتضح ملامحها فى القيمة الحيوية الاقتصادية والسياسية والعسكرية لهذا البحر بالنسبة للعدو الاسرائيلى فى نطاق صراعه مع العالم العربى . ولاشك أن هذه الحقيقة ظلت وستظل المحرك الاول لمخططات العدوان المتكرر ، وانباعث الى تركيز هذا العدوان على مصر ، واستهداف المدخل الحيوى الشمالى للبحر الأحمر من حول شبه جزيرة سيناء ، سواء المدخل الشمالى الشرقى المتحكم فى خليج العقبة أو المدخل الشمالى الغربى فى قناة السويس . . . والحقيقة الثانية تتعلق بطبيعة القدرة العربية على التحكم فى شمال البحر الأحمر الذى تمثله مصر كخط للمواجهة الحاسمة مع العدو ، بحيث يشكل ذلك التحكم استكمالاً معزواً للتحكم الممكن فى جنوب البحر الأحمر ، وما يترتب على تلك القدرة من خنق ميناء ايلات ، العصب التجارى للعدو الاسرائيلى » .

### ملاحع الاستراتيجية الاسرائيلية فى جنوب البحر الأحمر :

وورد فى هذا البحث المتخصص على ص ١١٦ فى مجال كشف الاستراتيجية الاسرائيلية فى جنوب البحر الأحمر : « تجسرى المخططات الاستراتيجية للعدو الاسرائيلى على اساس تركيز اهتمام خاص بالبحر الأحمر ، والسعى الى تحقيق وجود نقط ارتكاز مترابط فى جسور تكفل تحقيق ثلاثة امور :

أمر اول : تجاوز للحصار العربى الاقتصادى والنفسى والسياسى .

أمر ثان : خلق مراكز نفوذ عسكري وقواعد بحرية تحقق سيطرة على مداخل البحر الأحمر ، او قدرة على وقف والغاء أى قدرة عربية على سد هذه المنافذ .

أمر ثالث : جذب قوى مساعدة غربية عن البحر الأحمر بدعاوى كفالة مصالحها الاستراتيجية ، ومن خلال ذلك اقحام البحر الأحمر

في مجال الصراعات العالمية » . و « تركز الاستراتيجية الاسرائيلية في البحر الاحمر على اعتبارات مستمدة من طبيعة الموقع الاستراتيجي لفلسطين المحتلة ، والى دور ميناء ايلات كمنفذ على البحر الاحمر ، والى الاساس القاعدى في العمق الذى تمثله النقب من وراء ميناء ايلات . »

### طابع الاستراتيجية الاستعمارية في المنطقة :

وتمضى الدراسة في ص ١٢٦ - ١٢٧ في شرح الاستراتيجية الاستعمارية التى تقوم على « تعطيل قدرات التحكم العربى في مداخل البحر الاحمر : ففي الشمال استغلت الاستراتيجيات المعادية الوجود الصهيونى في شتى أشكال العدوان المتكررة على مصر والبلاد العربية المجاورة من أجل تعطيل قدرة التحكم العربى في خليج العقبة وفي قناة السويس . وتتجه الاستراتيجيات المعادية بعد ذلك الى المداخل الجنوبية ، فتدخل في لعبة الجزر عند مدخل باب المندب ، وتسعى الى تمكين تسلط اسرائيل على بعض منها لتعطيل احتمالات القدرة العربية على التحكم في ذلك البوغاز . »

### اسلوب المواجهة العربية للمخطط الصهيونى والاستعماري :

وتشير الدراسة في ص ١٢٩ - ١٣٠ - لمواجهة هـ هذه الاستراتيجية التوسعية الصهيونية والاستعمارية - الى أهمية « تنسيق الدفاعات العربية حول مداخل البحر الاحمر ، ذلك ان الخطر واضح من استقراء التحركات العدوانية والمعادية من حول مداخل البحر الاحمر الشمالية والجنوبية على سواء . وهذا التحرك يمثل في عنفه وفي عمقه القيمة الحقيقية التى يقدرها العدو للقدرة العربية حين تقوم وتتوافر لها فاعليتها . فالعدوان من حول المدخل الشمالى في خليج العقبة وسيناء بكل عنفه وما يكدرسه له العدو والمخططات المعادية من قوة يعبر عن الحشية العميقة لمعنى قدرة التحكم العربى على هذه المداخل . وان اصر العدو في ادعاءاته من حول مضائق تيران وشرم الشيخ وحقوق المرور يؤكد انفعالية المؤثرة للتحكم العربى فيها . . كذلك فان المخططات التكميلية التى ترسمها وتطبقها استراتيجيات العدو والاستراتيجيات المعادية المتعاونة معه من حول المداخل الجنوبية تبرز الاهمية العملية باحكام التسلسل



العربي على تلك المداخل ، وتأثيراتها التي من شأنها أن تفشل كل خطته وادعاءاته في المداخل الشمالية ، ويبين ذلك مدى الترابط بين خطته في الشمال وخطته في الجنوب . . وفي تقديرنا أن أسلوب المواجهة العربية يتعين أن يسير على خطين متوازيين متناسقين : الأول تعزيز القدرة العربية في التحكم في المداخل شمالا وجنوبا ، باستخدام طاقات العمق العربي المتأخم في كل من الطرفين . والثاني تأكيد واضح على لعروبة الجزر في الجنوب ، وتوسيع القوات الدفاعية فيها ، وإنشاء قواعد مواجهة للنقاط التي كسبها العدو . .

### الأهمية الكبرى للتحكم في باب المندب :

من هذا الموجز السريع لهذه الدراسة التي وضعتها الجامعة العربية يتضح أن الإقدام على التحكم في باب المندب الذي يشكل مدخله الجنوبي للبحر الأحمر — بعد التحكم في خليج السويس مدخله الشمالي الغربي — يمثل صميم وجوهر الاستراتيجية القومية العربية إزاء البحر الأحمر التي طالما تردد الحديث عنها داخل اجتماعات الجامعة العربية وخارجها ، دون أن تتمكن لا دول الجامعة العربية ، ولا دول البحر الأحمر العربية ، ولا دولتا اليمن ، ولا أي منهما من وضعها أو التحرك الجاد في اتجاه وضعها وممارستها ، كما تحقق عملية الإطباق على هذا المضيق الاستراتيجي الفريد الأهمية هدفين في وقت واحد : فهي تلغي من جهة أهمية خليج العقبة وميناء إيلات جملة وتفصيلا ، وهي من جهة أخرى تؤثر تأثيرا بالغا وخطيرا على الوجود الاسرائيلي في سيناء من حول المدخل الشمالي للبحر الأحمر ، من هنا تتجلى خطورة عملية الالتفاف والاقتحام العسكرية والثورية البارعة والرائعة التي قامت بها مصر ، وأحكمت بها الطوق على مدخل البحر الأحمر ، ووضعت بها القوات الاسرائيلية في سيناء بين فكي الكماشة ، معززة ومكاملة بذلك عملية العبور الجسورة والعظيمة لقناة السويس ، ومشددة بها على عملية امساك الجيش الاسرائيلي من خناقة داخل سيناء ذاتها .

### قدم راسخة في سيناء وأخرى في باب المندب :

واذن فالوثبة العملاقة التي انجزها جيش التحرير العربي في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ والتي تجاوز بها اعظم حاجز مائي وصناعي ( قناة السويس وخط بارليف ) في تاريخ الحروب ، والتي أنهى بها اسطورة

الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر ، وألزمه وجمده - بعد دحره بقوة صدمتها من مواقعه المتقدمة - في خطوط دفاعية متآكلة ، هذه الوثبة العملاقة التي ثبت بها جيش العروبة المقدى قلعه الراسخة في سيناء وفى خط طويل ومتين يمتد بامتداد قناة السويس يشرف منه على البحر الابيض فى بور سعيد وعلى البحر الاحمر فى خليج السويس - لا تكتمل ولا يتضح عمقها الاستراتيجى ، وبعدها العسكرى ، وخطورتها السياسية الا اذا وضعنا فى الحسبان تلك القفزة الأفقية الجبارة التي رافقتها والتي قام بها الاسطول المصرى وطوى بها البحر الاحمر كله من مدخله الشمالى فى السويس الى مدخله الجنوبى فى باب المندب ، والتي هيمن بها - بضربة واحدة - على رأس الجسر البحرى هنا وهناك ، وحقق بها عملية حصار بحرى لاسرائيل أكثر خطورة وفعالية ونجاحا واحكاما من عملية حصار العقبة عام ١٩٦٧ التي اتخذت منها اسرائيل حينئذ ذريعة لشن حربها الثالثة على العرب !

ويتجلى أكثر فأكثر الأثر العسكرى والسياسى العميق لهذه الضربة الاستراتيجية الخطيرة المحكمة التخطيط ، الذكية التسديد ، المتقنة التنفيذ والتي يبدو انها لم تخطر حتى على بال دهاقنة واضعى الاستراتيجيات العسكرية فى واشنطن وتل ابيب من ناحية ان مصر انتهت بها كل مخاوف العرب التي ساورتهم وقلقتهم طيلة فترة النكسة من أن اسرائيل يتسللها الى بعض جزر البحر الاحمر الغربية ، ثم الى بعض الجزر اليمنية ، تتجه - بدون مقاومة رادعة - الى وضع اليد على باب المندب ، وعلى جزيرة بريم بالذات ذات الاهمية لفائقة والقائمة فى مضيق ، والى اطباق قبضتها فى آخر الامر على مدخل البحر الاحمر معا ، وتحويله - على هذا النحو - الى بحيرة اسرائيلية - استعمارية مقفلة !

### الصراعات الاستعمارية على جنوب البحر الاحمر خلال القرنين الآخرين :

ولا يمكن ن تتضح بالكامل اهمية هذا الانجاز الاستراتيجى والثورى الفريد مالم نلق نظرة سريعة الى الورا على الصراعات الاستعمارية التي دارت على مضيق باب المندب - وبالتالى على البحر الاحمر والمحيط الهندى بين القوى الكبرى خلال القرنين الأخيرين .  
فعندما عزم نابليون - بعد سيطرته على مصر - على مد

نفوذه في اتجاه الشرق ، وتهديد مراكز النفوذ البريطاني الذي كان قد أخذ يمتد من الهند صوب الخليج العربي والبحر الأحمر ، بادر الاستعمار الانجليزي عام ١٧٩٩ - في حركة معاكسة وسريعة - الى ارسال أسطول حربي سيطر به على جزيرة بريم وعلى مضيق باب المندب ، وأقفل بذلك خط التقدم على الحملة الفرنسية نهائيا وإلى الأبد .

ومع ذلك ظلت فرنسا المنافسة ترفع - وحتى الحرب العالمية الثانية - مطالب توسعية على رأس الشيخ سعيد أتباع الاهمية والمطل من الساحل اليمني على باب المندب ، بحجة انها اشترت هذا الموقع الاستراتيجي أو استأجرته من شيخ المنطقة على ثابت مند يناير ١٨٦٩ مقابل ٨٠٠٠٠ ريالاً لاقامة وكالة فرنسية فيه ! ولم تتراجع عن مطالبها هذه الا تحت ضغط ايطاليا التي كانت تهيمن على اريتريا وضغط بريطانيا المتحكمة في جزيرة بريم .

وعندما اعلنت تركيا التي كانت تهيمن على ( ولاية اليمن ) خلال الحرب العالمية الاولى اقفال باب المندب - دعماً لحمايتها البرية على عدن - وصبت وابل نيران مدفعيتها على جزيرة بريم ، انطلاقاً من رأس الشيخ سعيد ، في محاولة لحصر ودحر الوجود البريطاني من جنوب اليمن ، مستعينة في ذلك أيضاً بحليفها ألمانيا ذات المطامح التوسعية الكبيرة في الشرق ، والتي ارادت المضي في تحقيق هذا الهدف المثير عن طريق اقامة قواعد غواصات ألمانية حذاء الساحل اليمني وتلغيم باب المندب بواسطة بواخر ألمانيا ، عندما حدث ذلك امكن للامبريالية البريطانية التي كانت ما تزال في عنفوانها بفضل نجدة أحضرتها من السويس احباط كل المشاريع التركية والالمانية البعيدة المدى ، وتحطيم حصون مستودعات الشيخ سعيد ذاتها واحتلالها لبعض الوقت !

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية كان من السهل على زعيمة الاستعمار العالمي بهيمتها على باب المندب ليس فقط ابطال فعالية كل خطط واعمال ايطاليا الفاشية في البحر الأحمر ، وانما أيضاً ملاحقتها الى مواقع سيطرتها على الساحل العربي للبحر الأحمر ، واخراجها منها نهائياً ، واحكام قبضتها على مدخلها الشمالي .

ولم يكن خافياً على الاستعمار البريطاني انه كان من اهداف

الثورة العربية — بدورها الفعّال في قيام الثورة اليمنية في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ — التقدم نحو تصفية الاسطول الانجليزى في جنوب البحر الاحمر بعد تصفيته من شماله ، ومن هنا مقاومته العنيدة المستميتة للثورة اليمنية والعربية معا ، واعتماده — مع الامبريالية الامريكية — على اسرائيل في توجيهه الضربة ( الفاصلة ) الى مركز القيادة القومى في مصر واضطرار القاهرة — على هذا النحو التامرى والفادر — الى سحب جيشها من اليمن — كما حدث قبل ذلك مع محمد على باشا — ووضع مصر ذاتها تحت الحصار المباشر !

وقبل ان ينسحب الاستعمار البريطانى من جنوب اليمن حاول عبثا — من خلال الامم المتحدة الابقاء على هيمنته على باب المندب ( لأهميته الدولية ) الخاصة ، او تحويل هذا الممر اليمنى الهام الى ممر مائى ( دولى ) غير خاضع للسيادة اليمنية وهو ما تحاوله الآن من جديد — فى ظل الحرب العالمية الرابعة العربية — الاسرائيلية — الامبريالية العالمية كلها ، وبشكل تأمرى محموم ومكثف !

### وضع مدخل البحر الاحمر تحت السيطرة العربية :

من هنا تتضح خطورة وعبقورية الاجراء العسكرى والثورى العربى الذى وضع به باب المندب تحت سيطرة وحماية الثورة اليمنية والعربية معا ، والذى ضرب به — لأول مرة — حصار شامل وقاهر — من جهة الشرق والجنوب — على الكيان الاسرائيلى التوسعى ، والذى اكتملت به سيطرة الامة العربية على مدخل البحر الاحمر الشمالى والجنوبى فى وقت واحد ، هذين المدخلين اللذين يشكلان أخطر وأهم موقعين استراتيجيين فى العالم العربى والشرق الاوسط ، واللذين بالهيمنة الكاملة عليهما وعلى ما يرتبط بهما من ثروات ومصادر تبسط الامة العربية سيادتها الحقيقية على مركز العالم بأسره .

ذلك هو الانجاز الباهر الذى قامت به مصر فى جنوب البحر الاحمر بالتعاون مع الثورة اليمنية — ولذى ابرزت مغزاه الكبير بياناتها الرسمية التى كما اشارت الى الانتصارات الحربية الحاسمة فى سيناء فأنها لفتت الانتباه الى مايجرى على الجانب الاخر من البحر الاحمر ، ذلك « ان هناك عاملا هاما ، هو ان باب المندب عند مدخل البحر الاحمر مغلق تماما لجميع السفن المتجهة الى اسرائيل ، بما



في ذلك ناقلات البترول ، وبذلك أصبحت اسرائيل كلها محاصرة بحريا بقفل باب المندب ، الامر الذي سبب لها أكبر الخسائر الاقتصادية ومعنوية وسياسية في داخل اسرائيل « ( الاهرام ١٩٧٣/١٠/٣٠ ) وقد وضعت نتائج ذلك في عدم « وصول أية واردات من البترول الى اسرائيل ، الامر الذي دفع حكومة اسرائيل الى فرض قيود على السيارات وفي نفس الوقت ادى الحصار الى حرمان اسرائيل من تصدير منتجاتها الى آسيا واستراليا . ( الجمهورية ١٩٧٣/١١/٨ )

وقد ظهرت آثار هذا الحصار على الفور ، حيث أعلنت سلطات ميناء ايلات « ان ١٣ سفينة شحن قد احتجزت في ميناء « ايلات » الاسرائيلي بسبب الحصار المصري على مضيق باب المندب عندهم دخل البحر الاحمر الجنوبي ، وفيما أكلت صحيفة « معاريف » الاسرائيلية « ان جزءا كبيرا من الاسطول البحري المصري يشترك في فرض هذا الحصار الذي كان من نتائجه اصابة الحياة في ميناء ايلات بالشلل التام ، وعجز السفن القادمة عن دخول مضائق باب المندب ، وحيث قالت وكالة « الاسوشيتدبرس » من واشنطن ايضا « ان المصادر الامريكية هناك ذكرت ان سفينتين حربيتين مصريتين ( مدمرة وفرقاطة ) تقومان الآن بحراسة باب المندب ، وتحولان دون مرور السفن المتجهة شمالا الى ميناء ايلات الاسرائيلي » .

اما ما صرح به جورج فيست المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية من ان « الولايات المتحدة لا تستطيع ان تعتبر الموقف في مضيق باب المندب حصارا رسميا ، فانه لا أهمية له ، حيث لم تجهل الاوساط الاستعمارية الصهيونية ان ذلك كان هو أول مردود عملي ايجابي تجنيه مصر بعد اسهامها التاريخي في تغيير الاوضاع الاستعمارية في جنوب الجزيرة العربية ، وتحويل عنق الزجاجة البحري هناك الذي ظلت تقبض عليه الامبريالية البريطانية قرنين كاملين الى امر قومي عربي ، والى موقع نضالي ثوري لحماية الثورة اليمنية والعربية معا ، ولحماية طريق الشرق والغرب العتيد .

ومن هنا شكوى السلطات الاسرائيلية من « ان اليمن الديمقراطية الشعبية أعلنت منذ بداية حرب ٦ اكتوبر اغلاق مضيق باب المندب في وجه السفن الاسرائيلية » . ( الاهرام والجمهورية ١٩٧٣/١١/٢ ) ( والاخبار ١٩٧٣/١١/٧ ) وان لم تكن اليمن الجنوبية أو الشمالية قد أعلنت ذلك بالفعل .

ومن هنا كذلك صراخ اسرائيل ومطالبتها وحلفاءها وأصدقاءها  
بضرورة انتهاء الحصار المصري المضروب على مضيق باب المندب .  
ومن هنا تلك التصريحات المتشعبة التي ادلت بها جولدا مائير  
رئيسة وزراء اسرائيل في أمريكا عن اغلاق باب المندب يشكل  
مشكلة صعبة جدا ، ويعد انتهاكا لوقف اطلاق النار من جانب  
مصر ! « وان تحديد خط وقف اطلاق النار يجب في المرتبة الثالثة  
في قائمة الاسبقيات بعد تبادل الأسرى وانها اغلاق باب  
المندب ، ( الجمهورية في ١٩٧٣/١١/٢ ، الاهرام ١٩٧٣/١١/٤ )

### دلالة تحرك الاسطول الأمريكى فى اتجاه المنطقة :

ومن هنا ايضا ما اعلنته وزارة الدفاع الامريكية فى  
١٩٧٣/١٠/٣٠ - بعد ان تدخلت بكل ثقلها لصالح اسرائيل  
لانقاذها من هزيمة بدا انها وشيكة ، كما قالت الحكومة الامريكية  
لحلفائها الاوروبيين الذين أخذ ينشقون عنها مبررة بذلك تدخلها،  
وبعد ان اعلنت حالة الاستنفار العسكرى والتأهب النووى لمواجهة  
الاتحاد السوفيتى الذى هدد بالتدخل الى جانب العرب - كما قالت  
ايضا - ما اعلنته من ان قوة بحرية خاصة مكونة من حاملة الطائرات  
هانكوك وأربع مدمرات وسفينة تموين فى طريقها الى المحيط الهندى،  
وانها اجتازت « بالفعل مضيق ملقا بين ماليزيا واندونيسيا  
فى طريقها غربا » . الأمر الذى أثار قلق واستنكار الأوساط الهندية  
والعربية ، بما فيها عدن . التى بحث مجلس وزرائها هذه « التحركات  
الاخيرة للاسطول السابع الأمريكى فى المحيط الهندى ، والتهديد الذى  
تشكله هذه التحركات لامن المنطقة ولسيادة اليمن الديمقراطية ، ومياهاها  
الاقليمية ، وخاصة مضيق باب المندب » . مما استدعى اجراء مشاورات  
مع القاهرة ودمشق واقطار عربية اخرى ( بجمهورية ١٩٧٦/١١/٧ )  
بغية التفاهم على اسلوب مواجهة هذا التهديد الجديد .

ان هذه الحملة البحرية الامريكية التى سبقتها - قبل نشوب  
الحرب - شكوى من وجود سوفيتى متعاضم فى المحيط الهندى وخليج  
عمن والتى صاحبها شكوى اخرى عبر عنها جيري فريد مان الناطق  
باسم البنتاجون بقوله : « اننا نراقب بانتباه تزايد حجم الاسطول  
السوفيتى » الذى يضم ٢٠ سفينة فى المحيط الهندى و ٩٠ فى البحر  
المتوسط - تستهدف من جملة ما تستهدف - الى جانب القيام بعملية  
ارهاب للحصار البحرى العسرى لجنوب البحر الاحمر

والى جانب اننا « نحب أن نكون فى المحيط الهندى من وقت لآخر »  
- كما قال فريد مان ايضا - تستهدف حماية طريق البترول القادم  
من الخليج العربى ، والقيام باستعراض للقوة فى منطقة استراتيجية  
« يوجد فيها البترول الذى يزود بالوقود الصناعة الامريكية  
واليابانية واوروبا الغربية » . على أن العامل المباشر فى تحريك هذه  
الحملة هو - كما ترى الدوائر الدبلوماسية الآسيوية - الاستعداد  
لاستعراض القوة فى « واحد من اكثر المواقع استراتيجية فى العالم »  
ولا سيما بعد اعلان البحرين « إغلاق القاعدة الامريكية فى اراضينا ،  
واغلاق اليمن الجنوبية (دون اعلان من أى من شطرى اليمن ) مدخل  
البحر من الجنوب » ( الاهرام والجمهورية ١٩٧٣/١٠/٣١ ) واقصاح مصر  
بكل قوة وجلاء ان الحصار الذى ضربته على باب المندب لن يرفع الا  
فى ضوء التوجه العملى نحو تسوية عامة لمشكلة الشرق الاوسط .

واتضح بذلك أن القضية لم تعد محصورة فى حدود « ان الكلام  
فى موضوع الاسرى الاسرائيليين ، وفى موضوع فك  
الحصار البحرى على باب المندب عند المدخل الجنوبى  
للبحر الاحمر يصبح مهزلة بغير التمهيد للحديث عنها بالعودة  
الى خطوط ٢٢ أكتوبر » (بصراحة ، هيكمل ، الاهرام ١٩٧٣/١١/٤) .

أو ليس ذلك هو ما اكده الرئيس العربى انور السادات فى  
رده الموجه الى المستر هيث رئيس وزراء بريطانيا الذى كان قد اقترح  
رفع الحصار المصرى على باب المندب مقابل رفع ما زعم انه حصار  
اسرائيلى عن الجيش الثالث المصرى المرابط فى شرق السويس مع  
تبادل تسليم الاسرى والجرحى العرب والاسرائيليين ؟

فلقد كان رد قائد معركة التحرير « أنا رديت على المستر هيث  
الحقيقة ، وقلت انه قبله يحترم وقف اطلاق النار على خط ٢٢  
اكتوبر . عندئذ أنا مستعد الجرحى والاسرى ننتبادلهم . أما باب  
المندب فنتكلم فيه لما نيجى نتكلم فى الخطوة بتاعة الفصل بين القوات  
المتحاربة . . ده اذا كنا عايزين نتكلم فى السلام » . وذلك ما اكده  
أيضا المتحدث العسكرى المصرى اللواء عز الدين

مختار فى اجابته على ما اذا « كانت مصر سترفع  
الحصار عن باب المندب فى حالة موافقة اسرائيل على سحب قواتها  
الى خطوط ٢٢ اكتوبر » حيث نبه الى « ان الرئيس انور السادات  
اشار فى مؤتمره الصحفى الى أن التنفيذ ( الأنسحاب ) الفورى  
للقوات الاسرائيلية الى خطوط ٢٢ اكتوبر سيتبعه عقد مؤتمر سلام

لتنفيذ كافة بنود القرارات ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٢٤٢ التى تضمن السلام العادل والدائم فى المنطقة » .

لقد كانت عملية باب المندب من الخطوة الى حد ان الاوساط الاستعمارية طالبت برفع ما اسمى بالحصار الاسرائيلى للجيش الثالث مقابل رفع الحصار المضروب فعلا على باب المندب ، وان يكون ذلك ضمن عملية تصفية ( الجيب ) الاسرائيلى فى الضفة الغربية لقناة السويس ومن هنا ايضا ما نشرته ( معـريف ) الاسرائيلية من « أن كيسنجر لم يكف طوال محادثاته مع جولدا مائير عن الاصرار على رضوخ اسرائيل لمسألة الانسحاب ( الى خطوط ٢٢ أكتوبر ) مقابل حدوث اتفاق على موضوع الاسرى ورفع حصار باب المندب » . ( الاهرام ١٩٧٣/١١/٧ ) .

لقد كانت القفزة العملاقة التى رسخت بها مصر اقدامها فى سيناء ، وقبضت بها على عنق البحر الاحمر فى باب المندب مؤشرا على امكانية السير فى اتجاه تحرير جميع الاراضى المحتلة بفعالية ونجاح وكانت بدية الصيحة والانتفاضة العربية الشاملة ليس لاستخلاص الاراضى المحتلة كلها من يد الاجنبى فحسب ، وانما أيضا لضرب المواقع الاستعمارية ورفع اعلام الحرية والتحرير على ربوع الارض العربية كلها .

### عملية التفاعل التاريخى بين الشعبين اليمنى والمصرى :

وهى لم تكن اول وثبة لمصر فى اتجاه الصحراء ، او فى اتجاه البحر الاحمر وهى ليست اول عملية تحرير وتطويق تقوم بها القاهرة الغزاة ، وتسد بها الطريق على القوى الاجنبية الطامعة ، كما انها لم تكن اول عملية التحام بين الشعب اليمنى والمصرى تتم بواسطتها الهيمنية الكاملة على مضيق باب المندب ، وعلى طريق التجارة العالمى بين الشرق والغرب . فمنذ الملكة حتشبسوت التى امرت فى الزمن القديم بحفر ترعة لتوصيل النيل بالبحر الاحمر ، والتى بلغت سفنها جنوب هذا البحر بالفعل ، وعملية الامتزاج والتواصل التفاعل التاريخى - ايا كانت اشكالها - مستمرة بين سكان جنوب الجزيرة العربية وسكان وادى النيل .

ومضت عملية التفاعل التاريخى هذه حتى فى ظل حكم البطالمة الذين اسسوا احد الموانئ بالقرب من بوغاز باب المندب ، والذين كانت سفنهم تنقل تجارة الشرق من عدن صوب الشمال وفى اتجاه العالم الغربى القديم كله ، كما مضت هذه العملية ايضا فى عهد



الرومان من بعدهم الذين كانوا قد بسطوا كذلك سلطانهم على مصر .

وازدادت هذه الصلة الحيوية والمبكرة بين اليمنيين والمصريين وتعمقت أكثر بعد الفتح الاسلامي لمصر ، وبعد اعادة حفر القناة القديمة بين النيل والبحر الاحمر بأمر عمر بن الخطاب والتي عرفت حينئذ باسم ( قناة امير المؤمنين ) والتي كانت تمثل رأس الشريان التجارى الحى الممتد عبر البحر الاحمر الى مضيق باب المندب وعدن . ولم تنقطع هذه الصلة الحية والمتجددة بين مدخل البحر الاحمر حتى فى ايام النفوذ الاجنبى الذى هيمن على الجزء الشمالى من الوطن العربى فى الشام ابان الاحتلال الصليبي .

### **دور مصر فى حماية جنوب البحر الاحمر من الغزاة :**

وعندما تهدد الخطر البرتغالى مضيق باب المندب والبحر الاحمر فى مطلع القرن السادس عشر ، وبدء ان اليمن التى كانت تمزقها الخلافات الداخلية بين ائمتها وامرائها الاقطاعيين غير قادرة على مجابهته بفعالية ، والقضاء عليه بقوة - تحركت مصر ، حتى وهى فى ظل الحكم المملوكى ، وارسلت اسطولها البحرى الذى اجتازت باب المندب ، ومضى يلاحق البرتغاليين حتى المحيط الهندى . ولولا عملية الاعتراض البريطانية التى وضع بها ميناء عدن منذ عام ١٨٣٩ تحت السيطرة الاستعمارية البريطانية المباشرة ، لكانت قوة محمد على حاكم مصر التى كانت تطل من المخا على الساحل القريب من باب المندب ، وكانت تنهى من هناك للانطلاق صوب عدن ، لكان جنوب البحر الاحمر كله منذئذ قد اصبحت تحت السيادة العربية .

### **عودة الاسطول المصرى الى الساحل اليمنى فى عهد ناصر والسادات :**

وانطلاقاً من هذه الخلفية التاريخية التى تؤكد عمق الصلة بين مدخل البحر الاحمر وبين قطر اليمنى والمصرى يمكننا القول ان وثبة الجيش والاسطول المصرى فى عهد الثورة العربية وتحت الزعامة الناصرية نحو الشاطئ اليمنى ، ما هى الاستمرار تاريخى لهذه الصلة التجارية والحضارية والقومية المبكرة بين الشعبين العربيين ، وما هى الا تجديد وتشوير للروح القومية العربية ، وبداية مجابهة ثورية شاملة وحازمة للاستعمار البريطانى المتحكم فى جنوب جزيرة العرب ، واقتلاعه منه نهائياً الى الابد .

كذلك فإن وثبة الاسطول المصري نحو جنوب البحر الاحمر في عهد انور السادات ، وهيمنتها التامة عليه ما هي الا استكمال للعملية التاريخية والثورية الحديثة التي بدأت ايام عبد الناصر ، وما هي الا انطلاق بها نحو افاق اوسع وابعد ، فوق انها كانت امتدادا جبهويا وحيويا مثيرا لمعركة التحرير الدائرة الرحي في سيناء وفي الجولان .

**تقاعس العدو عن محاولة فك الحصار :**

وان مما يسترعى الانتباه بهذا الصدد في عملية حصار باب المندب أن العدو الاسرائيلي لم يجرؤ على محاولة مقاومتها باختراقها أو فكها أو حتى الاقتراب منها ، رغم زعم ( معاريف ) بأن الذي يقوم بها سفينتان وغواصتان فقط كما جرب نفس الشيء مثلا - ببعض النجاح - في قناة السويس . أن ذلك وحده شهادة على القيمة العسكرية الفائقة لهذه العملية ، وعلى الميزة الاستراتيجية الفريدة التي تحققت بها ، وعلى الظروف الحربية والجغرافية غير الملائمة بالنسبة للعدو ، وعلى المال الدرامي الذي كان يمكن ان تلقاه اى مغامرة بحرية قد يقدم عليها .

كذلك فإن من الملاحظ أن السفن الاسرائيلية التجارية لم تجرؤ هي ايضا على محاولة تعدى الحصار المفروض على باب المندب والتقدم اليه ، حتى اكدت المصادر الاسرائيلية بأن « هناك عشرات من السفن الاسرائيلية معطلة في ميناء ايلات تخشى الابحار خوفا من ان تتعرض لها سفن الاسطول العربى » و « ان السفن التي تريد دخول البحر الاحمر او الخروج منه تخضع لتفتيش صارم من السفن الحربية العربية ، وقد تعرضت سفينة شحن يابانية ( بالفعل ) للتفتيش منذ عدة ايام » ( الجمهورية ١٠/١١/١٩٧٣ ) .

### **خسائر اسرائيل الفادحة بسبب اغلاق المضيق :**

أن اجمالى خسائر اسرائيل نتيجة اغلاق باب المندب تمثلت فى التالى : - « توقف العمل تماما فى ايلات ، وخسرت اسرائيل ملايين الدولارات ، وتعطل أكثر من ٣٠ ألف عامل ، وفنى اسرائيلى ، كانوا وراء تشغيلها والمرافق التابعة لها - كما قال أحمد محجوب رئيس جهاز المقاطعة العربية التابع للجامعة العربية - ومن المعروف ان صناعة البترول فى اسرائيل تدر عليها حوالى ٧١٤ مليون دولار ، وتحصل اسرائيل على ١٠٠ مليون دولار كضرائب على البترول المار عبر الانبواب الممتد من ايلات على البحر الاحمر الى

أشدود الاسرائيلي على البحر المتوسط . ونتيجة لاجلاق باب المندب توقفت مصفاتان لتكرير لبتترول وتصديره لاوروبا . . . الاولى في حيفا ، والثانية في اشدود ، وثالثة كانت تحت الانشاء في سيناء المحتلة ، وتوقف الطريق البري السريع والمزدوج الممتد من ايلات الى عسقلان على البحر المتوسط ، ومنعت ٥٠٠ ناقلة بترول ، حمولة كل منها ٨٠ ألف طن من الوصول لايلات ، وكذلك ٤٠٠ باخرة شحن بضائع ، ومنع ٣٠٪ من صادرات اسرائيل من الحمضيات المصدرة للشرق الاقصى ، وتوقف ٥٠٪ من الانتاج الاسرائيلي من الفوسفات والنحاس والاسمنت المصدر لليابان وبعض دول الشرق الاقصى والدول الافريقية ، وكانت اسرائيل بعد اغلاق قناة السويس قد أنشأت «خط أنابيب سعته ٤٢ بوصة ليحمل البترول من مصادره في الجنوب الى الشمال على البحر المتوسط ، ثم يعاد شحنه بناقلات البترول الى أوروبا المتعطشة له والى المناطق الاخرى وهذا الخط الذي ينقل حاليا ٤٠ مليون طن سنويا من البترول الخام القادم من ايران والذي سيرتفع الى ٦٠ مليون طن حسب التقديرات التي كانت مقدرة له هذا العام يدر على اسرائيل مبلغ ١٠٠ مليون دولار سنويا . ونتيجة للحصار المضروب حول باب المندب فإن انبوب اسرائيل قد جف منه البترول ، كذلك تعطلت اجراءات الانتاج من حقول سيناء لوقوعها في نطاق مرمى النيران لجيشنا الثالث في سيناء » . ان ذلك الوضع الحرج الذي وجدت اسرائيل نفسها فيه يفسر موقف هولندا التي قامت «بمد اسرائيل بالبترول المكرر لسد العجز لديها نتيجة حصار باب المندب الذي بدأ مع اليوم الاول للمعارك . ولو لم يكن البترول القادم من هولندا - وللمفارقات انه بترول عربي في الاساس وكذلك البترول الذي أمد به الاسطول السادس الامريكى في البحر المتوسط اسرائيل - لتوقفت آلة الحرب في اسرائيل بعد اسبوع من القتال لعدم وجود الوقود الكافي لتسييرها » . ( ايلات بعد اغلاق باب المندب ، تحقيق سيد نصار ، أخبار اليوم ١٠/١١/١٩٧٣ ) لم تجرؤ اسرائيل على محاولة تحدى الحصار ، رغم ما صرح به شيمون بيريز وزير النقل الاسرائيلي «بأن اسرائيل قد ترسل سفنا عبر مضيق باب المندب ، لترى ما اذا كان الحصار المصرى - الذي لم يرد ذكره في اتفاقية وقف اطلاق النار قد رفع » . وردد في مؤتمر صحفي « أن اسرائيل تؤمن بحرية الملاحة في المياه الدولية ، وانه اذا كانت قناة السويس قد تعد طريقا مائيا مصريا ، فان مضيق باب المندب مياه دولية ، وحرية المرور في البحر الأحمر ضرورية لتجارة اسرائيل

الدولية مع اسيا وافريقيا . ، وطمان اسرائيل نفسها بقوله بأن وقف اطلاق النار « يشمل كل شيء » ، بما فى ذلك مضيق باب المندب ، (الاهرام ١٣-١١-١٩٧٣) .

### قفزة جريئة على ارض مهدتها الثورة :

ان مما سهل لعملية الحصار المصري لباب المندب أن تحقق كل هذه النتائج الباهرة وأن تكبد العدو الصهيونى كل هذه الخسائر الفادحة انها تمت فى منطقة تدين بالولاء لقاعدة الثورة العربية ، وانها كانت وثبة على ارض شقيقة مهددة ، اعادة الثورة اليمنية والعربية حرثها وقلبها وصياغتها من جديد ، ولم تكن وثبة على ارض غريبة أو على صخر ، كما كان الامر قبلا فى عهد التحكم الاستعماري . ولذلك فانها لقيت تعاطفا حارا ، وتجاوبا قويا ومساندة وتأيدا واضحين وشديدين من قبل شعبنا اليمنى الذى جمع فى شمال الوطن بمبادرة ذاتية « ٥ ملايين ريال لصالح المجهود الحربى لدول المواجهة » (الاخبار ٩-١١-١٩٧٣) والذى كان فى الامكان أن يلعب دورا أكبر وأكثر فعالية وحيوية فى مثل ظروف معركة المصير القومية لو كان موحد المشيئة والسياسة ، ولو كانت هناك وحدة وطنية وادارية تجمعه ، ولو كانت هناك دولة مركزية ديمقراطية توحيده . ورغم أن الشعب اليمنى - نتيجة للتجزئة الاقليمية والسياسية المفروضة عليه - لم يكن - وكما يتمنى - فى حالة حضور كامل خلال هذه المعركة القومية المجيدة ، ولم يتمكن من النهوض بواجبه العربى ازاءها كما ينبغى وكما يريد ، الا انه كان موجودا فيها بشكل ما اشكال الوجود الشعبى والثورى .

على أن مما يدعو للأسف أن التجزئة الاقليمية والسياسية قد عبرت عن نفسها حتى فى هذا الوقت العصيب الذى لم يكن يحتمل غير الوحدة الوطنية والقومية وغير وحدة العمل الوطنى والقومى العربى الذى تجسد أفضل ماتجسد فى ذلك التضامن العربى بين مشرق الوطن العربى ومغربه والذى لم يسبق له مثيل .

وبدلا من أن يكون باب المندب الذى يتقاسم شطرا اليمن السيطرة عليه ميدان تعاون وتنسيق بينهما ، ولاسيما فى مثل هذا الوقت الدقيق ، كان لدى البعض على الاقل - مايزال صالحا لان يكون ميدان منافسة ومنازعة حتى أمام الراى العام العربى ، وبدل أن يكون هناك - ومنذ البداية - موقف يمنى منسق ازاء باب المندب وازاء الجزر اليمنية - ريثما تتحقق الوحدة السياسية - وأن يكون هناك



تنسيق يمني مشترك ومبكر مع مصر ، تحسبا لكل طارئ ، وبدل أن يحدث ذلك بالسرعة اللازمة ، وبعد أن تمت عملية الحصار ، مباشرة ، وجدنا البعض يطلق نغمة غير مفهومة وغير مستساغة حول باب المندب ، شبيهة بتلك النغمة التي ثارت من قبل في إطار الجامعة العربية حول أي الجانبين اليمنيين تتبع هذه الجزر ، أو تتبع أكثر رغم محاولة البعض التخفيف من وقع ذلك مؤخرًا ، كما اتضح من التصريح الذي أدلى به محمد أحمد نعمان نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية آنذاك في صنعاء الذي قال فيه : «ان القوات المسلحة لليمن الشمالية واليمن الجنوبية تسطيران تعاما على مضيق باب المندب الذي هو جزء لا يتجزأ من الاراضي العربية يتعين أن يخدم أهداف الاستراتيجية العربية » (الجمهورية ٧-١١-١٩٧٣) ومع ذلك فان وحدة الموقف الشعبي وروح الوحدة اليمنية والعربية قد أملت نفسها في كل الاحوال بقطع النظر عن ضرورة التعبير عنها على هذا المستوى أو ذاك وعن مدى قوتها أو ضعفها .

وما يزال الرأي العام الشعبي ينتظر ، وقد أمكن الوصول - فيما بعد - ، الى موقف يمني منسق ازاء حصار باب المندب ، أن يحل التعاون اليمني - المصري المنشود وغير المحدود محل (الحساسية الإقليمية التي حاول البعض افتعالها - إبان الحصار - بدعوى أن عملية الحصار تمت دون تشاور سابق مع هذا الجانب اليمني أو ذاك ذلك أن المسألة من أي زاوية نظر إليها منها ، فإنها ستبدو وعلى الفور مشروعة ومبررة وضرورية وواجبة وذات فوائد قصوى لاحد لها لا بالنسبة لمصر فحسب ، وانما بالنسبة للقضية العربية كلها ، بما في ذلك القضية اليمنية .

### الارض العربية كلها ميدان حرب :

فمن ضرورة ابقاء خطط التحركات العسكرية على الكتمان حتى بالنسبة للشقيق والصديق والقريب الى الى افتراض التسليم بمبدئية ( قومية المعركة ) الى وحدة المصالح العليا العربية ، ووحدة العدو الصهيوني ، الى حقيقة مانصت عليه (معاهدة الدفاع المشترك) - أحد أسس وجود الجامعة العربية - والتي «تعتبر الدول المتعاقدة بمقتضاها - كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة أو أكثر منها اعتداء عليها جميعا، وبالتالي تصبح في حالة حرب بمجرد نشوب حرب بين أي منها وبين أي دولة أجنبية - وهو ما يحدث بالفعل من نشوب الحرب العربية - الاسرائيلية - الى إطار التفاهم الاخوى القائم بين

مصر من جهة وبين كل من شطري اليمن ، الى ايماءات عربية مفهومة - سواء بشكل مباشر أو أثناء اجتماعات الجامعة العربية - عن أهمية تحصين جنوب البحر الاحمر في مواجهة أى عملية هجوم اسرائيلية محتملة ، الى ماأعلنه مندوب جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في اجتماعات اللجنة السياسية للجامعة العربية في سبتمبر عام ١٩٧٢ قائلا فيه : «ولاأعتقد ان هناك داعيا للاشارة الى خطر الوجودالعسكرى الاسرائيلى على الدول العربية ، وخاصة فى اليمن شمالا وجنوبا ، والى ماقاله أيضا فى نفس الاجتماع مندوب الجمهورية العربية اليمنية من «أن البحر الاحمر فى الواقع يكاد يكون بحيرة عربية ، ولاأعتقد أن هذا يغرب عن بال العدو الصهيونى ، ولايغرب عن باله كذلك أهمية البحر الاحمر بالنسبة لمواصلاته ، وان العدو الصهيونى سيعمل على تقوية أسطول البحرى فى هذا البحر وسيزيد من قوته ودعمه ، ولذا فعلى الدول العربية المطة على البحر الاحمر أن تتنبه الى هذا ، فتعمل ومن جانبها على تقوية أساطيلها ودفاعاتها بحيث تفقد العدوابة ميزة قد يخلقها لنفسه فى هذه المنطقة» (دراسة تحليلية عن الاهمية الاستراتيجية للبحر الاحمر .. جامعة الدول العربية ، ص ١١) من كل ذلك والى غيره يتضح بجلاء ليس بعده جلاء أن مصر كانت تملك كل الحق - الى جانب الضرورة القصوى - فى القيام بتنفيذ عملية حصار باب المندب العسكرية الناجحة التى كان يفرضها - اضافة الى كل ماتقدم - المنطق الشورى والقومى ، ووحدة الثورة اليمنية والعربية ، ووحدة المصير العربى ، حتى بدون تشاور أو تنسيق ثنائى أو جماعى سابق من أى نوع وفى أى حدود، وهو مالم تقف مصر عند حدوده أو تكتف به مع ذلك ، عندما وجهت هذه الضربة السديدة والمشروعة بكل مقياس وفهم .

### مغزى تصريحات زعماء اليمن الديمقراطية :

ان هذه (الحساسية الاقليمية) المفتعلة التى أظهرها البعض لا قيمة لها أمام ماأعلنه الامين العام للجبهة القومية ورئيس مجلس الشعب الأعلى عبد الفتاح اسماعيل ، مما يفهم منه انه اعتبر بلاده بنشوب حرب اكتوبر فى حالة حرب مع العدو الاسرائيلى . ألم يقل ذلك فى برقيته لرئيس مجلس الشعب المصرى آنذاك حافظ بدوى: « أن شعب جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وهو يعيش معكم الحرب الدائرة اليوم ضد العدو الاسرائيلى ليضع نفسه وكل امكانياته المتواضعة فى المعركة المصيرية التى تقودونها اليوم بكل بطولة واصرار

انى باسم مجلس الشعب الأعلى فى جمهورية اليمن الديمقراطية  
أؤكد لمجلسكم المنعقد حالياً وقوف شعب اليمن الديمقراطية  
الكامل الى جانب شعبكم البطل فى حربه التحررية المقدسة ، أو  
ليس ذلك هو أيضاً تضمنته برقية رئيس مجلس الرئاسة فى عدن  
سالم ربيع على الموجهة الى الرئيس السادات والتي جاء فيها : « وأنتم  
تخوضون معركة المصير العربى جيشاً وشعباً ضد العدوان الاسرائيلى  
الفاشم نتابع باهتمام نضالكم الباسل ، ان جيش وشعب جمهورية  
اليمن الديمقراطية الشعبية يرى أن المعركة معركته ، يضع كل  
امكانياته تحت تصرف النضال العربى ، سيروا فى درب النضال والله  
ناصركم » ؟ ومن هنا كان جواب الرئيس العربى الذى أكد فيه شكر  
مصر على « تضامن شعب جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية  
وجيشها مع الجيش المصرى فى نضاله البطولى من أجل اعلاء ارادة  
أمتنا العربية وتحقيق النصر » (أخبار جمهورية اليمن الديمقراطية  
الشعبية ، السفارة ، القاهرة ، ٥ - ١١ - ١٩٧٣) وعلاوة على ذلك كله  
أما أكد عبد الفتاح اسماعيل فى خطابه بمناسبة ذكرى ١٤ أكتوبر  
« ان تحركات اسرائيل لاحتلال الجزر اليمنية تؤكد طبيعتها العدوانية  
والتوسعية كأداة للامبريالية والصهيونية العالمية فى الوطن العربى ،  
وتؤكد أيضاً ان عدوانها الفاشم على الاراضى المصرية والسورية  
لا ينفصل عن اطماعها لاحتلال جزرنا اليمنية فى جنوب البحر الاحمر » ؟  
وأما جزم بأن « اليمن الديمقراطية لاتعيش بمعزل عن المعركة المصرية  
الدائرة اليوم ضد العدو الاسرائيلى ، فالمعركة معركة كل الشعوب  
العربية ، وان أى مخاطر تواجه شعبنا العربى فى مصر وسوريا من  
جاء العدوان الاسرائيلى سوف تجر نتائجها على الوطن اليمنى كله  
فلقد اكدت التحركات الاسرائيلية فى جنوب الاحمر أن اسرائيل فى  
مخططها ترمى المساس بسيادة الشعب اليمنى واستقلال الوطن » ؟  
وأما ختم القول بأنه نهوضاً بواجبنا « وانسججاً مع الارتباط  
المصري بأشقائنا العرب فأننا بكل امكانياتنا المتواضعة نقف الى  
جانبيهم فى معركة الشرف العربية ، ونحن تحت أية اشارة توجه الينا  
من قبل القادة الاشقاء فى كل من مصر وسوريا ، لنسهم معهم بجزء من  
دورنا فى معركة الصراع مع العدو الاسرائيلى » ؟ ثم اما قال رئيس  
وزراء الحكم الوطنى فى عدن على ناصر محمد بأن « جمهورية اليمن  
الديمقراطية الشعبية اذ تعرب عن تضامنها الكامل مع الجماهير  
العربية فى مصر وسوريا والمقاومة الفلسطينية قائماً انطلافاً من  
واجبها القومى قد اكدت عن وضع امكانياتها المتواضعة فى معركة

المصير العربى ضد العدو الصهيونى . ، ؟ ( جريدة ١٤ أكتوبر  
المدنية ١٩٧٣/١٠/٥ ) ثم هل نحن اخيرا فى حاجة الى التفكير بما  
جاء فى خطاب الرئيس النظام الثورى فى عدن سالم ربيع على « واماما  
يدور فى هذه الايام من معارك فى اجزاء من الوطن العربى فنحن ايضا  
بمشاعرنا واحاسيسنا مع اخواننا العرب ، ونحن مستعدون للدعم  
والمساعدة حسب الامكانيات التى لدينا فى اليمن الديمقراطية ،  
ونحن فى اكثر من مرة عرضنا بأن اليمن الديمقراطية عندها من  
المقاتلين ، ويمكنها من أن تسهم فى معركة التحرير مع البلدان  
العربية ، وتشعر بأن هذه المعركة هى معركة مصيرية ، وانها  
ليست معركة البلدان التى احتلت اراضيها ، بقدر ما هى معركة والامة  
العربية كلها ، ونحن جزء من الامة العربية ، ونحن ايضا واضعين  
انفسنا على استعداد لاي طلب مع دول المواجهة ، وعلى استعداد  
لتقديم المقاتلين الذين سيقدمون دماءهم فداء لمعركة التحرير . ،  
( مجلة الثورى ١٩٧٣/١٠/٢٠ ) .

وليس لنا أن نقول اكثر من ذلك فى مقام معالجة تلك  
( الحساسية الاقليمية ) التى حاول البعض اصطناعها فى الشطر  
الآخر من البلاد ، رغم وضوح الموقف الجماهيرى المتعاطف والمؤيد  
لتلك الضربة الاستراتيجية المحكمة التى قطع بها الطريق على أحلام  
التوسع الصهيونية فى اتجاه جنوب البحر الأحمر ، وفى اتجاه  
الجزر والشواطىء اليمنية . ان تصريحات زعماء اليمن الديمقراطية  
هذه ومواقفهم العملية أثناء الحصار والتى أشار لها الرئيس السادات  
بنفسه غير مرة هى ردنا الوحيد ايضا على اكاذيب الدكتور البيضانى  
الذى أرودها . فى ٢٤٢ - ٢٤٣ من كتابة ( البديل للصراع  
الدموى فى اليمن ) من أن عدن « ارسلت وزير خارجيتها الى  
القاهرة ليحتج على الحكومة المصرية لأقدامها على اغلاق باب المندب  
فى وجه الملاحة الاسرائيلية . والحقيقة ان حكومة عدن تخشى من أى  
نصر عربى يفسح المجال لنظرة عربية على مأساة شعب الجنوب . »

**التعاون اليمنى المصرى فى الحصار :** وحتى يظهر مدى التعاون  
من الجانب اليمنى ازاء عملية حصار باب المندب ويغدو معروفا  
للجميع فانه ربما كان علينا أن نكتفى بما كتبه الصحافة عن أن « اليمن  
الجنوبية قد اتخذت اجراءات معينة ، فى منطقة المضيق فور اشتعال  
الحرب ، دون ان تعلن عن ذلك رسميا تجنباً لاية ردود فعل من  
الاطراف الضالمة مع العدو ، ( الاسبوع العربى ، بيروت



١٩٧٣/١١/٥) - ومن هنا اشعارها - كما قيل - للاستطول المصري بعدم الحاجة للاقتراب من جزيرة بریم - وان نكتفى بتصريح وزير خارجية اليمن الشعبية محمد صالح مطيع الذي ادلى به في بيروت في ١٩٧٣/١١/١٤ عن مشاركة اليمن الديمقراطية في عملية الحصار من خلال قواتها المتواجدة في جزيرة بریم ، وبتصريحات ممثل عدن في القاهرة آنذاك عبد الملك اسماعيل التي اكد فيها « بأننا نعتبر أنفسنا أطرافا في الصراع العربي الإسرائيلي ، وأن « الوضع القائم الآن في باب المندب وفي مياهنا الإقليمية يؤكد ذلك » وأن « أى شيء بخصوص باب المندب لن يكون الا في صالح القضية العربية ، وبالاتفاق مع الجهات العربية التي يعينها الامر » ( اخبار اليوم ١٩٧٣/١١/١٠ ) وانه « سبق أن اكدنا للمستولين في القاهرة ودمشق على اننا بالرغم من قلة امكانياتنا ، الا أن جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية تضع وستضع كل اراضيها وموقعها الاستراتيجي تحت خدمة القضية العربية ، بما يتناسب مع مبادئ الثورة العربية ونظام الحكم في اليمن الجنوبية » ( الجمهورية ١٩٧٣/١١/٤ ) .

كذلك فانه ربما كان علينا أن نكتفى أيضا ببعض التصريحات التي جاءت من الشطر الاخر من البلاد حتى تتضح حقيقة ومدى تعاونه ازاء عملية حصار باب المندب . أن القسم الشمالي من اليمن الذي شهد اغلى لتضحيات المصرية من أجل بقاء جمهوريته وثورته ما كان له - أية كانت الاوضاع - أن يظل بعيدا تماما عن المعركة ، وأن لا يضع مشاعر و ارادة الجماهير اليمنية في حسبانها وان لا يتصرف ضمن هذا الحد أو ذاك - والاعرض نفسه لغضب الجماهير - وفق مستلزمات الموقف العربي الذي لايقبل اية معاذير للتنصل عن واجب التضامن العربي حتى في حدوده الدنيا . وفق هذا الفهم يمكن النظر الى مذكرة الرئيس الأرياني الى الحكومة المصرية التي قال فيها أن جمهورية اليمن العربية «تعتبر باب المندب جزءا من المعركة ، وانها تضع كل سيطرتها على الموقع تحت تصرف القيادة المصرية » ووفق ذلك ايضا يمكن فهم اعلان حكومة صنعاء استعدادها لان تبحث « مع المسئولين المصريين مسألة الاجراءات الخاصة بباب المندب » واثناء زيارته للقاهرة في مطلع مارس ١٩٧٦ ذكر رئيس مجلس القيادة في صنعاء المقدم ابراهيم الحمدي بدور صنعاء في حصار باب المندب بقوله « أن دور اليمن في حرب اكتوبر معروف ويكفي أننا ساهمنا

فى فرض حصار على مرور السفن الاسرائيلية عبر باب المندب ، كما قمنا بكل ما نستطيع فى حدود قدراتنا المتواضعة ، ( الجمهورية ١٩٧٦/٣/٣ ) .

على أنه يحق لنا - رغم كل قصور أو تقصير مفترض فى الموقف اليمنى - أن نقول بأنه اذا كان الشعب اليمنى لا يملك البترول الذى يسهم به فى الضغط على الغرب ، ولا القدرات لتجنيد جماهيره فى كئائب تحرير وطنى مقاتلة الى جانب اشقائه العرب - نتيجة فقدانهم وحدته الوطنية والسياسية والادارية القادرة على تمكينه من الاسهام الفعال بكل طاقاته النضالية المدخرة - فإن مجرد اغلاق باب المندب - هذا الموقع الاستراتيجى والتجارى الذى كان الممر الوحيد للسفن التى تنقل البترول الى اسرائيل والذى يربطها تجاريا واقتصاديا بقارات ثلاث - وان تمكن الاسطول المصرى من تنفيذ هذه العملية بنجاح وسط تعاطف وتأييد حارين من الجماهير اليمنية العريضة ، ان حدوث ذلك فى حد ذاته ، يعبر - فى واقع الامر عن دور الشعب اليمنى فى هذه المرحلة على الاقل - فى معركة التحرير ، وقسطه المتاح له خلالها فى النضال ضد الصهيونية والامبريالية المعتديتين .

### عزل اسرائيل عن القارات الثلاث ولجؤها الى رأس الرجاء الصالح :

ومن جديد نعيد القول بأن هذه الانقضاضة العسكرية الجريئة والناجحة التى اقفل بها باب المندب كانت تصحيحا لـ سوريا وحازما لمحاولة ١٩٦٧ غير الناجحة فى اغلاق خليج العقبة . فبأقفال باب المندب فى اكتوبر ١٩٧٣ اقفل ايضا خليج العقبة ، وبطلت أهمية تواجد شرم الشيخ فى يد الاسرائيليين ، وفقد ميناء ايلات قيمته ، وعزلت اسرائيل عن افريقيا وآسيا واستراليا ، وحصرت سيناء من هذا الاتجاه ايضا ، وسدت احدى رئات اسرائيل التى كانت تتنفس بها هواء الشرق ، وقطع شريان اتصالها التجارى بالعالم القديم وحرمت من كل قطرة بترول فى الشرق الاوسط ، وحكم عليها بالعزلة والاختناق ، واضطرت سفنها الى الدوران حول رأس الرجاء الصالح - كما كان يحدث ذلك لسفن الدول الاوروبية قبل حفر قناة السويس - وهكذا صرح « موسى كاشتى مدير شركة « زيم » الاسرائيلية للملاحة بأن حكومته اضطرت لتحويل السفن المتجهة

الى « ايلات » حول رأس الرجاء الصالح الى موانى اسرائيل على البحر الابيض المتوسط ، وقال كاشتي « أن الحصار المصري على مضيق باب المندب ادى الى تكديس البضائع فى ميناء حيفا . » ( الاهرام فى ١٢/١١/١٩٧٣ ) كما صرح الجنرال بيليد قائد الامداد الاسرائيلى لسابق فى حرب ١٩٦٧ بأن « أغلاق البحرية المصرية لباب المندب يؤكد ان وجود اسرائيل فى شرم الشيخ ليس هو الضمان لحرية الملاحة من وإلى ايلات » ( الجمهورية ٥/١١/١٩٧٣ ) كما وصف ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل « حصار القوات البحرية المصرية

المصرية لبوغاز باب المندب بأنه خطير جدا اذا لم يتم حل ازمة الشرق الاوسط فورا حلا سياسيا . » ( ١٩٧٣/١١/٦ ) اما جولد مائير رئيسة الوزراء فأنها عدته هدفا استراتيجيا بعد اتمام تبادل اسرى الحرب ينبغى التركيز عليه من أجل وضع النهاية « السريفة لحصار باب المندب » ( الاهرام ١٣/١١/١٩٧٣ ) .

### عجز اسرائيل عن تنفيذ تهديداتها السابقة :

وتتجلى أكثر فأكثر القيمة العملية لهذا الاجراء اذا ما تذكرنا التصريحات المتبجحة التى كان قد أدلى بها زعماء اسرائيل عام ١٩٧١ اثر حادث ضرب ناقلة النفط ( كورال سي ) اثناء عبورها مضيق باب المندب ، والتى كانت ترفع علم ليبيريا ، وتحمل شحنة نفط من الخليج العربى الى اسرائيل ، وهو الحادث الذى اتهمت به الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، حيث اعلنت جولدا مائير حينها ان ذلك « عمل خطير جدا » و « ان اسرائيل ستتخذ الاجراءات الضرورية لحرية الملاحة الى موانئها » وحيث صرح موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى انه ستنفذ كافة « الاجراءات لضمان وصول الناقلات التى تحمل البترول الى اسرائيل خلال البحر الاحمر دون اعاقه » وحيث هددت صحيفة ( معاريف ) الاسرائيلية بأن اليمن الجنوبية لن تستطيع « التهرب من مسئوليتها ، وباستطاعة الجيش الاسرائيلى الوصول الى مكان الشغب ، وسيصل اليه ، اذا ما تعرضت ملاحتنا الحرة للخطر » كما اكد وقتها مسئول اسرائيل بأن اسرائيل « لن تتسامح تجاه هذا العمل ، وان طائرات الفانتوم التى تملكها اسرائيل يمكنها ان تطير الى جزيرة يريم ، وتعود الى اسرائيل مع تزويدها بالوقود فى منتصف المسافة . » ( اليمن ، الشورى فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال ، د/محمد على الشهاوى ، بيروت

ولكن بما أن جيپوتى الواقعة تحت السيطرة الفرنسية والمطلّة على باب المندب من جهة الغرب كانت غير قابلة لأن تستسلم فى صالح الاهداف الاسرائيلية ، نظرا للعلاقات العربية - الفرنسية المتحسنة وبما أن الصومال لذى يطل ايضا على البحر الاحمر من الجهة الافريقية القريبة من باب المندب يقف موقفا صلبا ومتعاوننا مع اشقائه العرب ، وبما أن اثيوبيا قد بادرت الى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، تجاوبا مع قرارات منظمة الوحدة الافريقية ، مما جعل الجزر الاثيوبية التى كانت تركز عليها اسرائيل وتريد اتخاذها نقاط انطلاق نحو احتلال الجزر اليمنية وتهديد باب المندب غير ممكن الوصول اليها أو استخدامها بعد التطورات الاخيرة التى غدت بها اسرائيل فى عزلة تامة عن القارة الافريقية التى قطعت معظم دولها علاقاتها السياسية معها - اقول لذلك كله توفرات كل العوامل الضرورية لأن يصبح باب المندب واقعا تحت حصار محكم وخائق .

**فتح جبهة جديدة فى جنوب بلاد المغرب :** من ذلك كله يتضح ان ماحدث فى جنوب الجزيرة العربية هو جبهة جديدة فتحتها الثورة العربية على الصهيونية والاستعمار ، اضافة الى الجبهة الشمالية والغربية ، وأن الحصار العربى الذى ضرب على باب المندب فى جنوب البحر الاحمر غدا شبيها - من بعض الوجوه - بتلك الضربة المحكمة التى وضعت بها قناة السويس عام ١٩٥٦ تحت الهيمنة العربية ، وهكذا انضم باب المندب الى جانب قناة السويس وخليج العقبة فى مطالبة اسرائيل بحرية الملاحة فيها بالنسبة لسفنها ، واصبح جزأ لا يتجزأ من مشكلة الشرق الاوسط ، كما اصبح احدى ساحات الحركة القومية الشاملة ، واحد ميادين العمليات الحربية التى لايمكن الاقتراب منها بالنسبة للطرف الداخلى فى حالة حرب مع العرب ، واحد الممرات العربية التى يمكن التحكم فيها فى أى وقت .

### صراع مريز حول مسألة الحصار :

ومن هنا فأن موقف مصر فيما يتعلق بموضوع حصار باب المندب الذى كان احد المواضيع الهامة التى تناولها حديث الرئيس انور السادات وهنرى كيسنجر وزير خارجية أمريكا خلال زيارته للقاهرة بين ٧/٨/١١/١٩٧٣



كان موقفا حاسما ومحددا ، كما وضحه مصدر مصرى مطلع اكد ان « ماتناقلة وسائل الاعلام الاسرائيلية والاجنبية بالنسبة للجهود التي بذلها الدكتور هنرى كيسنجر بأنه غير صحيح أن مصر عندما وافقت على المشروع الأمريكى تعهدت برفع الحصار على باب المندب ، و « أن مارددته نفس وسائل الاعلام بالنسبة لعناصر المشروع الأمريكى لاتتفق مع ماتضمنه المشروع الأمريكى الذى ابدت مصر استعداداها للموافقة عليه ، بشرط ان تقبله اسرائيل وتتعهد بتنفيذه دون تغيير أو العودة الى اسلوب المراوغة والتحريف ، ( الاهرام والجمهورية ١٩٧٣/١١/٩ ) وكان رأى القاهرة خلال المباحثات الثنائية المصرية - الأمريكية ان « تنفيذ الانسحاب الكامل هو الاساس لحل المشكلة على أن تتم كل الخطوات التى نصت عليها القرارات الاخيرة ( لمجلس الامن ) فى وقت واحد ، بحيث تكون العملية متصلة الاطراف والحلقات ، وكانت وجهة نظر كيسنجر قد تعلقت بحل « المشكلة ككل مع التحرك فى حل التفاصيل فى نفس الوقت » ( المصدر السابق ) ومع ذلك فقد اتخذ الجانب العربى موقفا متشددا ازاء مسألة باب المندب ، ومن هنا فإن الاتفاق ذا ( النقاط الست ) الذى اسفر عن رحلة كيسنجر الى القاهرة والذى قبلت به مصر واسرائيل ، ووقعتا عليه تحت اشراف الامم المتحدة فى ١٩٧٣/١١/١١ ، وتضمن من جملة ماتضمن عودة القوات الى خطوط وقف اطلاق النار فى ٢٢/اكتوبر ١٩٧٣ وتبادل الاسرى ، لم يشر على الاطلاق الى موضوع باب المندب ، الذى يشكل « قبضة خانقة » على ميناء ايلات الاسرائيلى ، متنفس اسرائيل على الشرق الاوسط والأقصى ، ومن ذلك مثلا ما نشرته ( لوموند ) الفرنسية من أن « القلق الذى يسيطر على اسرائيل بشأن الاتفاق على ترتيبات وقف اطلاق النار يرجع الى ان هذه الترتيبات لاتشمل أى نص يشير من قريب أو بعيد الى الحصار المصرى المفروض على باب المندب ، ( الاخبار ١٩٧٣/١١/١٢ ) وكانت « حكومة مائير قد طلبت من الولايات المتحدة أن ينص الاتفاق على انتهاء الحصار المصرى لباب المندب ، غير أن مصر لم توافق على ذلك » ولذلك فإن النقاط الست

— كما ذكرت وكالة الاسوشيتدبرس — « لا تتضمن اى تنازل من جانب مصر فيما يتعلق برفع الحصار البحرى الذى تفرضه على مضيق باب المندب » ولهذا السبب كانت اسرائيل ترغب « فى آخر لحظة » قبل اعلان الاتفاق تغيير موقفها من « موضوع الاتفاق » ، لانه لم يتضمن

النص على انتهاء الحصار البحري الذي فرضه الاسطول المصري على باب المندب » ( اخبار اليوم والجمهورية ١٠/١١/١٩٧٣ ) حيث « اذيع من تل ابيب ان الحكومة الاسرائيلية قد دعت الى اجتماع عاجل لبحث ما اسمى « خلافات مع الحكومة الامريكية » حول بعض بنود الاتفاق ، وذكرت المصادر الرسمية ان هذه الخلافات تتركز على أن الاتفاق لم يتضمن أى نص بخصوص الحصار على باب المندب » ( الجمهورية ١١/١١/١٩٧٣ ) وقد صرح « المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية بأنه لايعرف بوجود خلافات بين اسرائيل وامريكا ، وان مسألة الحصار على باب المندب لم تكن تعتبر رسميا ، ولذلك لم تتطلب نصا محددا عنها في الاتفاق » . و اضاف المتحدث أن اسرائيل اقرت الاتفاق وهو يخلو من ذكر لموضوع الحصار . وفي القاهرة اشارت الدوائر المسئولة الى العقبات التي تحاول اسرائيل اثارها في وجه هذا الاتفاق فقالت أن موضوع باب المندب لم يذكر اطلاقا منذ البداية ، وأن اطراف النزاع قد وافقت على النقط الست وأن أى محاولة لاضافة فقرات جديدة ليست الانضييعة للوقت أو محاولة لعرقلة الاتفاق . » ( الاهرام ١٠/١١/١٩٧٣ ) وفي معرض الرد على اسئلة الصحفيين الاجانب رد المتحدث الرسمي المصري على سئوال وجهه احد الصحفيين « حول القلق الذي يسود اسرائيل بخصوص الحصار على مضيق باب المندب ، فقال المتحدث أرجو الرجوع الى نصوص وثيقة الأمم المتحدة التي تضمنت الاتفاق على ترتيبات وقف اطلاق النار . » ( الاخبار ١٢/١١/١٩٧٣ ) وكان سبب تلكؤ اسرائيل في القبول بالاتفاق بصيغته التي لم تتضمن رفع الحصار عن باب المندب ناجم من خشيتها « انه لن يكون لها القدرة على المساومة لحمل مصر فيما بعد على رفع حصارها على باب المندب » وذكرت رويترز ان مصر « قد تتخلى عنه في هدوء اذا ما تم تنفيذ الاتفاق بصورة فعلية . » ( الاخبار ١١/١١/١٩٧٣ ) و اوضحت مصادر الحكومة الاسرائيلية ان مجلس الوزراء الاسرائيلي بعد اجتماعه « ابدى عددا من التحفظات التي تسبب له تلقا بالغا ، أولها : أن الاتفاق لم يشر من قريب أو بعيد لموضوع الحصار البحري الذي يفرضه الاسطول المصري عند مضيق باب المندب ، وهو الحصار الذي اصاب الملاحة الاسرائيلية من وإلى ايلات بالشلل الكامل ، غير أن هذه المصادر عادت بعد الاجتماع الذي عقدته مائير مع السفير الامريكي ، وبعد ان فقدت الامل في احتمال انتهاء حصار باب المندب

قبل التقدم في طريق التسوية فأعلنت « أن القضية الملحة لإسرائيل ليست قضية باب المندب بقدر ما هي قضية الانسحاب الى خطوط ٢٢ أكتوبر » ( الجمهورية ١١/١١/١٩٧٣ ) ومع ذلك ظلت مجموعة ( ليكود ) الاسرائيلية المعارضة عند رأيها بالتصويت ضد قبول الاتفاق الخاص بترتيب وقف اطلاق النار، لانه خلا من جملة ما خلا منه من التزام مصرى بانهاء « حصار مضيق باب المندب » ( الاهرام ١٢/١١/١٩٧٣ ) كما سارت في نفس الوقت مظاهرة في تل ابيب ، حاملة عريضة وقع عليها ثلاثة آلاف شخص تنتقد ايضا قبول الحكومة الاسرائيلية الاتفاق ، لانه لم يتضمن من جملة ما كان ينبغي ان يتضمنه « رفع مصر حصارها لباب المندب » ( الاخبار ١٢/١١/١٩٧٣ ) واثناء مؤتمرها الصحفي في لندن طالبت مائير مصر « برفع الحصار عن باب المندب ، تعبيرا عن حسن النية !! » ( الجمهورية ١٣/١١/١٩٧٣ ) .

وعلى ذلك يمكن القول انه اذا كانت قد لاحت فرصة ما للتقدم نحو حل عام للمشكلة فان ذلك « بات ممكنا بفضل انجازات القوات المسلحة العربية في ساحات القتال ، وبفضل تظافر الجهود العربية على نحو لم يسبق له مثيل ، وبفضل ما يحظى به الحق العربي من تأييد عالمي ، وفي مقدمته موقف الاتحاد السوفيتي العازم في نصرة القضية العربية ، وتعليقه أي تقدم جديد في تعزيز الانفراج الدولي على علاج جذور النزاع في الشرق الاوسط » . ( الاهرام ٩/١١/١٩٧٣ ) .

وفي هذا الاطار لعب ايضا حصار باب المندب دورا بارزا يفوق مجرد كونه عنصر ضغط على الملاحاة الاسرائيلية ، لقد لعب دورا عسكريا واقتصاديا وسياسيا في وقت واحد ، لقد اسهم بقسط وافر في تحريك القضية برمتها ، حتى ارتبط رفع الحصار عنه بتنفيذ الشروط الممهدة لمعالجة المضلة من اساسها ، وبالتقدم المضطرد نحو التسوية الشاملة ، وبالتحرك الفعلي نحو عقد مؤتمر السلام ، وبتحقيق نتائج عملية ومؤكدة في اتجاه الحل الجسدي للمشكلة، فضلا عن ارتباطه بانسحاب القوات الاسرائيلية — من غرب القناة ، وهكذا سارت الامور في خطين ، خط الحلول الجزئية التمهيدية ، وخط المطالبة بالحلول العامة والكلية ، بحيث يترتب على أي اخلال أو تهريب اسرايل من السير نحو حل حقيقي كامل للمشكلة

الشرق الأوسط - بما فيها القضية الفلسطينية تشديد عملية الحصار على باب المندب وجعلها أكثر شمولية واحكاما ، بحيث انه اذا كانت مصر قد اظهرت من جانب واحد - كما تقول بعض المصادر الغربية - وبصفة خاصة ومستقلة ، ودون التزام محدد ومكتوب استعدادا لرفع الحصار ، اذا ما مضت الامور من وجهة نظرها في طريق الحل الشامل للمشكلة ، فانها تكون قد اجادت اللعب بورقة باب المندب الى اقصى حد .

وهكذا فانه اذا كانت القوات العربية قد رفعت الحصار في الوقت الذي رآته ملائما في ضوء اتفاقات فك الاشتباك الثنائية، وعلى أساس المضي نحو التسوية الكاملة، فان هذه القوات التي تولت هذه المهمة من قبل ، تظل قادرة بتعاونها المستمر مع اليمن - من نفس مواقعها المتحركة بالقرب من باب المندب ، وعلى اهبة الاستعداد لجعل عملية الحصار شاملة وكاملة وفق ما يستتبعه الموقف ، فكأنها لم تصنع برفعها الحصار الجزئي والمؤقت والمشروط لباب المندب أكثر من فك قبضة اليد الواحدة جزئيا في ذات اللحظة التي تكون فيها قادرة على اطلاقها كليا من جديد ، وكأنها لم تصنع أكثر من ترك الباب مواربا على أمل دفع عجلة الحل الشامل للمشكلة ، فاذا ما بدا تعسرها أو تعثرها عادت فأغلقت الباب ، بل صفقته بالكامل في وجه العدو بنفس اليد التي قبضت على ناصيته ، وتتحكم في رتاجه . أو ليس ذلك هو ما يفهم من تصريح السفير المصري في أمريكا أشرف غريال من أن على تل أبيب أن تختار بين السلام وبين أن تحكم مصر قبضتها على باب المندب ولاسيما أن حصار باب المندب قد اثبت أن احتلال شرم الشيخ لا يمكن أن يكفل لها حرية الملاحة ، ( أخبار اليوم الجمهورية ١٧/١١/١٩٧٣ ) .

وبعد : فانه ليس هناك ما يدعو الى الشك في ان انتفاضة التحرير التي احتدمت مرة أخرى في اكتوبر سنة ١٩٧٣ لن تتوقف قبل وضع نهاية لمعضلة التوسع الاسرائيلي التي بدأت منذ خمسة وعشرين عاما . فلقد غلت اسرائيل ولأول مرة بين فكي الكماشة العربية ، حيث تطبق عليها الأمة العربية من كل اتجاه وبكسل الاسلحة والوسائل وتطبق عليها جيوشها من كل مكان ، ومن كل الجبهات ، رغم ما يبدو عليه الموقف العربي - حاليا - من حالة ارتباك وتفكك طارئ وزائل .



## من المطوق ومن المطوق :

وحتى تلك الثغرة التي خيل لاسرائيل انها فتحتها في الضفة الغربية لقناة السويس لتغطية هزيمتها على الضفة الشرقية للقناة تحولت في الواقع الى ما يشبه مأزق (المأسادا) الشهيرة في تاريخ اسرائيل القديمة ، حيث وقعت قواتها هذه المرة ايضا ضمن حلقة حصار سميكة ، ذلك ان القوات المصرية في الضفة الشرقية والغربية المحيطة بها كانت تتوزع وتتركز - حسب تصريح المتحدث العسكري المصري - « في القطاعين الشمالى والاوسط داخل سيناء صامدة قى مواقعها ، كما أنه تم ربط الضفة الشرقية للقناة بالضفة الغربية ربطا تاما ، تؤمنه مختلف وسائل الدعم العسكرى ، كما كانت « تتمركز قوات الجيش الثالث في القطاع الجنوبي ابتداء من البحيرات المرة شمالا حتى عيون موسى بخليج السويس جنوبا ، وفي العمق حتى امام ممر متلا والجدي ، وتتمسك القوات بمواقعها في صلابة وصمود ، كما أن وسائل الربط بينها وبين الجزء الثانى والاكبر من الجيش الثالث في الضفة الغربية قائم ، وتتم عملية امداد الجيش الثالث بصورة منتظمة على الرغم من دعايات الاسرائيليين » ( وان كانوا عادوا واعترفوا انه يتم تموينه وتسليحه عبر ممرات غير مطروقة ) وكانت « تطوق قواتنا - كما يواصل المتحدث العسكري المصري - غرب القناة جميع قوات العدو المتناثرة فى المنطقة ما بين الدفرسوار والسويس . » ( الاهرام ب/ ١١/ ١٩٧٣ ) وعن هذه الحقيقة تحدث وزير الحربية المصرى انذاك الفريق اول أحمد اسماعيل قائلا : « وبالرغم من ان العدو كان قد تمكن فى غرب القناة من الوصول الى مناطق تؤثر على طرق الامداد والاخلاء الى مدينة السويس والى ذلك الجزء من قوات الجيش الثالث الموجودة شرقى القناة ، الا أن العدو نفسه يعلم الموقف تماما ، ويعلم اننا نحيط به من كل جانب ، وان مركزه يعتبر من الناحية الاستراتيجية موقفا ضعيفا ، وان رجسالة قواتنا المسلحة الأبطال الذين اقتحموا القناة ، وحطموا خط بارليف ، وقضوا على اسطورة الجيش الذى لا يقهر ، لقادرون على تصفية هذا الوضع بنفس العزم والتصميم مهما بلغت التضحيات ، » ( الاهرام ١٢/ ١١/ ١٩٧٣ )

## حصار عسكري واقتصادى وسياسى شامل :

ولاول مرة ايضا تجد اسرائيل نفسها - من الناحية السياسية

مدانة ومحاصرة من قبل الرأي العام العالمى كله ، وفقدت حتى تعاطف انصارها التقليديين فى أوروبا الذين طالبوا لعوامل متعددة - من جعلتها عودة الصراع بين الاستعمار القديم والجديد على منطقة الشرق الاوسط ، حيث المصالح الامبريالية الحقيقية - طالبوها بضرورة انسحابها من الاراضى العربية المحتلة ، وخرجت اسرائيل سياسيا من افريقيا التى اكتسحتها موجة رفض واستنكار للعدوانية الاسرائيلية ، فوق أن المعسكر الاشتراكى بزعامة الاتحاد السوفيتى ، ودول عدم الانحياز ، شكلت كلها امتداد حيا وقويا للجهة العربية المناهضة لاسرائيل والاطواط الامبريالية المعزولة المؤيدة لها .

لقد وضعت الحركة الصهيونية من اساسها - وذلك حسب تاريخى بالنسبة لها - فى وضع لا تحسد عليه ، وبدأ عهد أفول نجمها ، كما بدأ عهد أفول نجم الاستعمار الجديد ، - رغم الهجمة المعاكسة التى شنها بعد انتصار اكتوبر - بعد غروب شمس الاستعمار القديم ، ونقد أصبحت اسرائيل - قاعدة الصهيونية والامبريالية الامريكية - داخل طوق عالمى محكم الحلقات .

ان ذلك يعنى بوضوح - مرة أخرى انه بحرب اكتوبر ليس الجيش الثالث المصرى هو الذى وقع تحت الحصار ، وانما بالاحرى الوجود الاسرائيلى العدوانى من اساسه ، وليس باب المندب وحده الذى وضع تحت الحصار العربى ، وانما الدولة الصهيونية ايضا لقد فرضت ، حالة من الحصار الحقيقى على العدو ، فهو عسكريا قد تلقى ضربة مؤثرة لاول مرة ، مهما حاول اخفائها ، وهو سياسيا يواجه عزلة حقيقية نتيجة اقدام الدول الافريقية على قطع علاقتها بها ، ووجود تيار عالمى قوى ، رسمى وشعبى متزايد يدين العدوان ، ويطالبه بالانسحاب ، وهو اقتصاديا يواجه متاعب حقيقية نتيجة حالة التعبئة الكاملة التى يعيشها وضخامة التكاليف العادية للحرب ، فضلا عن آثار الحصار العربى المفروض على باب المندب . ( الجمهورية ١١/٧/١٩٧٣ ) .

**ارتباط حل معضلة الشرق الاوسط بصمود وترسيخ الجبهة المعادية للصهيونية والاستعمار .**

ان حالة الحصار العسكرى والاقتصادى والسياسى والمعنوى

المفروضة والمضروبة على العدو الاسرائيلي لا تكتمل ولا تؤتى نتائجها الحاسمة ، باضطراب قوى الاحتلال الصهيونية الى الجلاء عن الاراضى العربية المحتلة ، وباستعادة حقوق شعب فلسطين الشرعية ، وامتلاك كل مقاليد السيادة القومية العربية ، مالم تشدد وتعزز وتصعد عملية الضغط والعنف الثورى الشاملة على مختلف المستويات وبشتى الوسائل على المصالح الامبريالية فى المنطقة ، هذه المصالح التى هى بيت الداء ، وبؤرة الفساد ، واساس الوجود الاسرائيلي . وتبقى قيمة أية اتفاقات ثنائية يكون قد تم الوصول اليها مع اسرائيل ا ومع الجانب الامريكى معلقة باستمرار هذه العملية الثورية ، ومرهونة باستمرارها دون توقف ، ان ذلك ماتعلمنا اياه تجربة حركة التحرر الوطنى فى العالم كله ، وعلى رأسها تجربة الثورة الفيتنامية ، وهو ماتعلمنا اياه أيضا تجربتنا الثورية العربية الخاصة . فلولا انفجار معركة التحرير فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، ودورها الجبار فى إعادة اسرائيل الى حجمها الطبيعى ، ووضعها فى مكانها الصحيح ، وكشفها على نحو غير مسبوق باعتبارها أداة فى يد الامبريالية الامريكية ، ولولا تجريدتها بفضل هذه المعركة التاريخية من كل الهالة الاسطورية العسكرية التى كانت تحاط بها وتمريفها فى معارك الصحراء وتحطيم آلتها الحربية على رمالها وفى هضبات الجولان ، والقضاء بذلك على هيبتها السياسية ومجدها المصنوع أمام العالم كله ، لولا ذلك لما هرعت قوى الاستعمار - والى حد السعار واللاهات - تفتش - بعد التهديد بوضع العالم على حافة حرب ذرية - عن الطرق التى تكفل بها الحفاظ على الكيان الاسرائيلي من الاستنزاف والانقراض فى آخر الامر تحت ضربات حركة التحرير العربية المعززة بقوى الثورة العربية وبدعم خلفية دولية وثورية متينة وأمينية ، تتمثل - ايا كانت التذبذبات الزائلة فى العلاقات المصرية - السوفيتية - كما قال الرئيس العربى أنور السادات فى رسالة التهئة للزعماء السوفيت بمناسبة ذكرى ثورة اكتوبر العظمى - تتمثل فى « همق اواصر الصداقة العربية السوفيتية التى هى أبرز طاقات النضال ضد الاستعمار وسيطرته ومخططاته والتى نرجو لها مزيدا من الاطراد ، وانه لا يخالجننا شك فى انه بفضل التعاون المثمر البناء والوقفة المخلصة التى يقفها الشعب السوفيتى مع الشعوب العربية فى كفاحها البطولى لاسترداد ارضها المقتضية سوف تحرز ماتنشده من نصر على قوى الاعداء ولتحقيق السلام القائم على العدل » (١٩٧٣/١١/٧)

## مخاوف اسرائيل ن التدخل السوفيتي لصالح العرب :

ويكفي كذلك أيضا في هذا المجال تذكر ما صرح به موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلي الذي قال «ولست أشك الآن في استعداد السوفييت واصرارهم على التدخل العسكري المباشر ضدنا ، اذا دعا الموقف الى ذلك ولذي أكد «ان تهديدات الاتحاد السوفيتي بالتدخل بصورة فعالة في الشرق الأوسط قد أسهمت في خلق واقع جديد لا يمكن تجاهله » و « انني لاحظ ان سياسات الدول المختلفة في العالم تجاه المسائل المتعلقة بمنطقتنا قد تغيرت ، وبصورة واضحة في استعداد السوفيت للتدخل مباشرة والعمل في منطقتنا » ومن هنا «حالة التأهب التي أعلنتها أمريكا خلال حرب أكتوبر» مخافة هذا التدخل . (الأهرام والجمهورية ١١/١١/١٩٧٣)

### من المنتصر ومن المهزم ؟

ولقد اوجز ديان بنفسه ومن وجهة نظره النتائج الاولى التي أسفرت عنها حرب أكتوبر المظفرة المدعومة بجمبهة عالمية مؤازرة ، اضطرت معها اسرائيل الى إعادة تقييم موقفها ، والاستعداد لتقديم تنازلات اجبارية ، ذلك ان «العالم الذي نعيش فيه هو عام ١٩٧٣ ، وليس عالم ١٩٦٧ ، ولقد خسرنا كثيرا في الحرب ، فضلا عن ان افريقيا وأوروبا باعنا اسرائيل بثمن بخس ، بينما كانت موسكو جادة تماما في تهديدها بالتدخل العسكري ضدنا اذا لم ننسحب ، أما أمريكا لمانها الآن متلهفة على الحل «خوفا على مصالحها في الشرق الأوسط ، من هنا فأننى «مستعد شخصيا لتقديم حلول وسائط وتنازلات عديدة جدا » ان « أحد الاسباب التي تدفعنى الى ذلك هو أن السوفيت مستعدون الآن للتدخل عسكريا » (الجمهورية في ١١/١١/١٩٧٣)

## ميل ميزان القوى لصالح قوى التحرير والاشتراكية :

من هنا يبرز دور الاتحاد السوفيتي المتميز في مساندة معركة التحرير العربية - ايا كان التعثر الهائل على العلاقات معه حاليا - ومن هنا ايضا فلن تستطيع الامبريالية الامريكية أن تعلم بأن يجيء الحل السلمى في صالحها ، أو وفق رؤيتها السياسية ، طالما والجمبهة المعادية للامبريالية التي يتصدرها الاتحاد السوفيتي تقف بحزم وقوة الى جانب النضال العربى . ولقد أدركت دوائر الحرب الامريكية نفسها أن تحولا خطيرا



فى علاقات القوى قد حدث فى الشرق الاوسط بحرب التحرير التى اندلعت فيه ، والتى مضت لغير صالح انجانب الاسرائيلى والاستعمارى ، وأدركت كذلك أن الفضل فى ذلك يعود الى الصداقة القوية والتعاون الفعال بين العرب والاتحاد السوفيتى ، حيث «أكدت المصادر العسكرية الامريكية ان الميزان الاستراتيجى فى الشرق الاوسط قد مال لصالح العرب والاتحاد السوفيتى بعد حرب اكتوبر، وأبدت هذه المصادر تشاؤمها ازاء احتمالات المستقبل برغم ترحيبها بنتائج الاتفاق الاخير » (الاهرام ١٢/١١/١٩٧٣) .

### اسرائيل «جيتو» محاصر فى صراع الشرق الأوسط :

ان هذه الجبهة النضالة العربية والدولية المنتصرة التى تضم قوى التحرير الوطنى والديمقراطية والاشتراكية، والمعادية للصهيونية والامبريالية ، والتى جعلت ابا اييان فى معرض نزاعه مع ديان يتحدث بلغة لم تكن تسمع من قبل عن «فشل اسرائيل فى سيناء» وعن اننا «كنا نعيش فى وهم الدولة القوية منذ عام ١٩٧٠» ، والتى جعلت الزعيم الصهيونى المعروف الدكتور ناحوم جولده مان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى الذى يمثل التجمعات اليهودية فى ٦٥ دولة يقول فى أمريكا بأن اسرائيل نتيجة العزلة العالمية التى فرضت عليها، ونتيجة تحولها الى ما يشبه جيتو محاصر فى منطقة الشرق الاوسط «لن تتمكن مع الزمن من البقاء كجزيرة فى محيط عربى ، حتى ولو كان لها أفضل الجيوش ، وتميز شعبها بأكبر قدر من الشجاعة » (الاهرام ١٢/١١/١٩٧٣) والتى - هذه الجبهة - صدعت جبهة الاستعمار ، وزعزعت أركان التحالف الغربى الذى وجد بعد الحرب العالمية الثانية واجتذبت الى جانب النضال والحق العربى معظم دول وشعوب العالم ، وأوشكت أن تعيد صياغة علاقات ومعادلات سياسية جديدة على النطاق العالمى ، ان هذه الجبهة الثورية العالمية تبقى هى الظهير ، والعامل الاول والاخير فى مواصلة حركة التحرير بنجاح واقتدار ، والتى يمكن بالابقاء على تماسكها وصلابتها ، ورأب أى صدع فيها ، وبالانطلاق والتحرك بها ومنها نحو استكمال المسيرة التحررية والتقدمية يمكن ويتحتم بلوغ غايات النضال العربى فى الخلاص الكامل والنهائى من ربقة الصهيونية والامبريالية وانتزاع كل الحقوق القومية السلبية ، والهيمنة على المصير والمستقبل العربى وصنع التقدم والحضارة العربية الحديثة .

وبهذا المنظار ووفق هذه المقاييس يمكن رؤية وتقييم مهمة وزير الخارجية الامريكى فى الشرق الاوسط وما أسفرت عنه ، وفى

هذا الضوء يمكن معاملة «مشروع كيسنجر» الذي لن يقدر له، للعوامل الآتية الذكر أن يكون شركا منصوبا لثورة التحرير العربى ، أو أن يكون خدعة جديدة من خدع الامبريالية العالمية ، ولذلك «تكمين قوة أى تصور للحل ، يكون قد تم الاتفاق عليه مع كيسنجر ، لا فيما يطرحه كيسنجر بشأنه من وعود أو ضمانات ، بل فيما يمارسه العرب قى وجه المصالح الامريكية من ضغوط ، ويقتضى الاتفاق على تصور للحل مع أمريكا زيادة ممارسة هذه الضغوط لا العكس ، بما يقتضى ذلك من استمرار الاحتفاظ بأعلى درجات اليقظة العسكرية ، وزيادة تعزيز التحرك العربى والمنسق ، وزيادة تنشيط استخدام سلاح البترول ، وزيادة دعم علاقات العرب مع مختلف القوى الدولية التى ناصرت الحق العربى ، وزيادة تعزيز أوجه التفاهم والتعاون مع الاتحاد السوفيتى - واسناد التحرك نحو السلام الى جبهة لا تقل تماسكا عن تلك التى أبرزها التحرك نحو الحرب . » ( الأهرام ١٠/١١/١٩٧٣ ) .

وفى كل الاحوال لا ينبغي أن نستنيم الى ماتحقق حتى الآن من عمليات فك الاشتباك ، ومن انسحابات جزئية . ان احتمالات التعثر فى حل القضية برمتها - بما فيها المشكلة الفلسطينية - واردة باستمرار ولذلك ينبغي أن تظل قوى التحرير العربية مرابطة بملابس القتال قى قلب المعركة ، دون أن تبرح أصابعها الزناد ، استعدادا لخوض الجولة الاخيرة والحاسمة فى حرب اكتوبر الوطنية المجيدة ، عندما تفرض ظروف الصراع وتعقيداته استئنافها ، ويحتم اشعالها التعتت الصهيونى والغدر الامبريالى . فنحن - كما قال الرئيس العربى أنور السادات - «كأمة عربية مستعدين لحرب طويلة ، مستعدين لتقبل خسائر ، ونصيب عدونا بخسائر ، لم يعد تهديد عمقنا ومحاولة فرض الاذلال والتخويف ، لم يعد له مكان الآن» واذا اقتضى الامر أن تطول هذه الحرب «واذا استمرت هذه العملية عشر سنين حانستمر عشر سنين ، لاننا احنا ما بنطالبش الا بأرضنا وحقنا والسلام القائم على العدل» (الأهرام ١٠/١١/١٩٧٣)

### **حصار باب المندب علامة التلاحم بين مصر واليمن**

وسواء فى اطار حرب التحرير العربية ، أو فى اطار شروط التسوية السياسية السلمية لما يسمى مشكلة الشرق الاوسط فقد احتل وسيحتل مضيق باب المندب - جبل طارق الشرق - مكانة بارزة من معركة العرب الظافرة ، وتصدر - لأول مرة فى تاريخ المنطقة - صدر نشرات واذاعات العالم العربى والخارجى ، منذ غدا - بعملية

الحصار الجريئة والناجحة التي تمت فيه - يشكل الجبهة الجنوبية البحرية في الحرب الرابعة العربية - الاسرائيلية ، وبذلك فانه يكون قد لعب دورا بالغ القيمة والاهمية والاثار في حركة التحرير الوطني والقومي العربية في مرحلتها الجديدة الملتهبة التي بدأت بانتفاضة ٦ أكتوبر العظيمة . ان ذلك هو ما اشار اليه بصورة خاصة وفي عبارة مركزة محددة قوية وزير الحربية المصرى والقائد العام للجبهة المصرية السورية - ابان الحرب - الفريق اول احمد اسماعيل بقوله : « ان الحرب أثبتت بطريقة قاطعة ان شرم الشيخ ليست لها الاهمية الكبرى التي كانت اسرائيل تظنها وتبنى عليها مطامعها في سيناء ، ان شرم الشيخ لم تعد مفتاح ايلات ، وانما نزل المفتاح الى أقصى الجنوب عندما اكتشفنا استراتيجيات عربية للبحر الاحمر قررنا بمقتضاها قفل باب المنذب » (الاهرام ١٨/١١/١٩٧٣) أو ليس ذلك هو ما نطقت به أيضا كلمات عبد العزيز حسين وزير الدولة الكويتي الذي صرح « بأن المعلومات المتوفرة لدى الكويت تقول ان القوات البحرية العربية في البحر الاحمر فرضت وجودها في باب المنذب منذ اندلاع القتال ومنعت السفن المتجهة الى اسرائيل من دخول البحر الاحمر ، والذي أكد « ان إعادة فتح مضيق باب المنذب يدخل في نطاق الوسائل الناجحة التي يملكها الجانب العربي من أجل اقرار السلام العادل الذي ينشده » ؟ (الجمهورية ١٨ - ١١ - ١٩٧٣) ان ذلك هو ما لم تستطع تجاهله حتى الاوساط الصهيونية الخبيرة التي لم تملك الا الاقرار بخطورة ما غدت تمثله عملية باب المنذب حتى بالنسبة لما يسمى (نظرية الامن الاسرائيلي) وما يسمى (الحدود الآمنة) حيث يقول بعض الاستراتيجيين الاسرائيليين الآن ان نجاح المصريين في تقييد الملاحة في ميناء ايلات الاسرائيلي بحصار باب المنذب في الطرف الجنوبي للبحر الاحمر يثبت ان شرم الشيخ لم تعد تعتبر حيوية بالنسبة لامن اسرائيل ، كما كان يستند من قبل « (الاهرام ١٨ - ١١ - ١٩٧٣)

حكمت غدا باب المنذب بشهادة كل الاوساط العربية وحتى الاسرائيلية - منذ تحول بموقعه الاستراتيجي الفريد وبالتفاعل والتلاحم بين ثورة ٢٣ يوليو والثورة اليمنية الى مسرح لعملية ثورية ناجحة - علامة بارزة من علامات معركة التحرير العربي ، والترابط المصري بين اليمن ومصر ، وشاهد ماديا وحيويا من شواهد معركة العرب القومية المعاصرة والمظفرة ضد الجبهة العدوانية الصهيونية والامبريالية .

## نقطة انعطاف في العلاقات المصرية - اليمنية

لانبالغ اذا قلنا أن الزيارة التي قام بها لمصر رئيس الدولة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية سالم ربيع علي والتي بدأت في ١٩٧٤/٩/٥ ، والزيارة التي قام بها رئيس مجلس القيسية في صنعاء الى القاهرة في ١٩٧٦/٣/١ - بعد فترة برود في العلاقات بين اليمن ومصر منذ انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ في صنعاء وسيطرة الجناح اليميني في الجبهة القومية على الحكم في عدن في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧. شكلتا منعطفًا هامًا في العلاقات المصرية - اليمنية من حيث الروح التي تميزت بها هاتان الزيارتان ، والمناخ السياسي الذي خفها ، وطبيعة القضايا النضالية المشتركة التي بدا أن الساعة دقت لبحثها وحسمها بروح من الصراحة والاخوة ، وبغرض تصعيد مستوى العلاقات بين مصر واليمن الى افق رحب وواسع ، مضيء ورفيع من التعاون المثمر والبناء .

ومنذ البداية كان واضحا لقيادة ثورة ٢٣ يوليو أن تحرر قناة السويس من الاحتلال البريطاني لا يكتمل بدون تحرير امتدادها الاقليمي ، باب المندب ، وانه وان غدا المدخل الشمالي للبحر الاحمر تحت السيادة العربية ، فان هذه السيادة تظل مهددة بدون وضع اليد على المدخل الجنوبي منه ايضا ، كما انه ليس في الامكان وضع استراتيجية عربية شاملة للدفاع عن الامن العربي ، وحماية الوجود القومي ، واحاطة المصالح العربية العليا بسياس محكم وامين ، بدون قفل هذه الثغرة الخطيرة المطلة على المحيط الهندي والبحر الاحمر معا ، والتي غدت منذ مطلع القرن التاسع عشر نقطة الحراسة التي تمركز فيها الاستعمار البريطاني ، وبسط من خلالها هيمنته على خط المواصلات بين الشرق والغرب ، وبدأ منها عملية انطلاق وزحف منظمة في اتجاه انحاء الجزيرة العربية ، ونحو احتواء الوطن العربي بأجمعه .

تلك كانت بعض الاعتبارات الاستراتيجية والقومية الهامة



التي دفعت بقاعدة وطليلة النضال العربي مصر بزعامة قائدها المقدم عبد الناصر للاندفاع بمعظم جيشها لتحرير جنوب الجزيرة العربية من الاستعمار البريطاني وركائزه الرجعية المباشرة وغير المباشرة فيه ، وللانتصار لثورة اليمن التي كانت الشرارة الاولى في افق الجزيرة التي قدحتها شمس الثورة المصرية المتوهجة . ولقد تحققت - من حيث الاساس والجوهر - هذه المهمة التاريخية الجلية بنصر لاشك فيه ، حيث قامت في شمال اليمن جمهورية فتية ، لم يلبث أن تلاقياها - وبفضل الثورة المسلحة في جنوب البلاد التي لعب الجيش العربي دورا حاسما في اشغالها - اندحار قوات الاحتلال البريطاني ، وانتزاع الاستقلال الوطني منها ، وقيام جمهورية يمنية اخرى اكثر فتوة وحيوية وثورية .

صحيح أن دور مصر القومي في اليمن لم يقيم التقييم الصحيح الذي يستحقه حتى الآن ، ولم يقدر من قبل بعض الاوساط المسئولة هنا أو هناك حق قدره ، بسبب الروح الاقليمية الضيقة ، التي بثتها وغذتها القوى الاقطاعية والقبلية من جهة ، وبسبب اسلوب التعامل الذي كانت قد اتبعته الاجهزة العربية التابعة ( لمراكز القوى ) في مصر مع القوى التقدمية ، ثم بسبب ذلك الصراع الذي نشب على ساحة اليمن - كامتداد لما كان موجودا في المنطقة العربية - بين الناصرية ، والبعثية ، والحركية ، والذي تحول الى حسابات سياسية مدمرة اضررت ضررا بليغا بمسار حركة الثورة اليمنية ، وما يزال يضربها ويؤثر عليها حتى الان ، والذي لم تكن القوى الاستعمارية بريئة تماما من النفخ في نيرانه ، والابقاء عليها مشتعلة الاوار ، ولو بأشكال مختلفة وحتى الساعة ، بغية تشتيت شمل قوى الثورة ، والحيولة بينها وبين أن تتحد - ذات يوم - في جبهة نضال وطني قوية وعريضة وبامتداد القطر اليمني لمواجهة جبهة قوى الاستعمار وركائزه الرجعية ، الاقطاعية والقبلية ، الموحدة في المنطقة .

ومن هنا تلك الاهمية الخاصة والفائقة التي ارتدتها زيارة سالم ربيع علي والمقدم ابراهيم الحمدي اللتان اسهمتا في بعث الروح الاخوية بين البلدين الشقيقين ، وتأكيد دور مصر القومي الجبار في اليمن ، وساعدتا بالتالي على اسدال الستار على كل ما شاب العلاقات المصرية - اليمنية نتيجة العوامل الآنفة الذكر وغيرها من العوامل التي لم يرد ذكرها ، كما سجلتا تاريخيا فتح

صفحة جديدة أكثر حرارة ودفاً في هذه العلاقات ، تليق بذلك الجهد النضالي المشترك ، وتلك التضحيات العظيمة التي بذلها الشعب اليمني والمصري معا على ساحة اليمن ، دفاعا عن ثورتها الوطنية وانتزاعا لشعبها الابى من ظلمات القرون الوسطى ، ومن براثن الاستعمار ، وتأمينا لحقه في الوجود والحياة والحرية والتقدم .

وان تكييف العلاقات المصرية - اليمنية بمثل هذه الروح القومية العالية المسئولية ، لا يتفق فقط مع ذلك الجهد العام الذي تبذله القاهرة هذه الايام من اجل اعادة صياغة التضامن العربى ، سواء لمواجهة احتمالات استئناف القتال مع العدو الصهيونى - الامبريالى ، أو لمواجهة مباحثات مؤتمر جنيف الصعبة الخاصة بالتسوية ، وانما هو يكتسب دلالات خاصة بالنسبة لليمن ، يمكن حصرها فى النقاط الثلاث التالية :

١ - أن هناك اختلافا سياسيا حقيقيا لا ينبغي التهوين من شأنه بين طبيعة كل من النظامين اليمنيين المتعارضين القائمين فى صنعاء وعدن ، يتخذ من قضية ( الوحدة اليمنية ) شعارا ومحورا له وهو اختلاف عملت بعض القوى الاستعمارية على تحويله الى حرب اهلية دامية كما تجلى ذلك فى الحرب التى اشعلتها بينهما فى خريف ١٩٧٢ ، والتى لم تطفئها غير وساطة القاهرة والدول الوطنية العربية الاخرى ، ومن المعروف أن القاهرة ، التزاما منها بمنطق انه « لاصوت يعلو على صوت المعركة » ولا « معارك جانبية بين الاخوة العرب » تؤثر حل معضلة الوحدة اليمنية بالطرق السلمية ، وهو نفس الخط الذى رحبت به ، ودعت اليه ، وناضلت وماتزال تناضل من أجله الحركة الوطنية اليمنية . وبالتالى فإن أى جهد جديد واضافى للقاهرة فى هذا السبيل - ولاسيما فى هذا الوقت الذى تحسنت فيه العلاقات بين صنعاء وعدن وغدت افضل بكثير مما كانت عليه ايام حكم القاضى عبد الرحمن الاريانى - سيشكل بكل تأكيد دفعة هامة وحاسمة على طريق حركة التوحيد الوطنية اليمنية .

٢ - أن اليمن وان كانت لاتشكل حلقة مباشرة فى جبهة الصدام العربية - الا أن الاحداث اثبتت منذ وقوع العدوان الصهيونى - الاستعمارى عام ١٩٦٧ ، وحتى حرب ٦ اكتوبر المجيدة ، بل وحتى اليوم أن اليمن قد عانت من « اثار العدوان » - شأنها فى ذلك ولو بدرجة أقل وبشكل مختلف شأن دول المواجهة - حيث انه بأقفال قناة السويس تعطل فى نفس الوقت والى حد كبير العمل

في ميناء عدن الذي كان يوفر للبلاد معظم دخلها ، وقاست عدن من جراء ذلك من أزمة مالية شديدة - شأن صنعاء - ما تزال تمسك بخناقها حتى اليوم ، ومن ناحية أخرى فإن ضرب الحصار العربي الشهير على باب المندب أثناء حرب ٦ أكتوبر ، والذي أدى عمليا الى شل ميناء ايلات الاسرائيلي ، بما صاحب ذلك من تسهيلات وتعاون من البحرية اليمنية ، أن كل ذلك وغيره يحتم أن تنسق العلاقات - على كل مستوى وإلى اقصى حد ممكن - بين القاهرة واليمن - بدلا من التنسيق مع العواصم المحيطة ذات المطامع المعروفة والخطيرة - وذلك ، لمصلحة الثورة العربية واليمنية ، ولمواجهة احتمالات الحرب التي يشكل مدخل البحر الاحمر الجنوبي مفاتيحها الاستراتيجية المؤثرة والمتحركة فيها ، ثم لمواجهة احتمالات السلم ، بما يستلزمه ذلك من تعاون واسع ومتعدد الجوانب بين القطرين العربيين .

وإذا كان المحيط الهندي والخليج العربي يشكلان إحدى بؤر الصراع الجديدة في المنطقة ليس بين المعسكر الامبريالي والمعسكر الاشتراكي فحسب ، وإنما أيضا بين القومية العربية وقوى الغزو الصهيونية والاستعمارية والرجعية الخارجية فإن التعاون بين اليمن ومصر في هذا المضمار يشكل أحد صمامات الامان الاكيدة في هذا الصراع المتزايد الاتساع والخطر .

٣ - أن اليمن بشطريها - هي احوج ما تكون في مناخ من العلاقات العربية الصحيفية والصحية مع القاهرة مركز الثقل القومي وموطن الخبرة العربية - الى مساعدات مصرية متعددة الجوانب ومكثفة وفي أكثر من مجال وبصورة خاصة تلك الخبرات الفنية التي لا يملك أي بلد عربي آخر أن يقدمها لليمن ، كما لا يحتاج اليها أي بلد عربي آخر أكثر من اليمن .

لقد أخذ سير الاحداث يشير الى انه اذا كانت العلاقات اليمنية المصرية قد اتسمت في الفترة الماضية بشيء من الجفاف أو الجفوة أو القحط ، فإن زيارة الرئيسين اليمنيين الى القاهرة بدعوة من الرئيس أنور السادات تبشر ( بفصل ربيعي ) مزهر جميل ودائم النمو والازدهار في العلاقات المصرية - اليمنية .

ان تنمية العلاقات اليمنية - المصرية من شأنه أن يساعد اليمن أيضا في كفاحها من اجل التقدم والوحدة . وان اقامة مثل هذه العلاقات الصحية بين اليمن ومصر هو اجمل زهرة توضع على قبر عبد الناصر ، وأقوى شاهد على أن دوره ودور ثورة ٢٣ يوليو في اليمن لم يكن بدون نتائج طيبة وواحدة .

## أبعاد وأدوات التحول الثوري في اليمن

يمكن الجزم بيقين علمي ان اليمن تمر اليوم بأكثر اللحظات حسما في تاريخها كله : لحظات الصحو الوطني والانبعاث الثوري ، بعد دهر طويل من السبات والركود والتخلف المريع والمشين ، لحظات العثور على الذات ، واكتشاف النفس ، بعد طول غربة واغتسراب وضياح .

لم تعد ( العقدة اليزنية ) المريضة ، عقدة الاقطاع المهزوم والمتصاغر امام قوى الغزو الاجنبي ، والمتباكي على ماضي العربية السعيدة ، والمكتفي بالتفاخر والتعزى بحضارة الابهاء والاجساد التليدة الغاربة ، والباحث عن ( مخلص ) له من ماساته التاريخية من الخارج ، هي السائدة والمتحكمة .

لقد حلت محلها روح الاستجابة الثورية للتحدي التاريخي ، روح التوثب والتفهم روح العمل الوطني الخلاق والمبدع ، روح الاحساس بالذات ، والثقة بالنفس ، والشعور الداخلى الفياض والقوى بالقدرة على التحرر من اسار الماضى البقيض بكل اوجاعه واوضاره ، وبالقدرة على صنع الحياة الجديدة والمستقبل الوضاء ، واللحاق من ثم بركب البشرية التقدمى الزاحف دائما وابدا الى الامام !

لم يعد الاحساس بالصغار والانسحاق ، وقلة النفس ، وانعدام الوزن التاريخي ، وفقدان القيمة الوطنية والاهمية القومية ، والشعور بالعربة والضياح ، من سمات اليمن الجديدة ، ولم تعد نظرتها الى الناس والعالم والحياة من حولها نظرة ذلك الكائن البدائي الجاهل المتخلف الذى وجد نفسه مفشيا عليه من شدة انبهاره باضواء الحضارة الحديثة التى اطل عليها فجأة، وهو يخرج من كهفه التاريخي المعتم !

ومع صحوته الوطنية وهبته الثورية التى جاءت جزأ من



الصهوة القومية والهبة الثورية العربية العامة ، لم يعد اليمن يقف طويلا مكظوما مغموما عند تلك الصفحات المأساوية المحزنة من تاريخه . لقد أصبح يتلفت - بالدرجة الاولى - الى تلك الصفحات المشرقة والحية من هذا التاريخ : صفحات النضال اندوؤب والمستمر ضد قوى التدخل والقهر الاجنبى ، حتى امكن له بقواه الذاتيه اساسا ان يتحرر منها ومن كل قوة غازية غاشمة ، حتى غدا كفاحه الاسطورى ضد الامبراطورية العثمانية ، من اجل انتزاع حريته واستقلاله الوطنى من براثن العدو الخارجى ، يمثل معلما بارزا وجوهريا من حركة التحرير القومية العربية فى عهودها المبكرة .

وباستلهام هذا الماضى النضالى ، وبالاتماد على هذه التقاليد الثورية العريقة ، وكاستمرارية تاريخية لمجمل كفاحه العام من اجل تحرره السياسى ، واستعادة توازنه الاجتماعى ، وتحقيق ذاتيته الوطنية ، امكن لشعبنا اليمنى ان يدحر من ارضه - بعد احتلال دام اكثر من قرن وربع قرن - آخر امبراطورية عالمية عرفها التاريخ : الامبراطورية البريطانية ، وان يرفع فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ - بعد ثورة مسلحة دامت بضع سنين - علم الاستقلال السياسى والحرية الوطنية ، على ربوع عاصمته الساحلية : عدن .

على ان دحر اخر قوة اجنبية من الارض اليمنية ، ورفع علم السيادة عليها لم يكن مجرد استمرار ميكانيكى لماضى نضالى ، وكفاح ثورى ، لم يتوقف ابدا . لقد كان ذلك فى الواقع نقطة تحول جديدة وحاسمة فى حياته ، كانت بدايتها التاريخية ذلك الانفجار الوطنى والاجتماعى ، بل ذلك الانفجار القومى الذى شهدته صنعاء وارتعشت به وله اليمن كلها ، والمنطقة العربية باجمعها ، والذى تمثل فى اندلاع ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ التى تولدت عنها على الفور ثورة تحرير مسلحة انطلقت نيرانها الاولى فى ١٤ اكتوبر ١٩٦٣ .

لم تكن شرارة محلية صغيرة ، احترق بها عرش بيت حميد الدين الاثرى المستهلك والمتهالك . تلك كانت السنة الحريق الوطنى والقومى اخذت تمتد وتنتشر فى كل مكان من الارض اليمنية . وكما اتت على تاج بيت حميد الدين ، فانها انتزعت اخـردرة فى تاج الامبراطورية البريطانية : مستعمرة عدن التى كانت قد تحولت منذ احتلالها عام ١٨٣٩ الى اهم محطة استراتيجية لها على طريق ممالكها الاستعمارية فى الهند والشرق الاقصى ، والى الحلقة الوسطى والثالثة البالغة الاهمية بين قواعد العسكرية فى العالم بعد قاعدتيها فى

بريطانيا في الغرب ، وسنغافورا في الشرق .  
ولقد بدأت بثورة اليمن وعلى اثرها سلسلة تحولات ثورية كبيرة  
في المنطقة العربية : فاول مرة منذ حملة محمد علي باشا في الربع  
الاول من القرن التاسع عشر ، خرجت مصر من جديد - في تظاهره  
قومية وتاريخية مشهودة وغير مسبوقه - من النهر الى البحر ، ومن  
وادي النيل الى جزيرة العرب ، ولم تؤكد بذلك فحسب هوية مصر  
القومية ودورها القيادي في الوطن العربي على نحو اوضح واعمق مما  
مضى ، وانما قادت ايضا اعظم واعرض هجمة ثورية على امتداد الجزيرة  
العربية ضد قوى الاستعمار القديم والجديد والرجعية العربية ، بل  
واحدثت - بحكم الآثار الايجابية التي صنعتها في جنوب الجزيرة  
تغييرات ثورية في شمال الوطن العربي تمثلت في تلك التطورات  
القومية الجديدة التي شهدتها سوريا والعراق على نحو خاص .  
وبهذه الحيوية الثورية العالية التي مست المنطقة العربية من أقصاها  
الى ادناها - على نحو متفاوت - منذ مطلع الستينيات ، وبذلك الدور  
القومي الفريد الذي لعبته مصر فيها ، وبالتألق النضالي الذي بلغت  
اقصى ذراه شخصية جمال عبد الناصر الضخمة والفذة اثناء وبفعل  
عملية التحول القومي والاجتماعي الهائلة هذه ، فإن الساحة العربية  
تحولت ابان هذه الحقبة الذهبية من النضال العربي الى اهم واخطر  
ساحات الصدام الدولية بين حركة التحرير الوطني العربية والعالمية  
وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية ، هذا الصدام الذي وقف  
فيه المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي الى جانب قوى  
الثورة والتحرير والتقدم العربية ، ضد الجبهة الامبريالية المعادية .  
ولم تكن هجمة ٥ يونيو ١٩٦٧ الغادرة التي شنها التحالف  
الصهيوني - الاستعماري - الرجعي الا محاولة للانتقام من تلك  
الهزائم التي لحقت بقوى هذا التحالف في اليمن وعموم المنطقة  
العربية ، ولكسر حركة التحرير الوطني العربية التي تعاظم خطرها  
على المصالح الامبريالية في هذه المنطقة ، ولفك عرى التحالف  
النضالي بين هذه الحركة والمعسكر الاشتراكي ، وللحيلولة دون  
مضيها في طريق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستقلة والكاملة ،  
وطريق التقدم الاجتماعي التام ، والوحدة القومية الشاملة .  
على ان حرب ٦ اكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣ التي شنتها دولتنا  
المواجهة الوطنيتان مصر وسوريا ، واسهمت فيها المقاومة الفلسطينية  
وبعض الدول العربية ، ولعب الرئيس السادات في تخطيطها واتخاذ

القرار الحاسم بإشعالها دورا خاصا ومتميزا ، قد وضعت والى الابد نهاية لأسطورة التفوق والتبجح الصهيوني ، وحلت والى الابد عقدة الشعور بالهزيمة والنقص العربي ازاء قوة اسرائيل ، واوضحت - من جديد - ان يد حركة التحرير العربي هي العليا والاقدر على تقرير وتكوين مصائر المنطقة ، كما اوضحت - مرة اخرى - مدى أهمية استمرار وتعميق التحالف الثوري والاستراتيجي بين معسكر الثورة العربية ، والمعسكر الاشتراكي ، من اجل استكمال تحرير الاراضي العربية المحتلة ، واقامة دولة فلسطين الوطنية ، والمضي في طريق التقدم الاجتماعي والنهوض الحضاري المطرد والمتكامل .

ومهما بلغت مناورات الامبريالية العالمية فاته لا محيص من استمرار توثق العلاقات النضالية والاستراتيجية بين فصائل الثورة العالمية الثلاث : المعسكر الاشتراكي ، والطبقة العاملة في الغرب ، وحركة التحرير الوطني العالمية التي تشكل حركة التحرير الوطني العربية احدي كتائبها المتقدمة والصدامية .

ولقد غدت حركة التحرير الوطني اليمنية قوة حقيقية ومؤثرة داخل هذه الكتبية العربية المقدمة . ان انتصاب نظام وطني تقدمي في مثل فلق الصبح في الجزء الجنوبي من الوطن اليمني ، لا يمثل فقط - موضوعيا وتاريخيا - حجر الزاوية في بناء صرح دولة اليمن الحديثة الموحدة ، الوطنية الديمقراطية ، وانما هو ايضا واحدا من ابرز منجزات حركة التحرير الوطني العربية ، وواحد من اهم احزمة الامن القومي الوثيقة التي تحمي اليوم ثغور وتخوم الوطن العربي ، فوق انه حارس يقظ يركز اليه على مدخل البحر الاحمر الجنوبي ، وقلعة شامخة من قلاع النضال العربي الامامية ، التي ستتضح وتزداد اهميتها الثورية مع الايام .

ان ذلك الدور القومي الذي لعبته عدن اثناء حرب ٦ اكتوبر المجيدة ، وبالذات في عملية ضرب الحصار العربي على باب المندب ، وذلك التنسيق الاخذ اليوم في التنامي باطراد بين عدن ومصر فيما يتعلق بتأمين هذا المدخل الاستراتيجي الهام ، وهذا الموقع القسومي الفريد ، ليبين - بشكل حاسم - مدى خطورة ما غدت تمثله عدن الثورة والتحرر بالنسبة لمجمل النضال العربي .

ان هذا الدور - فوق ذلك - لا يعدوان يكون رمزا ومؤشرا لحجم الدور القومي الضخم الذي لابد ان تلعبه اليمن ككل في المستقبل ازاء امتها العربية ، بعد استعادة توازنها الاجتماعي ، وتكاملها الذاتي

وتحقيق وحدتها الوطنية ، وبروز شخصيتها السياسية الحديثة -  
الآخذة اليوم في النمو والتبلور بالفعل .

لقد لعبت اليمن دورا حضائيا وتاريخيا مرموقا في الزمن القديم،  
واكب ادوار حضارات العالم التي شهدتها الشرق الأوسط في هذا  
الوقت . ولقد كانت اليمن مع بزوغ الاسلام وانطلاق فتوحاته في  
اتجاه الشرق والغرب ، ومن خلال جيوشها التي اسهمت بدور بارز  
في عمليات الفتح هذه تمثل العمود الاخر الذي قام عليه وبه بناء  
الدولة العربية - الاسلامية المترامية الاطراف .

ولن يكون حاضر اليمن ومستقبلها بخلاف ماضيها ، ولنسوف  
تكون في قادم الايام احد الاركان الراسخة والقوية التي تنهض عليها  
وبها الدولة العربية الكبرى الحديثة الموحدة ، الديمقراطية التقدمية .  
ان تحقيق الوحدة اليمنية شرط تاريخي لا بد من تحقيقه ، حتى  
تستطيع اليمن أن تنهض بمثل هذا الدور ، وتسهم بفعالية وقوة  
في تحقيق هذه الوحدة القومية المنشودة .

ان تسوية النزاعات القائمة بين عدن من جهة وبين المملكة  
العربية السعودية وسلطنة عمان وغيرهما من الامارات العربية في الخليج  
العربي من جهة أخرى ، والتي تلعب مصر والرئيس السادات شخصيا  
دورا هاما من أجل تحقيقها ، من شأنها ان تتيح امكانية اخراج القوى  
الأجنبية والاستعمارية من عمان والمنطقة من حولها ، والتي اصبحت تهدد  
جديا عروبة الخليج ، وامن وسيادة اليمن الديمقراطية ، واستقرار ووحدة  
الاراضي اليمنية عموما ، كما ان من شأنها ان تقلل من حدة العداء  
السياسي الموجه ضد النظام الوطني في جنوب اليمن ، وان تكبح من  
جماح وسعار قوى الثورة المضادة في الجزيرة ، وان تساعد على خلق  
مناخ ساسي اكثر مواتا على الصعيد اليمني ، يمكن ليس فحسب  
التفرغ لحل مشاكل اليمن الداخلية والمعقدة ، ومن التركيز على  
قضاياها الجوهرية والرئيسية ، قضية توحيد الوطن والشعب اليمني  
التي بتحقيقها لا تتوفر الشروط الموضوعية والسياسية البشرية  
والمادية للتنمية الاقتصادية الواسعة ، والتقدم الاجتماعي المتسق  
ولاستعادة التوازن الذاتي والتكامل الوطني الطبيعي ، والمضي في طريق  
النهوض الحضاري والتاريخي الشامل ، وانما تتمكن بها اليمن ايضا  
من الاضطلاع بدورها القومي والثوري ازاء الجزيرة والخليج العربي  
وازاء المنطقة العربية كلها .

ان القبول بسياسة التعايش والتصالح تستلزم في نفس الوقت



اليقظة والحذر من أن تتحول الى عملية استيعاب واحتواء للثورة والوطن اليمنى .

ولا حاجة الى التأكيد بأن النضال من اجل تحقيق الجبهة العربية التقدمية يستلزم بالضرورة النضال من اجل تحقيق وحدة الحركة الوطنية اليمنية اولا ، حيث انه غدا واضحا تماما ان انجاز الوحدة الوطنية والثورية داخل كل قطر شرط لازم لاغنى عنه لانجاز هذه الوحدة على المستوى القومى .

ان قيام التنظيم السياسى الموحد - الجبهة القومية عشية الذكرى الثانية عشر لثورة ١٤ أكتوبر يحتم تركيز الجهد الوطنى والنضالى - منذ الان فصاعدا - من اجل تحقيق وحدة الطلائع الاشتراكية اليمنية فى حزب طليعى اشتراكى يمنى واحد ، يقود مسيرة النضال فى اليمن ، ويقوم بوضع استراتيجيات وتكتيكات الثورة اليمنية عبر مراحلها السياسية المتلاحقة ، ويتولى توجيه العملية التاريخية والثورية بمجملها ، بكل ابعادها الوطنية والاجتماعية ، والوحدوية والديمقراطية .

ولان التنظيم السياسى الموحد - الجبهة القومية اصبح اليوم - بالانجازات السياسية والاجتماعية الحاسمة التى حققها فى جنوب الوطن - يشكل الحزب الجماهيرى الاكثر تمرسا فى النضال ، والاوسع خبرة فى ميدان العمل السياسى ، ولانه يهيمن على معظم الاراضى اليمنية ، ويقود - عمليا - نواة الدولة اليمنية الحديثة ، الوطنية الديمقراطية ، فإنه تقع عليه - موضوعيا وحتميا - مسئولية ثورية ونضالية وقيادية استثنائية فى مضمار توحيد فصائل الحركة الوطنية اليمنية فى جبهة وطنية عريضة ، وتوحيد المنظمات الجماهيرية فى نقابات شعبية موحدة ، وبالدرجة توحيد الطلائع الاشتراكية اليمنية فى حزب طليعى واحد ملتزم بأيدىولوجية الاشتراكية العلمية .

ان تحقيق الوحدة الثورية على هذه المستويات الثلاثة هو الذى سيوفر عمليا الادوات التاريخية الكفيلة بتحقيق الوحدة اليمنية ، واقامتها على اسس راسخة متينة ، وعلى قوائم وطنية ديمقراطية .

ان الوصول الى الحد الادنى الممكن والمقبول من وحدة العمل والتنسيق مع المؤسسة العسكرية الحديثة فى شمال الوطن ، ومع مجلس القيادة الذى يتزعمه المقدم ابراهيم الحمدي رئيس الدولة فى صنعاء امر ضرورى ولازم ، من أجل افشال سياسة الأحتواء الداخلية والخارجية ومن أجل بناء جبهة تحالف سياسى عريضة

فى مواجهة جبهة الاقطاع والقبلية والكومبرادورية ، بكل خلفيتها الرجعية والاستعمارية ، العربية والدولية ، ومن اجل تعميق ودفع الصراع مع هذا الجبهة المعادية الواسعة والقوية الى نهاية المظفرة ، وأعطائه كامل ابعاده ومضامينه السياسية والاقتصادية ، والوطنية والاجتماعية .

ان تنشيط العمل السياسى فى شمال الوطن ، والحصول على فرص اوسع للنضال الوطنى والوحدوى والاجتماعى كما يتطلب من السلطة فى صنعاء اشاعة مناخ ديمقراطى واسع لكافة اطراف الحركة الوطنية اليمنية ، فأنه يستوجب بالتأكيد من جانب هذه الاطراف اقامة حوار بناء وصبور وهادف بينها وبين المؤسسة العسكرية ، من اجل اقامة تنظيم سياسى فى هذا الجزء من البلاد ، يلتزم ببرنامج عمل حد ادنى مشترك ، وبوثائق الوحدة اليمنية المبرمة ، ويعمل على تلمس امكانية بناء التنظيم السياسى الموحد الذى نص عليه بيان طرابلس بين الحكومتين اليمنيتين ، كما يعمل ليس فقط من اجل اقامة الدولة المركزية الحديثة فى صنعاء ، وانما بالدرجة الاولى على دفع حركة المجتمع كله فى اتجاه اقامة الدولة اليمنية الحديثة الموحدة ، الوطنية الديمقراطية .

ان قدرا من المرونة والبصيرة والحكمة السياسية والثورية لم يكن مطلوبا فى اى وقت مضى ، كما هو مطلوب اليوم ، ان الثورية الحققة هى علم قوانين حركة المجتمع ، وحسن استخدامها ، ووضع التكتيكات الملائمة لكل مرحلة منها ، والكفيلة فى اخر الامر بتحقيق الغاية الاستراتيجية العظمى .

ان التناقض الرئيسى على نطاق الساحة اليمنية يقوم اليوم - كما هو واضح جليا - بين قوى الاقطاع والقبلية والكومبرادورية واسنادها الامبرياليين والرجعيين فى الخارج ، وبين اطراف الحركة الوطنية اليمنية والقوى العسكرية المستنيرة .

ان مهمة الثوريين المتقدمى الوعى تكمن بالضبط فى كيفية ترجمة هذا التناقض - على الجانب الوطنى - الى صيغ عمل سياسية محددة ومقبولة ، وفى القدرة على حل وتطوير اى تناقضات قائمة او يمكن ان تقوم بين القوى الوطنية والقوى العسكرية المستنيرة لهذا التناقض الرئيسى ، حتى يسهل بذلك ايجاد اوسع واغنى جبهة هجوم وطنى واجتماعى ضد قوى الاقطاع والقبلية والكومبرادورية وحلفائها وأسيادها فى الخارج ، وحتى يصبح ممكنا اسقاط حاجز القرون

الوسطى السميكة الذي ما يزال يحول دون انطلاق اليمن كلها في طريق التحرر والتقدم والوحدة ، حاجز الاقطاع والقبلية العتيده ، وتجاوز مرحلة التطور الرأسمالي الكومبراد وري الخطرة التي يراد دفع شمال البلاد اليها - كخط ثاني من خطوط العمل الرجعي الامبريالي - وحتى يتسنى دفع اليمن كلها على طريق التنمية الاقتصادية المستقلة الكاملة وطريق التوحيد الوطني التام ، والتقدم الاجتماعي الشامل .

تلك هي وسائل واساليب العمل السياسي المطلوب في هذه المرحلة الجديدة التي تمر بها اليمن ، وتلك هي قنوسات وادوات النضال الوطني العام العتمية والتاريخية ، بل تلك هي المرتكزات السياسية والاستراتيجية لاحباط مخططات الاستيعاب والاحتواء الخارجية ، ولاءة بعث وبلورة الشخصية اليمنية ، ولاءة دولة اليمن الحديثة المتحررة ، المركزية الموحدة ، الوطنية الديمقراطية ، الناهضة المتحضرة ، التي ستشكل بقيامها - وكعتمية تاريخية - ركنا أساسيا في بناء الدولة العربية الكبرى الموحدة ، الديمقراطية التقدمية .

## الفهرست

- ١ — كلمة حول الناصرية وثورة ٢٣ يوليو الرائدة
- ٢ — عبد الناصر والحركة الوطنية في اليمن
- ٣ — تخطيط الناصرية لقيام الثورة اليمنية
- ٤ — دور البيضاتى في تفريب ثورة ٢٦ سبتمبر غير محسوب على مصر الناصرية
- ٥ — هكذا تحدث عبد الناصر في اليمن
- ٦ — عبد الناصر ووحدة اليمن
- ٧ — عبد الناصر وكسر الحلقة الضعيفة في اليمن
- ٨ — حرب اليمن قمة الصراع بين الثورة والثورة المضادة
- ٩ — الثورة اليمنية والتجربة الناصرية
- ١٠ — عبد الناصر لم يكن يعبت في اليمن
- ١١ — انسحاب الجيش المصرى من اليمن ولم ينسحب عبد الناصر
- ١٢ — ثورة اليمن باقية بقاء دور عبد الناصر فيها
- ١٣ — كفى تشويها للدور القومى لمصر وعبد الناصر في اليمن
- ١٤ — الأهمية الاستثنائية لدور عبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو في الثورة اليمنية •
- ١٥ — عملية حصار باب المندب برهان عملى على مدى التلاحم بين ثورة ١٣ يوليو والثورة اليمنية
- ١٦ — نقطة انعطاف في العلاقات المصرية - اليمنية
- ٧١ — ابعاد واتوات التحول الثورى في اليمن



مطابع  
مؤسسة  
الأمم المتحدة

---

رقسم الايداع بدار الكتب ٧٦/٣٣٤٣  
الترقيم الدولي - ٧ - ٠١٩ - ٣٢١ - ٩٧٧





هذا الكتاب ..

وهذا المؤلف ..

بدعمها لتورة اليمن ضد الامامة الكهنوتية ، والاستعمار  
البريطاني ، ارادت مصر الناصرية تمكين اليمن من بعث وينا ،  
شخصيته الوطنية ، وتحرير ركن هام من اركان الوجود  
الوطني العربي ولهذا الغرض دفعت بجيشها الياسل الى  
هناك ، حيث تناحز اخمين سنوات كاملة معارك قومية عظيمة  
الى جانب شعب اليمن المكافح ، تم بها تثبيت جمهورية ٢٦  
سبتمبر في الشمال ، وقيام جمهورية ١٤ اكتوبر في الجنوب ،  
وكان من ثمارها ذلك الدور الذي لعبه اليمن في حصار باب  
المنديب اثناء حرب اكتوبر المجيدة .

ان هذه الصفحات الشرفية والحافلة في سجل الشمال  
الوطني لعبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو التي ارادت قوى الرجعية  
والاستعمار طمسها وطبها ونزفها ، هي ماعاد الدكتور  
محمد علي السهاري الى فتحها واجلا الصدا عنها ، وهو كما  
يوضح من قرائنها الممنعة والسليقة عمل يختلف عن طريقة  
فتح ( الملفات ) التي دأبت القوى اليمنية والبرالية على  
فتحها ، بهدف تسويه صورة البطل القومي الفذ جمال عبد  
الناصر .

اما كاتب هذه الصفحات فهو الكاتب اليمني المعروف  
الدكتور السهاري صاحب كتاب ( طريق الثورة اليمنية )  
( ١٩٦٦ ) و ( اليمن .. الثورة في الجنوب والانتكاسية في  
الشمال ) ( ١٩٧٢ ) والذي ليس هناك مجلة مصرية او عربية  
مرفوعة لم تفتح لقلمه الذي يطر ثورية وحرارة وحب لقضية  
بلاده والقضية القومية مكانا ، والذي لا يبرح بكتاباته النضالية  
المستمرة التي تسهم بشكل جدي في مطاردة السحب المحيطة  
بوطنه يؤكد حتمية مضي اليمن على درب الثورة والتحرير  
والانتماء والوحدة اليمنية ، ومضي الوطن العربي كله على درب  
الثورة والوحدة العربية الشاملة .

مكتبة مبدول

٧٥٦١٢١١٢١

MADBOULI BOOKS

6 Taha Hani St. Tel. 756421

طبع بالمطبعة الفنية - ٣٩١١٨٦٢